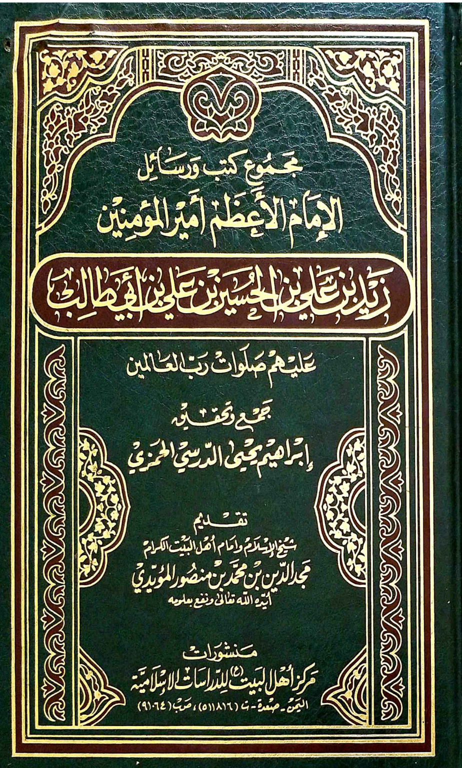


الإمام زيد بن علي (ع)

مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم أمير المؤمنين
زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
منشورات
مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية

مجموع كتب ورسائل

الإمام الأعظم أمير المؤمنين

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

عليهم صلوات رب العالمين

جمع وتحقيق

إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي

تقديم

شيخ الإسلام وإمام أهل البيت الكرام

مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي

أيده الله تعالى ونفع بعلومه

منشورات

مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية

اليمن - صعدة - ت (٥١١٨١٦) ، ص.ب (٩١٠٦٤)

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م

تم الصف والإخراج

بمركز أهل البيت(ع) للدراسات الإسلامية

اليمن – صعدة، ت(٥١١٨١٦)، ص ب (٩١٠٦٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيّدنا محمد وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين، **وبعد:**

يسرّ مركز أهل البيت(ع) للدراسات الإسلامية بصعدة أن يقدّم للأمة الإسلامية **مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد بن علي (ع)**.

إمام الزيدية وقائدها، أبوالحسين زيد بن علي سيّد العابدين بن الحسين السبط بن أمير المؤمنين ووصيّ رسول رب العالمين علي بن أبي طالب عليهم صلوات رب العالمين.

وإليه أعلن أهل البيت صلوات الله عليهم الإعتزاء، بمعنى أنهم يدينون الله بما يدينه، من: التوحيد، والعدل ، والإمامة ؛ ليظهروا للعباد ما يدعونهم إليه من دين الله القويم، وصراطه المستقيم، فقد أقام الحجة، وأبان المحجة، بعد آبائه صلوات الله عليهم ، فاختاروه علماً بينهم وبين أمة جدّهم، كما ذكر ذلك مولانا الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي أيده الله تعالى في كتابه التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية ٦٧/ط٣.

وإنما نقدّم لك أخي المؤمن هذا الكتاب وفاءً منّا بالعهد الذي قطعناه على أنفسنا بالمشاركة في إخراج كنوز أهل البيت(ع) من مخابئها، عرفاناً منّا بتضحياتهم وجهادهم، وتمسكاً بوصية جدّهم، صلّى الله عليه وآله وسلّم، والتزاماً بفكرهم ونهجهم، الذي هو منهج السنّة والقرآن، وما أراده من عباده الرحمانُ، فهم ورثة الأنبياء، وحجج الله الأمناء.

ومما صدر عن مركز أهل البيت(ع) للدراسات الإسلامية بصعدة حتى الآن:

م	الكتاب	المؤلف	المحقق
١	المنير	أحمد بن موسى الطبري	علي سراج الدين عدلان
٢	نهاية التنويه في إزهاق التمويه	السيد الإمام/ الهادي بن إبراهيم الوزير	أحمد درهم حورية - إبراهيم بن مجدالدين بن محمد المؤيدي
٣	تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين	الحاكم الجشمي/ المحسن بن محمد بن كرامة	ابراهيم يحيى الدرسي الحمزي
٤	عيون المختار من فنون الأشعار والآثار	الإمام/ مجدالدين بن محمد المؤيدي	-
٥	أخبار فخ وخبر يحيى بن عبدالله(ع) وأخيه إدريس بن عبدالله(ع)	أحمد بن سهل الرازي	عبدالرقيب مطهر حجر
٦	الوافد على العالم	الإمام/ القاسم بن إبراهيم الرسي(ع)	حمود بن عبدالله الأهنومي
٧	الهجرة والوصية	الإمام/ محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي(ع)	عبدالله ناصر أحمد عامر
٨	المختصر المفيد فيما لا يجوز الإخلال به لكلّ مكلّف من العبيد	القاضي العلامة/ أحمد بن إسماعيل العلفي	-

٩	خمسون خطبة للجمع والأعياد	-	عبدالله حسن الفالي - علي محمد فارع الحمزي
١٠	رسالة الثبات فيما على البنين والبنات	الإمام الحجة/ عبدالله بن حمزة (ع)	-
١١	الرسالة الصادعة بالدليل في الرد على صاحب التبديع والتضليل	الإمام/ مجدالدين بن محمد المؤيدي	-
١٢	إيضاح الدلالة في تحقيق أحكام العدالة	الإمام/ مجدالدين بن محمد المؤيدي	-
١٣	الحجج المنيرة على الأصول الخطيرة	الإمام/ مجدالدين بن محمد المؤيدي	-
١٤	النور الساطع - أدعية مأثورة لأيام الأسبوع	الإمام الهادي/ الحسن بن يحيى القاسمي	-

كما شارك مركز أهل البيت(ع) للدراسات الإسلامية بصعدة مشاركةً فعليةً في إخراج:

١- مجموع رسائل الإمام الهادي (ع)، تأليف الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين(ع)، تحقيق عبدالله بن محمد الشاذلي ، صدر عن مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية.

٢- العقد الثمين في تبيين أحكام الأئمة الهادين، تحقيق عبدالسلام عباس الوجيه، تأليف الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع)، صدر عن مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية.

٣- الموعظة الحسنة، تأليف الإمام المهدي محمد بن القاسم الحوثي(ع)، صدر عن مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية.

٤-المصابيح وتتمته، تأليف السيد الإمام أبو العباس الحسني(ع)، والتتمة لعلي بن بلال رضي الله عنه، يصدر قريباً جداً إنشاء الله تعالى عن مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية.

٥- البدور المضيئة جوابات الأسئلة الضحيانية، تأليف الإمام المهدي محمد بن القاسم الحوثي(ع)، صدر عن مكتبة التراث الإسلامي.

وفي هذه الأيام صدر عن مركز أهل البيت(ع) للدراسات الإسلامية بصعدة:

م	الكتاب	المؤلف	المحقق
١	لوامع الأنوار (ثلاثة مجلّدات)	الإمام/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي	محمد علي عيسى
٢	مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد بن علي(ع)	الإمام الأعظم/زيد بن علي(ع)	إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي
٣	الإفادة في تاريخ الأئمة السادة	الإمام أبوطالب يحيى بن الحسين الهاروني(ع)	إبراهيم بن مجدالدين المؤيدي - هادي بن حسن بن هادي الحمزي

٤	الجامعة المهمّة لأسانيد كتب الأئمة	الإمام/ مجدالدين بن محمد المؤيدي	–
٥	سبيل الرشاد إلى معرفة ربّ العباد	السيد العلامة/ محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد(ع)	إسماعيل بن مجدالدين بن محمد المؤيدي
٦	الجواب الكاشف للإلتباس عن مسائل الإفريقي إلياس ويليه / الجواب الراقي على مسائل العراقي	السيد العلامة/ الحسين بن يحيى الحوثي، حفظه الله تعالى	–
٧	كتاب أصول الدين	الإمام الهادي إلى الحق/ يحيى بن الحسين(ع)	–

وهناك الكثير الطيّب في طريقه للخروج إلى النور إن شاء الله تعالى.

وأغتنم الفرصة لأتوجّه بالشكر الجزيل لموسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية لما قدّمته من خدمات جليلة للمركز، ونحمد الله تعالى أن كنّا جميعاً ثمرة من ثمار إمام أهل البيت الكرام(ع) في هذا العصر ، مولانا الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي - أيده الله تعالى - متشرّفين بالعمل تحت رايته، وما نحن إلا حسنة من حسناته، والتفاتة من جنابه، بارك الله في أيّامه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

كما أتوجّه بالشكر الجزيل لكلّ من شارك في إخراج هذه الكنـــوز إلى النـــور، وأخصّ بالذكر الإخوان الكرام الذين كان لهم الدور البارز في جميع إصدارات مركز أهل البيت(ع) للدراسات الإسلامية بصعدة، وهم/

علي بن مجدالدين بن محمد المؤيدي.

هادي بن حسن بن هادي الحمزي.

إسماعيل بن مجدالدين بن محمد المؤيدي.

صالح علي علي أبو زيد.

وأخيراً أتوجّه إلى الله العلي القدير بالدعاء الخالص لمولانا شيخ الإسلام وإمام أهل البيت الكرام ، مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي أيـــده الله تعـــالى، علـــى رعـــايته الكريمة للمركز ، فمن حرصه الشديد على بعث كنوز أهـــل البيـــت(ع) ومفاخرهم؛ كان هذا المركز، نسأل الله سبحانه وتعالى بحق محمد وآله، أن يكتب له ذلك في ميزان حسناته، وأن يجزيه عن أمة جدّه خير الجزاء ، وأن يمـــدّ في عمـــره المبارك.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى أهل بيتـــه الطيبـــين الطاهرين.

مدير المركز/

إبراهيم بن مجدالدين بن محمد المؤيدي

اليمن - صعدة، ت(٥١١٨١٦)، ص ب (٩١٠٦٤)

تقديم لمولانا شيخ الإسلام وإمام أهل البيت الكرام/

مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي

أيده الله تعالى وبارك في أيّامه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، الذي رفع درجات العلماء العاملين، وحفظ بهم نيّرات حججه على العالمين، ووصلهم بمتواتر إفضاله، وغامر نواله، وأبلغهم من كرامته أعلا علّيين، وجعلهم لدينه أعلام الاقتداء، وأنوار الاهتداء، إلى يوم الدين.

والصلاة والسلام على نبيه الأكبر، ورسوله الأطهر، سيّد البشر، الخاتم لما سبق من أنباء النبوة، والفاتح لما انغلق من أخبار الرسالة، المأخوذ ميثاقه على جميع الأمم؛ رحمته للعالمين، وحجته البالغة على الأولين والآخرين، ختام النبيين، وإمام المرسلين، أبي القاسم، محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب بن هاشم.

وعلى أخيه ووصيه، وابن عمه ووليّه ونجيّه، وباب مدينة علمه، من يدور معه الحق والقرآن ، المنزل منه تارة منزلة هارون من موسى (ع)، وأخرى بمنزلة نفسه كما نطق به الفرقان، في آل عمران، ولي المؤمنين، بنصّ الكتاب المبين، ومولى المسلمين ، بتبليغ خاتم المرسلين، من مهّد اللّه بسيفه وعلمه قواعد الإسلام، وأورثه علم أنبيائه ورسله الكرام، أبي الأئمة الأطايب، والنجوم الثواقب، علي بن أبي طالب.

وعلى آله عترته وورثته، خيرة اللّه من ذؤابة إسماعيل، وحملة حجته من سلالة إبراهيم الخليل، قرناء الكتاب، وأمناء رب الأرباب، وأمان أهل الأرض من العذاب، مصابيح الظُلم، ومفاتيح البهم، وينابيع الحكم، المشهود بعصمة جماعتهم، وحجيّة إجماعهم، بآي التطهير والمودة، والأمر بالطاعة والشهادة، والاصطفاء

والاعتصام، وأحاديث التمسك والسفينة والأمان، وأخبار الكساء، ومالا يحاط بـــه كثرة، كتاباً وسنة، وما أصدق قول قائلهم:

ولهم فضائل لست أحصي عدّهـــا ... من رام عـــدّ الشـــهب لم تتعـــدد
والقوم والقرآن فاعرف قدرهـــم ... ثَقَـــلان للثَّقَلَـــين نـــصّ محمـــد

اصطفاهم الله للقيام بالسنة والفرض، وإن رغمت أنوف أولي النصب والرفـــض، وارتضاهم لخلافة جدّهم في الأرض، إلى يوم العرض، ولله قائلهم:

ومـــا إنْ زال أولنـــا نبيـــا ... ولا ينفـــك آخرنـــا إمامـــا
يصلـــي كـــلُّ محتلـــم علينـــا ... إذا صلـــى ويتبعهـــا الســـلاما

ورضوان الله على الصحابة الأبرار، من المهاجرين والأنصـــار، والتـــابعين لهـــم بإحسان، على مرّ الأزمان، **وبعد:**

فهذا المجموع المبارك مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم، أمير المؤمنين، فـــاتح باب الجهاد والإجتهاد، الغاضب لله في الأرض، ومقيم أحكام الســـنة والفـــرض، أبوالحسين زيـــد بن علي سيّد العابدين بن الحسين السبط بن أمير المؤمنين وســـيّد المسلمين ووصي رسول رب العالمين علي بن أبي طالب(ع).

وهو أخو باقر علم الأنبياء، وهو مجدد المائة الأولى.

وفيه آثار عن جده، وفي سائر الأئمة خصوصاً وعموماً.

قال الإمام الهادي عليه السلام: ومما روى الحسين بن علي بن أبي طالب عليـــه السلام، قال: أخبرني أبي، قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنه سيخرج مني رجـــل يقال له زيد، فينتهب ملك السلطان، فيُقتل، ثم يُصعد بروحه

إلى السمـــاء الدنيا، فيقول له النبيون: جزى الله نبيك عنا أفضل الجزاء، كما شــــهد لنا بالبلاغ، وأقول أنا: أقررتَ عيني يا بنيّ وأدّيتَ عنّي)) إلى آخر الخبر، انتهى.

وخطب أمير المؤمنين على منبر الكوفة، فذكر أشياء وفتناً، حتى قال: (ثم يملـــك هشام تسع عشرة سنة ، وتواريه أرض رصافة، رُصفت عليه النار، مالي ولهشام جبّار عنيد، قاتل ولدي الطيب المطيّب، لا تأخذه رأفة ولا رحمة، يصلب ولدي بكناســـة الكوفة، (زيـــد) في الذروة الكبرى من الدرجات العلى، فإن يُقْتل زيد، فعلى ســـنّة أبيه، ثم الوليد فرعون خبيث، شقي غير سعيد، ياله من مخلوع قتيل، فاسقها وليـــد، وكافرها يزيد، وطاغوتها أزيرق)..إلى آخر كلامه صلوات الله عليه، رواه الإمـــام المنصور بالله(ع) وغيره من أئمة أهل البيت(ع).

سبب الإنتماء إلى الإمام زيد بن علي عليه السلام، ومعناه

ولما ظهرت الضلالات، وانتشرت الظلمات، وتفرّقت الأهواء، وتشتت الآراء في أيام الأموية ـــ وإن كان قد نجم الخلاف في هذه الأمة من بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وســـلم إلا أنها عظمت الفتن وحلّت المحن في هذه الدولة ــــــ، وصـــار متلبّساً بالإسلام مَنْ ليس من أهله، وادّعاه من لا يحوم حوله، وقام لرحضِ الديـــن، وتجديد ما أتى بـــه رســـول رب العالمين الإمام زيد بن علي(ع) يقدم طائفة مـــن أهل بيته وأوليائهم، وهي الطائفة التي وعَدَ اللهُ الأمة على لسان نبيها صلى الله عليـــه وآله وسلم أنها لن تزال على الحق ظاهرة، تقاتل عليه إلى يوم الدين.

أعلن[1] أهل البيت صلوات الله عليهم الإعتزاء إلى الإمام زيد بن علي(ع) بمعنـــى أنهم يدينون الله بما يدينه، من: التوحيد، والعدل، والإمامة ؛ ليظهروا للعبـــــاد مـــا

---

(١)- جواب لَمّا.

يدعونهم إليــه من دين الله القويم ، وصراطه المستقيم، وكان قد أقام الحجة، وأبان المحجة، بعد آبائه صلوات الله عليهم، فاختاروه علماً بينهم وبين أمة جدهم.

قال الإمام الكامل عبدالله بن الحسن بن الحسن: (العَلَم بيننا وبين الناس علي بـــن أبي طالب، والعلم بيننا وبين الشيعة زيد بن علي).

وقال ابنه الإمام محمد بن عبدالله النفس الزكية: (أما والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين، وأقام عمود الدين إذْ اعوجّ، ولن نقتبس إلا من نوره، وزيـــد إمام الأئمة)، انتهى، فلم يزل دعاء الأئمة، ولا يزال على ذلك إن شاء الله إلى يـــوم القيامة.

وكان أبو حنيفة النعمان بن ثابت ـــ المتوفى سنة مائة وخمسين ـــ من تلامـــــذة الإمام زيد بن علي وأتباعه.

وحال الإمام الرضي، السابق الزكي، الهادي المهدي، زيد بن علي، وقيامه في أمة جده؛ طافح بين الخلق، و لم يفارقه إلا هذه الفرقة الرافضة التي ورد الخبر الشـــــريف بضلالها.

وفي فضل زيد ما روى محمد بن سالم، قال: قال لي جعفر بن محمد: يا محمد، هل شهدتَ عمي زيداً؟

قلت: نعم.

قال: فهل رأيتَ فينا مثله.

قلتُ: لا.

قال: ولا أظنّك والله ترى فينا مثله إلى أن تقوم الساعة، كان والله سيّدنا ما ترك فينا لدين ولا دنيا مثله.

وروي عن محمد بن علي أنه قال ـــ وأشار إلى زيد ـــ: هذا سيّد بني هاشم، إذا دعاكم فأجيبوه، وإذا استنصركم فانصروه.

ولما دعا الخلق إلى كتاب الله وسنة جده، أخبرهم بما عهد إليه آباؤه بأنه سيقتل ويُصلب، وأمرهم بالتثبت في الدين، وأن لا يقاتلوا على الشك.

وهو القائل صلوات الله عليه حين خفقت عليه الرايات: (الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرّني أني لقيتُ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم و لم آمر في أمته بمعروف، و لم أنههم عن منكر، والله ما أبالي إذا قمتُ بكتاب الله وسنة نبيّه أنه تأجّج لي نار، ثم قذفتُ فيها، ثم صرتُ بعد ذلك إلى رحمة الله، والله لا ينصرني أحد إلا كان في الرفيق الأعلى، مع محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ويحكم أما ترون هذا القرآن بين أظهركم، جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونحن بنوه، يامعاشر الفقهاء ويا أهل الحجا أنا حجة الله عليكم).

وقال: (نحن الأوصياء والنجباء والعلماء، ونحن خزّان علم الله، وورثة وحي الله، وعترة رسول الله، وشيعتنا رعاة الشمس والقمر) ـــ أي أهل المراقبة للصلوات في هذه الأوقات، بهذا المعنى فسّر كلامه الناصر للحق عليه السلام ـــ.

وقال ـــ والمصحف منشور بين يديه ـــ: (سلوني، فوالله ما تسألوني عن حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وأمثال وقصص، إلا أنبأتكم به، والله ما وقفتُ هذا الموقف إلا وأنا أعلم أهل بيتي بما تحتاج إليه هذه الأمة).

وله كرامات جمّة، حال قتله وصلبه وتحريقه:

منها: ظهور رائحة المسك منه بعد صلبه، حتى قال رجل لآخر: أهكذا توجد رائحة المصلوبين ؟ فسمعا هاتفاً يقول: هكذا توجد رائحة أبناء النبيين، الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.

ومنها: أن الله تعالى سخّر ما يمنع من كشفه عند صلبه، فنسجت عليه العنكبوت، فلما أزالوه استرخى من جسده من السرة إلى الركبة ما ستّر جميع ذلك.

ومنها: أنها لما كثرت الآيات حال بقائه أحرقوه، وذرّوه في البحر، فـاجتمع في الموضع كهيئة الهلال.

قال الديلمي ــ صاحب القواعد ــ: قد رأيناه، ويراه الصديق والعدوّ، بلا منازع، انتهى، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾...الآية، صلوات الله عليه وعلى الباذلين أنفسهم في رضاء الله حقاً.

فكلامه صلوات الله تعالى عليه مما يستحق الكتابة بالذهب.

جعلنا الله ممن استمسك بالعروة الوثقى، واعتصم بالحبل المتين الأقوى، واقتفى سويّ مناهجهم، ومشى على سنن أدراجهم، وهو دينه القويم، وصراطه المستقيم، إنه هو السميع العليم، وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي

غفر الله لهم وللمؤمنين

كتب بأمره ولده/ إبرهيم بن مجدالدين بن محمد المؤيدي

مركز أهل البيت(ع) للدراسات الإسلامية – اليمن – صعدة

مقدمة التحقيق

الحمد لله ذي الآلاء الغامرة، والنعم المتظافرة، والمنن المتواترة، والألطاف الباطنة والظاهرة، نحمده حمداً يوجب المزيد من إحسانه، فله الحمد أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة راغمة لأنوف الملحدين، داحضة لشبه الجاحدين، هاشمة لعقائد المنحرفين، المختص بصفات الكمال، المنزه عن النقصان والزوال.

ونشهد أن محمداً عبده المنتجب، ورسوله المرتضى، أرسله رحمة وهدى للعالمين، وبشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين، **وبعد:**

فإن التاريخ الإسلامي مليء بالشخصيات العظيمة التي خلّد التاريخ ذكرها، وكتبها في سطور صفحاته المشرقة، ومن ألمع وأعظم الشخصيات التي عرفها التاريخ الإسلامي، وتخلد ذكرها على مر الأزمنة والعصور، شخصية رائد من رواد الفكر والعقيدة الإسلامية، وقائد من قواد الحركة الفكرية والعسكرية، هو: **الإمام الأعظم، الشهيد الأكرم، زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** - عليهم السلام -.

الذي بهر التاريخ علماً وفضلاً وورعاً وزهداً وشجاعةً ونبلاً وفصاحةً وبلاغةً وسياسةً وتضحيةً وفداءً، وكان صاحب فكر وعقيدة، ورائد حركة، وقائد ثورة، ورئيس عصابة مؤمنة مرضية، وإمام فرقة إسلامية، ومحرر أمة من أسر الظلم، ومن قيود التقليد والعصبية.

الذي أجمعت أكثر الطوائف الإسلامية والفرق على تفضيله وعلمه، وأثنى عليه العلماء من شتى الفرق والمذاهب، وأصبح الكثير من العلماء المحققين ينسبون أنفسهم إليه وإلى عقيدته ومذهبه، وأصبحت كثير من الطوائف تتشبث به، وتنسب نفسها إليه، وتجعله من روّادها ومفكّريها.

فترى أن المعتزلة تدخله ضمن طبقاتها، وتدّعي كونه معتزلياً كما فعل ذلك القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي، وأثنى عليه علماء المعتزلة كالجاحظ في كتاب البيان والتبيين وشهد له بنهاية التقدم في علم الكلام.

وكجعفر بن حرب في كتاب الديانة، وكمحمد بن عبدالله أبو جعفر الإسكافي وغيرهم ، وينتسبون إليه في كتبهم، ويقولون: نحن زيدية، كما ذكر ذلك الإمام أبي طالب في الدعامة، ونشوان الحميري في الحور العين.

وترى أن أهل السنة ينسبون أنفسهم إليه، ويدّعون اتّباعه، ويجرونه إليهم، كما فعل ذلك الخطيب في كتابه (الإمام زيد المفترى عليه) حيث حاول أن يجعل زيداً ــ عليه السلام ــ أشعري المذهب.

وترى أن الجعفرية من الإمامية تحاول نسبته إليها، وتتمسك بشبه أوهى من نسج العنكبوت فيما تدعيه، وكذلك غيرها من الفرق.

فالإمام زيد ــ عليه السلام ــ يُذْكَرُ مع المتكلمين إنْ ذُكِروا، ويُذْكَر مع الزهّاد إنْ ذُكِروا، ويُذْكَرُ مع أهل الفقه ورواة الأحاديث إنْ ذُكِروا، ويُذْكَرُ مع الشجعان وأهل المعرفة بالضبط والسياسة إنْ ذُكِروا، ويُذْكَرُ مع الفصحاء والبلغاء، ويُذْكَرُ مع المفسرين إنْ ذُكِرُوا.

فهو البحر حدّث عنه ولا حرج، ولفضله وسبقه تجاذبته الطوائف، وافتخرت بنسبتها إليه، أو نسبته إليها وإلحاقه بعظمائها وعلمائها.

وكلّ يدعي وصلاً بزيدٍ وزيدٌ لا يقرّ لهم بوصلِ

ولكن الإمام زيد ــ عليه السلام ــ قد رسم مبادئه، وبين عقائده، التي يتضح بها صدق أو كذب الطوائف التي تنتسب إليه.

فقد زبرها ــ عليه السلام ــ في كتبه ورسائله التي تداولها الخلف عن السلف، وتلقاها من تأخر عمن تقدم، وأخذها أهل كل طبقة عمن فوقهم، ورواها الأصاغر عن الأكابر ؛ بالأسانيد الصحيحة التي تؤكد صحة نسبتها إليه ــ عليه السلام ــ بحيث لا يتطرق الشك في ذلك.

فالزيدية بصفتها تنتسب إلى الإمام زيد ــ عليه السلام ــ حتى كان اشتقاق اسمها ــ كطائفة أو فرقة ــ من اسمه كقائد وإمام ــ كان لها الدور الكبير في إيصال تلك الكتب والرسائل إلينا ؛ حيث نقلها علماؤها وأئمتها ورووها في كتبهم بأسانيدهم المتصلة بالإمام زيد ــ عليه السلام ــ، كما هو شأن سائر المؤلفات تنسب إلى مؤلفيها بالأسانيد والإجازات، كما هو معروف ومشهور.

وهذه الرسائل والكتب والأجوبة والأقوال تبحث في مواضيع متعددة، وفنون كثيرة في صلب العقيدة الإسلامية، وتبين ما هو رأي الإمام زيد ــ عليه السلام ــ فيها، وما هو قوله الذي يستدل على صحته بالاستدلالات القرآنية الصريحة؟

فهي توضّح عقيدة الإمام زيد في أهم مفاهيم الإسلام وأسس الدين وهو علم أصول الدين الذي يبحث في توحيد الله وعدله ووعده ووعيده، وفي مسألة الإمامة التي فيها دار الاختلاف الواسع الكثير.

فعند النظر في أقوال الطوائف التي تنسب أنفسها إلى الإمام زيد، وفي كتب ورسائل الإمام زيد نستطيع أن نتبيّن الفرقة المنتسبة إليه عقيدة ومذهباً ونظرية وتطبيقاً.

ومن خلال الدراسة حول موضوع الكتب والرسائل يتبين ذلك إن شاء الله تعالى.

وسيتبين أيضاً بطلان كثير من الأقوال المنسوبة إلى الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

وقد حاولنا أن نجمع بعض أو أكثر كتب ورسائل الإمام زيد ــ عليه السلام ــ وبعض خطبه وأقواله، وأجوبته وفتاواه التي تقرب للناظر البحث.

ولكوننا ــ ولله الحمد ــ زيدية، وهو إمامنا، نريد أن نبين للطوائف صحة انتسابنا وانتماءنا إليه، وسلوكنا نهجه، واعتقادنا عقيدته.

والكلام والبحث يطول، والغرض الإشارة والتنبيه، وكما يقال: الإشارة تغني عن الإطناب في العبارة، والوامض اليسير يدل على النو المطير.

وإنما قدمت هذا المقطع من الكلام لينبني عليه ما أردته من المقدمة، وقد قسمت المقدمة إلى أقسام:

القسم الأول: في بيان ما اشتمل عليه هذا المجموع من الكتب والرسائل للإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

القسم الثاني: في توثيق نسبتها إليه ــ عليه السلام ــ.

القسم الثالث: في تراجم رواتها.

القسم الرابع: في مواضيعها التي تبحث عنها.

القسم الخامس: في ترجمة موسعة للإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

وسأتحرى في البحث الميل إلى الاختصار، والتجنب من الإكثار، والله ولي التوفيق.

فنقول وبالله نصول:

الكتب والرسائل التي اشتمل عليها المجموع

أما القسم الأول: وهو في بيان ما اشتمل عليه هذا المجموع فقد اشتمل على بعض كتب ورسائل ومكاتبات وخطب وأقوال وأجوبة وفتاوى، وأدعية وتفسير، وأشعار للإمام زيد ــ عليه السلام ــ **فالكتب هي:**

١ـــ كتاب الإيمان.

٢ـــ كتاب تثبيت الإمامة.

٣ـــ كتاب تثبيت الوصية.

٤ـــ كتاب الرد على المجبرة.

٥ـــ كتاب الصفوة.

٦ـــ كتاب مدح القلة وذمّ الكثرة.

٧ـــ كتاب مقتل عثمان بن عفان.

وأما الرسائل فهي:

١ـــ رسالة الإمام زيد إلى علماء الأمة.

٢ـــ رسالة الإمام زيد في الحقوق.

٣ـــ الرسالة المدنية (كتبها جواباً على أسئلة وردت من المدينة).

والأجوبة والفتاوى هي:

١ـــ تفسير آيات من كتاب الله سُئل عنها ـــ عليه السلام ـــ.

٢ـــ جواب الإمام زيد ـــ عليه السلام ـــ على واصل بن عطاء في الإمامة.

٣ـــ جوابه ـــ عليه السلام ـــ على أحد النصارى.

٤ـــ جوابه على أسئلة بكر بن حارثة.

٥ـــ جوابات عن أسئلة متفرقة في: (المهدي - الرَّجْعَة - آية الرد - المتعة - التأمين في الصلاة).

وأما الخطب والمكاتبات والمقالات، فهي:

أولاً: خطبه ـــ عليه السلام ـــ:

١ـــ من خطبة له يوصي فيها بتقوى الله.

٢ـــ من خطبة له يبين فيها آداب الجهاد.

٣ــ من خطبة له حين خرج.

٤ــ من خطبة له حين خفقت رايات الجهاد.

٥ــ من خطبة له خطب أصحابه قبل بدء القتال.

ثانياً: المكاتبات:

١ــ كتاب إلى أهل الكوفة وجميع الآفاق كتبه قبل خروجه بخمسة وأربعين يوماً.

٢ــ من كتاب كتب به إلى عمر بن عبد العزيز.

٣- من كتاب كتب به إلى نصر بن سيار.

ثالثاً: مقالاته وكلامه:

١ــ من كلام له في وصف القرآن.

٢ــ من كلام له في وصف خروجه.

٣ــ من كلام له في علم أهل البيت.

٤ــ من كلام له في تفسير خبر المنزلة.

٥ــ من كلام له في قولــه تعــالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

٦ــ من كلام له يحرض أصحابه على القتال.

٧ــ من كلام له في صفة الإمام.

٨ــ من كلام له في الإمامة.

٩ــ من كلام له في الإمام المفترضة طاعته.

١٠ــ من كلام له في المهدي المنتظر.

١١ــ من كلام له في من يقول بالتناسخ.

١٢- من كلام له في نصيحة ابن آدم.

١٣- من كلام له في التقوى.

١٤- من كلام له في الوعظ.

١٥ــ كلام متفرق في (الذنوب ــ الموت ــ الجاهل ــ النصائح ــ وغيرها).

وأما الأدعية فهي:

١ــ من دعائه في الإنابة والتضرع.

٢ــ من دعائه حين خرج من المدينة إلى الشام.

٣ــ من دعائه على الظالمين (بعد رجوعه من الشام).

٤- من دعاء له عليه السلام في الصلاة على النبي وآله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، وذكْر الدنيا.

وأما أشعاره ــ عليه السلام ــ:

فهي منتزعة وملتقطة من مواضع متعددة، وفي مواضيع متفرّقة.

توثيق نسبة الرسائل إلى الإمام زيد ـ عليه السلام ـ

وأما القسم الثاني: وهو توثيق نسبتها إليه ــ عليه السلام ــ:

فقد ذكرها الأئمة الأعلام، وشيعتهم الكرام في مؤلَّفاتهم، ورووها بأسانيدهم.

فمن الكتب التي ذكرت فيها ـ أذكر بعضها ـ:

أولاً: أنوار اليقين في إمامة أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ للإمام المنصور بالله الحسن بن بدر الدين.

ذكر فيها : ١-كتاب تثبيت الإمامة، ورواها بالإسناد الموصل لها إلى الإمام زيد ــ عليه السلام ــ عن شيخه يحيى بن عطية إلى آخر السند المذكور في أول الرسالة.

٢ــ كتاب مقتل عثمان بن عفان.

٣ــ بعض ما روي عنه ــ عليه السلام ــ من الأقوال.

ثانياً: كتاب (الكاشف لبصائر الأكياس على مذاهب القدرية الأرجاس) للشيخ العلامة الفاضل أحمد بن الحسن الرصاص، وقد ذكر فيه كتاب الإيمان، ورواه بإسناده المتصل إلى الإمام زيد ـ عليه السلام ـ وهو مذكور في أول الكتاب.

ثالثاً: كتاب الحدائق الوردية للفقيه العلامة الشهيد حميد بن أحمد المحلي، وقد ذكر فيه بعض خطب الإمام ـ عليه السلام ـ وأقواله وأشعاره.

رابعاً: كتاب الأمالي الإثنينية للإمام المرشد بالله يحيى بن الإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني ذكر فيه كتاب مدح القلة والكثرة بسنده المتصل إلى الإمام زيد ـ عليه السلام ـ، وذكر فيه بعض أقواله وأدعيته ـ عليه السلام ـ.

خامساً: كتاب التحفة العنبرية في ذكر المجددين من أبناء خير البرية، للعلامة محمد بن الإمام عبدالله بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن عليهم السلام، ذكر فيه بعض مكاتبات الإمام زيد عليه السلام، وأدعيته، وجوابه على النصراني، وبعض الأشعار، وغيرها.

سادساً: كتاب المنهاج الجلي في شرح مجموع الإمام زيد بن علي عليهما السلام، للإمام المهدي لدين الله محمد بن الإمام المطهر بن يحيى عليهم السلام.

سابعاً: كتاب المحيط بالإمامة للفقيه العلامة علي بن الحسين الزيدي، ذكر فيه بعض ما نقلناه مما روي من الأقوال والأجوبة والأشعار للإمام زيد عليه السلام.

ثامناً: كتاب مجموع أخبار ورسائل وكتب الإمام زيد ـ عليه السلام ـ برواية السيد العلامة عماد الدين يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد، وقد ذكر فيه جميع الكتب والرسائل والخطب والأقوال والأجوبة والفتاوى والأدعية والتفاسير للإمام زيد ـ عليه السلام ـ ما عدا النزر اليسير منها أضفناه مع ذكر المصدر المنقول عنه.

والسيد عماد الدين يروي المجموع بالإجازة عن العلامة أحمد بن سعد الدين المسوري، عن الإمام القاسم بن محمد، عن السيد أمير الدين، عن السيد أحمد بن عبدالله الوزير، عن الإمام شرف الدين، عن السيد إبراهيم بن محمد الوزير بسنده المعروف إلى علي بن كاس النخعي بسنده إلى الإمام زيد — عليه السلام —.

ذكر ذلك في طبقات الزيدية، وغيرها من الكتب التي يطول البحث في تعدادها وذكرها.

وقد اعتمدتُ فيه على نسختين: **الأولى**: من مكتبة سيدي وشيخي العلامة الولي/ محمد أحمد أبو علي حفظه الله تعالى وأبقاه، وهي بخطوط مختلفة، وكُتبت في أوقات مختلفة، والظاهر أنها كُتبت في عام ١٠٧٢هـ، إلى ١٠٧٣هـ.

الثانية: من مكتبة مولانا الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي أيده الله تعالى وحفظه، وهي بخط السيد العلامة أحمد بن الإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي.

سند الرسائل

ثم إذا تقرر ما تقدم ؛ فأقول:

يروي المفتقر إلى الله تعالى إبراهيم بن يحيى الدرسي جميع كتب ورسائل ومؤلفات الإمام زيد — عليه السلام — بالإجازة العامة عن الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي — أيده الله تعالى وحفظه — عن شيخه ووالده العلامة الولي محمد بن منصور المؤيدي، عن الإمام المهدي لدين الله محمد بن القاسم الحوثي، عن الإمام المنصور بالله محمد بن عبدالله الوزير، عن السادة العلماء الأعلام يحيى بن عبدالله بن عثمان الوزير، وأحمد بن زيد الكبسي، وأحمد بن يوسف زبارة، وثلاثتهم يروون عن السيد الإمام الحسين بن يوسف زبارة، عن أبيه يوسف

بن الحسين، عن أبيه الحسين بن أحمد، عن السيد الإمام عامر بن عبدالله بن عامر الشهيد، عن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد، عن السيد العلامة أمير الدين بن عبدالله الحوثي، عن أحمد بن عبدالله الوزير، عن الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين، عن السيد الإمام صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير، عن السيد أبي العطايا عبدالله بن يحيى..إلى آخر السند المذكور في الجامعة المهمة ولوامع الأنوار.

وثمّة طرق غير هذا الطريق كلّها مفصّلة في كتاب لوامع الأنوار للإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي.

والغرض هو قطع الشكوك التي قد تَرِد في نسبة هذه الرسائل إلى الإمام زيد - عليه السلام - وإلاّ فهي ظاهرة في صحّة النسبة إليه ــ عليه السلام ــ، وقد نقل عنها الكثير من النصوص جماعة وافرة من العلماء في بعض كتبهم، استدلالاً واحتجاجاً.

تراجم رواة الرسائل

القسم الثالث في تراجم رواة الرسائل:

وقد اعتمدنا في التراجم على ما ذكره في المجموع الذي برواية السيد عماد الدين يحيى بن الحسين، ورتّبنا ذلك على حروف المعجم.

حرف الهمزة

١ــ إبراهيم بن الحكم بن ظُهَيْر أبو إسحاق الفزاري الكوفي

روى عن شريك وأبيه الحكم وغيرهم، وعنه محمد بن مروان القطان ونصر بن مزاحم، من علماء الكوفة، ورواة الشيعة.

قال الذهبي: شيعي جلد، وقال أبو حاتم: كذاب، روى في مثالب معاوية فمزقنا ما كتبنا عنه، وقال الدارقطني: ضعيف.

ولا يلتفت إلى أقوالهم فيه وفي غيره من ثقات الشيعة فأسباب ما يجرحون به، هو في الحقيقة تعديل وتوثيق.

قال في الجداول: عداده في ثقات محدثي الشيعة.

وقال في الطبقات: روى كثيراً من مناقب الآل فجُرح بسببها.

انظر: طبقات الزيدية ـ خ ـ ميزان الإعتدال (١٤٦/١)، الجداول (خ).

٢ـ إبراهيم بن عبدالله بن العلا بن زَبْر - بفتح الراء المعجمة وإسكان الباء- الربعي الدمشقي.

يروي عن أبيه عن زيد بن علي ـ عليه السلام ـ وعن عبدالله بن موسى بن جعفر، وعنه عبدالله بن محد البلوي، وعباد بن يعقوب وغيرهما، وهو أحد رواة الفضائل لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ، خرّج له محمد بن منصور وأبو طالب والمرشد بالله، احتج به البخاري والأربعة.

طبقات الزيدية، الجداول.

٣ـ أحمد بن الحسن بن محمد بن أبي الطاهر أحمد بن إبراهيم الرصاص.

من علماء الهدوية الكبار، درس على والده الشيخ الحسن بن محمد الرصاص، وكان عالماً متبحراً أصولياً بحراً في الأصول، وكتبه الأصولية معتمدة عند الزيدية، له الكثير من المؤلفات في علم الكلام منها: مصباح العلوم في معرفة الحي القيّوم، والخلاصة وغيرهما. توفي في شهر محرم الحرام سنة (٦٢١هـ).

مطلع البدور ـ خ ـ المستطاب ـ خ ـ طبقات الزيدية ـ خ ـ.

٤ـ أحمد بن عبدالله بن أبي دارة الحسين بن إسماعيل الضبي المحاملي.

يروي عن إسحاق بن محمد بن مروان الغزال، وعنه السيد أبي عبدالله العلوي.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥٣٨/١٦: سمع النجّاد، وأبا سهل بن زياد، ودعلجاً م،وطائفة ، وعنه : الخطيب، وأبو الفضل بن خيرون، وأبو غالب الباقلاني، وآخرون، قال الخطيب: سماعه صحيح، حدث له صمم في سنة ثمان، ومات سنة تسع وعشرين وأربعمائة، في ربيع الآخر، عن ست وثمانين سنة، انتهى.

٥ــ الإمام الحافظ البحر المتقن العلامة أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبدالله الهمداني الكوفي الحافظ، مولى بني هاشم المعروف بابن عقدة الزيدي.

محدث الكوفة، ولد بالكوفة سنة (٢٤٩هـ) يعد في الأمناء من رجال الشيعة الأماثل، وفي الأجلاَّء من علمائهم الأفاضل، لما عرف به من عفة وسداد، وورع واجتهاد، من أعلام الحديث المشهورين بسعة العلم، وقوة الحفظ، بحث فاستقصى، وجمع فأوعى.

كان يقال له: (نادرة الزمان).

قال الدارقطني: (أجمع أهل الكوفة أنه لم يُرَ في زمن ابن مسعود إلى زمن ابن عقدة أحفظ منه)، وعقّب الذهبي على ذلك بقوله: (ويمكن أن يقال لم يوجد أحفظ منه إلى يومنا هذا وإلى قيام الساعة).

كان يحفظ مائة ألف حديث بأسانيدها، ويجيب في ثلاثمائة ألف حديث أكثرها من حديث أهل البيت ــ عليهم السلام ــ.

وله الكثير الطيب من المؤلفات، منها: كتاب الولاية في تخريج خبر الغدير وطرقه، كتاب من روى عن الإمام علي (ع) ومسنده وغيرها كثير. وتوفي ــ رحمة الله عليه ــ سنة (٣٣٢هـ).

انظر: مطلع البدور ــ خ ــ المستطاب ــ خ ــ ميزان الإعتدال (٢٨١/١) طبقات الزيدية ــ خ ــ معجم الرواة في أمالي المؤيد بالله.

٦- أحمد بن يحيى بن أحمد بن زيد بن ناقة المسلي الكوفي، أبو العباس المقري.

كان عالماً فاضلاً، له عناية بالرواية والنحو، فقيه نحوي، مولده سنة (٤٧٧)، يروي عن محمد بن علي أبي الغنائم النرسي، وعنه علي بن مهذب العلوي، وفاته سنة (٥٥٩)هـ، وقيل (٥٥٧) هـ، وله مؤلفات منها: المسائل الكوفية في النحو على وجه الإلغاز وشرحها.

الطبقات(خ)، أعلام المؤلفين الزيدية ١٩٧.

٧- إسحاق بن محمد بن مروان القطان، أبو العباس الكوفي.

روى عن أبيه، وحصين بن مخارق، وعمرو بن القاسم، والجعابي وغيرهم ؛ قال في طبقات الزيدية: أخرج له أئمتنا السادة المؤيد بالله، وأبو طالب، والمرشد بالله، ووثقه المؤيد بالله، واحتجوا به.

٨- إسماعيل بن إسحاق بن راشد الراشدي.

عن يحيى بن سالم ومحمد بن داود والفتح بن صالح، وعنه محمد بن الحسين الأشناني، وعبد الرحمن بن القاسم، وعلي بن العباس بن الوليد المقانعي.

طبقات الزيدية.

٩- إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة - أبو محمد السدي القرشي.

سمي بالسُّدي لأنه كان يقعد في سدة الجامع، وهو السدي الكبير، واشتهر بلقبه عند أئمتنا - عليهم السلام -، من تلامذة الإمام زيد وأحد الرواة المشهورين عنه، روى عنه الثوري وشعبة وغيرهما، وهو من الشيعة الثقات، وقد قدح فيه الخصوم لتشيعه ورموه بالرفض.

توفي سنة (١٢٧هـ)، وثقه أحمد، وقال ابن عدي هو عندي صدوق، وقال ابن المديني: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما رأيت أحداً يذكر السدي إلا بخير، وما تركه أحد.

الطبقات (خ)، ميزان الإعتدال (٣٩٥/١)، تهذيب التهذيب (٢٥٧/١).

١٠ــ إسماعيل بن يزيد العطار.

يروي عن حسين بن نصر بن مزاحم المنقري، ويروي عنه علي بن محمد بن مخلد الكوفي.

حرف الجيم

١١ــ جعفر الثالث بن عبدالله رأس المذري بن جعفر الثاني بن عبدالله بن جعفر بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، أبو علي المحمدي.

روى عن الحسن بن الحسين العرني، وإسماعيل بن صبيح، ومحمد بن جبلة الطحان؛ وعنه: ابن عقدة، وأبو نصر البخاري، وعيسى بن محمد العلوي، وعلي بن إبراهيم البجلي.

طبقات الزيدية (خ).

حرف الحاء المهملة

١٢ــ الحسن بن الحسين العرني ــ بضم العين وفتح الراء ــ الكوفي الأنصاري، من رؤساء الشيعة، وأحد المبايعين للإمام يحيى بن عبدالله بن الحسن كما ذكر ذلك أبو العباس الحسني والإمام أبي طالب، روى عن زيد بن الحسن الأنماطي، ويحيى بن مساور، وشريك بن عبدالله وغيرهم، وروى عنه عيسى بن مهران، والحسين بن الحكم الحبري، وجعفر بن عبدالله المهدي، وكان ثقة.

قال في الجداول: كان أحد ثقات الشيعة.

طبقات الزيدية (خ)، الجداول(خ).

١٣ــ الحسن بن علي بن عمر أبو القاسم الكوفي.

يروي عن علي بن العباس المقانعي، وعنه أبو عبدالله العلوي.

١٤ــ الحسن بن علي بن الحسن بن الحسن بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ــ عليهم السلام ــ أبو الطاهر العلوي، المعروف بابن معية ــ وهي أُمُّه ــ.

قال في طبقات الزيدية: سمع الجامع الكافي على مؤلفه أبي عبدالله العلوي، وسمع عليه أيضاً الرسالة لزيد بن علي في تثبيت الوصية لعلي ــ عليه السلام ــ، وأخذ عنه محمد بن محمد بن غبرة الحارثي.

طبقات الزيدية (خ).

١٥ــ الحسن بن علي بن مُلاعِب الأسدي ــ أبو علي المفسر ــ.

قال في طبقات الزيدية: الشيخ العدل، سمع عن عدد من العلماء كأبي البركات عمر بن إبراهيم، ومحمد بن أحمد بن بحسل العطار، ومحمد بن علي النرسي أبو الغنائم وغيرهم، ومن تلامذته القاضي جعفر.

وقال في الطبقات: المسند المحقق الشهير كان من رجال زيدية الكوفة الكبار، ونحاريرهم الخيار..إلى قوله: ولعل موته في الخمسين بعد الخمسمائة، والله أعلم.

قال في الطبقات ــ حكاية عنه ــ: قال: أخبرنا بالرسالة لزيد بن علي ــ عليه السلام ــ في تثبيت الإمامة الشريف عمر بن إبراهيم إجازة، وذكر - أي صاحب الطبقات - في ترجمة القاضي جعفر أنه سمع - أي القاضي جعفر - الرسالة على شيخه الحسن بن ملاعب. انتهى، الطبقات (خ).

١٦ــ الإمام المنصور بالله الحسن بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبدالله بن الإمام المنتصر محمد بن الإمام المختار القاسم بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق ــ عليهم السلام ــ.

كان من أعيان وجوه العترة علماً وفصاحة ورئاسة وفراسة، وزعامة وخطابة وتصنيفاً، من الأئمة الدعاة، دعا إلى الله تعالى سنة (٦٥٧هـ) الخامس والعشرين من شهر شوّال، بايعه أكثر علماء عصره، وأقام العدل ونشر العلم، ولم يزل آمراً وناهياً ومجاهداً في سبيل الله حتى توفي سنة (٦٧٠هـ)، وله مؤلفات منها أنوار اليقين في إمامة أمير المؤمنين وغيرها وقبره في هجرة رغافة مشهور مزور.

١٧ـ الحسن بن محمد بن سعيد بن مسلم المقري الرَّفّاء، أبو القاسم الكوفي، وربما نسب إلى جده فقيل الحسن بن مسلم.

روى عن جعفر بن محمد البغدادي، وعلي بن أحمد، ومحمد بن الحسن الأوسي، وعلي بن العباس البجلي وغيرهم، وروى عنه: علي بن محمد بن إسحاق، وعلي بن محمد الشيباني وغيرهما، من الشيعة المعتمدين العدول.

١٨ـ الحسين بن نصر بن مزاحم المِنْقَري.

روى عن أبيه نصر بن مزاحم، وخالد بن عيسى العلكي، وروى عنه: محمد بن منصور المرادي، وأبو الفرج الأصفهاني، وحسن المزني.

من الشيعة الثقات، وثقه المؤيد بالله، وخرج له أئمتنا الخمسة إلا الجرجاني، وخرج له الطبراني ووثقه، وقال: كوفي ثقة. الطبقات (خ)، رأب الصدع (١٧٤٥/٣).

١٩ـ الفقيه العلامة حسام الدين لسان المتكلمين، المجاهد الشهيد **حُمَيد بن أحمد المحلّي** ـ بفتح الميم ـ الهمداني الوادعي.

كان من كبار العلماء وأعيانهم، من تلامذة الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ـ عليه السلام ـ وأنصاره وأتباعه، وأحد أعضاد وعيون أنصار الإمام الشهيد أحمد بن الحسين ـ عليه السلام ـ.

قال العلامة أحمد بن سعد الدين المسوري: (كان ــ رحمه الله ــ وحيد عصره، فريداً في دهره، شحاك الملحدين، وغيظاً للجاحدين، وسيفاً لا ينبو في الذب عن الدين، أنفق عمره في العلم والعمل والرد على المخالفين لأهل بيت رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ والنشر لفضائلهم، وله المصنفات الرائقة، والتعليقات الفائقة، والرسائل التي هي بالحق ناطقة).

له المؤلفات العظيمة مثل: الحدائق الوردية، ومحاسن الأزهار، والعمدة في أصول الدين، وغيرها.

قُتل شهيداً بين يدي الإمام أحمد بن الحسين سنة (٦٥٢هـ).

التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية (٢٤٦)، لوامع الأنوار (٤٦/٢)، مطلع البدور (خ).

٢٠ــ الحكم بن ظُهَيْر ــ بضم الظاء المعجمة وفتح الهاء ــ أبو محمد الكوفي الفزاري.

روى عن السدي فأكثر، ومما روى عنه رسالة لزيد بن علي، وروى أيضاً كتاب الصفوة وكتاب تثبيت الإمامة، وروى عن علقمة بن مرثد، وعمر بن أبي ليلى، وروى عنه: الثوري، وابن المبارك، وطلق.

ضعّفه الخصوم، ورموه بالرفض، لتشيعه ورواية فضائل أهل البيت ــ عليهم السلام ــ

وتلك شَكاةٌ ظاهر عنك عارها

توفي بعد سنة (١٨٠هـ)، أخرج له الترمذي، ومحمد بن منصور فأكثر، والمؤيد بالله، والمرشد بالله، وصاحب المناقب (ابن المغازلي).

الطبقات (خ)، رأب الصدع (١٨٨٠/٣).

حرف الخاء

٢١ـ خالد بن صفوان بن عبدالله بن عمرو بن الأهتم المنقري، أبو صفوان الكوفي التميمي، الخطيب المصقع المفوه، الأديب البليغ.

من فصحاء العرب، كان يجالس عمر بن عبدالعزيز، وهشام بن عبدالملك، وله معهما أخبار، ولد ونشأ بالبصرة، وكان أيسر أهلها مالاً.

قال الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ـ عليه السلام ـ: هو الخطيب المصقع أخذ علم الكلام عن عمرو بن عبيد، أحد الرواة عن الإمام زيد ـ عليه السلام ـ والآخذين عنه، ومن أهل العدل والتوحيد. وروى عنه: مساور. توفي سنة (١٣٣هـ).

طبقات الزيدية (خ)، رجال الإعتبار وسلوة العارفين.

٢٢ـ خالد بن مختار الثمالي.

يروي عن الإمام زيد ـ عليه السلام ـ وأبي حمزة الثمالي، وعن ربيع بن حبيب كتاب السِّيَر للإمام محمد بن عبدالله النفس الزكية، وروى عنه الحسن بن الحسين العرني، والحسن بن صالح.

وقال الإمام المنصور بالله ـ عليه السلام ـ: قال حسن بن حسين العرني: خالد بن مختار خرج مع إبراهيم بن عبدالله بن الحسن، وذهب بصره.

طبقات الزيدية (خ).

حرف السين

٢٣ـ سعيد بن علي بن صالح السمانة، الكوفي الزيدي، ولي آل محمد.

كان شيخاً جليلاً فاضلاً، كان إذا وصل مكة أقام بمقام الزيدية، وكان مقيماً بالكوفة، وهو شيخ بهاء الدين علي بن أحمد بن الحسين الأكوع، وأجازه إجازة عامة، ومن مشائخه علي بن محمد بن أبي الفتح.

طبقات الزيدية (خ).

حرف العين

٢٤ـ العباس بن الفضل الوراق.

يروي عن عمر بن عبد الغفار الفقيمي، وعنه: إسماعيل بن إسحاق بن راشد.

٢٥ـ عبدالله بن العلاء بن زبر ـ بفتح الزاي المعجمة ـ بن عمر السامي الدمشقي، أبو زيد الربعي.

يروي عن الإمام الأعظم زيد بن علي، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبيد الله، وحزام بن حكيم، وعمر بن عبد العزيز، والزهري، والأوزاعي، ومكحول، والضحاك وغيرهم.

وعنه: ولده إبراهيم، وزيد بن الحُباب، وعمارة بن يزيد، وغيرهم.

وثّقه ابن معين وابن أبي حاتم. توفي سنة (٤أو ١٦٥هـ)، خرج له البخاري والأربعة، ومحمد بن منصور، والسيد أبو طالب، والمرشد بالله.

طبقات الزيدية (خ).

٢٦ـ عبدالله بْن المجالد بن بشر البجلي.

يروي عن الحافظ أحمد بن محمد بن عقدة، وعبد الرحمن بن عيسى بن ماتى، وهو من المشائخ الذين روى عنهم أبو عبدالله العلوي، وذكر صاحب الطبقات أنه مولى عبدالله بن أبي أوفى، والصحيح أنه غيره ؛ لأن مولى ابن أبي أوفى اسمه عبدالله بن أبي المجالد الكوفي الذي يروي عنه السدي وشعبة.

طبقات الزيدية (خ).

٢٧ــ عبدالله بن محمد الواعظ.

روى عنه محمد بن سهل العطار، وهو روى عن إبراهيم بن عبدالله بن العلا.

٢٨ــ عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب العلوي الهاشمي.

يروي عن أبيه، وعن محمد بن علي الباقر، وروى عن الإمام الأعظم زيد بن علي ــ عليه السلام ــ، وعنه: الحسين بن علي بن الحسين، وابن المبارك، وإسحاق بن الفضل.

الطبقات (خ)، رأب الصدع (١٩٨٢/٣).

٢٩ــ عطاء بن مسلم الخفاف الكوفي.

يروي عن الأعمش، والثوري، ومحمد بن عمر، وابن علقمة ؛ وروى عنه: هشام بن عمار، والوليد بن شجاع، وأبو جعفر الحمال. وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: كان شيخاً صالحاً، خرج له المرشد بالله، وابن ماجه.

طبقات الزيدية (خ).

٣٠ــ علي بن أحمد بن الحسين بن المبارك بن إبراهيم الأكوع، من أعيان العلماء المعاصرين للإمام المنصور بالله ــ عليه السلام ــ، وأحد من يروي عنهم الإمام، وهو أيضاً من تلامذة الإمام ــ عليه السلام ــ.

قال القاضي أحمد بن صالح في مطلع البدور: (العلامة المجاهد، إمام الناسكين، وسيّد السالكين، صاحب الجهاد والاجتهاد، والسبق لأهل الفضل والاقتصاد، سيد الشيعة وإمامهم وحجتهم، كان عمّار زمانه، وسلمان أوانه، بطانة خالصة لآل محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بقول وفعل، ناصر الإمام المنصور، وشاركه في فعله المشكور) وكان واسع الرواية، عالماً فاضلاً فقيهاً عابداً.

طبقات الزيدية (خ)، مطلع البدور (خ)، المستطاب (خ).

٣١ـ علي بن الحسن بن عبد الرحمن البطحاني الحسني، والد أبـي عبـدالله العلوي.

روى عن محمد بن الحسين الأزدي، والحسن بن محمد بن سعيد الرقي، وعنه أبو عبدالله العلوي ابنه.

٣٢ـ علي بن العباس بن الوليد المقانعي، أبو الحسن البجلي الكوفي.

روى عن حسين بن نصر، وعباد بن يعقوب، ومحمد بن مروان، وبكار بن أحمد، وعلي بن محمد بن حاجب وغيرهم ؛ وروى عنه: عبدالله بن محمد السـقاء، وأبـو الفرج الأصفهـاني، وعبد العزيز بن إسحاق، وغيرهم. توفي سـنة (٣١٣هـ)، وقيل: سنة (٣١٠هـ).

طبقات الزيدية (خ).

٣٣ـ علي بن محمد بن حاجب، أبو القاسم.

يروي عن محمد بن الحسين الأشناني، وأبيه، وروى عنه أبو عبدالله العلوي.

طبقات الزيدية (خ).

٣٤ـ علي بن محمد بن مخلد أبو الطيب الكوفي.

يروي عن إسماعيل بن يزيد العطار، وعنه أبو عبدالله العلوي.

٣٥ـ علي بن مهذب العلوي.

يروي عن أحمد بن يحيى ناقة المقري، وعنه علي بن أحمد الأكوع.

٣٦ـ عمر بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن الإمام الشهيد زيد بن علي ـ عليهم السلام ـ.

قال في مطلع البدور: الحجة الشهير، السيد السند، قدوة النجاة، كعبة الطـالبين، بغية الطالبيين، هو أبو البركات، العالم النبراس، محط رحال العلماء، ومفخر الإسلام.

ترجم له الذهبي، وترجم له ابن الأثير في كتاب اللباب في تهذيب الأنساب، وترجم له الجلال الإسيوطي في البغية.

..إلى قوله: قال السيوطي: أحد أئمة النحو واللغة والفقه والحديث، روى عنه الحفاظ كابن عساكر وأبو موسى المدني والسمعاني، وكان بارعاً في العربية والفضائل، وكان مشاركاً في العلوم، وهو ثقة منصف خيِّر ديِّن، هكذا أثنى عليه الذهبي.

ومولده سنة (٤٤٢هـ)، وتوفي سنة (٥٣٩هـ) وصلى عليه ثلاثون ألفاً، انتهى. مطلع البدور (خ).

٣٧- عمرو بن خالد الواسطي، أبو خالد القرشي.

مولى بني هاشم، أصله من الكوفة وانتقل إلى واسط، من ثقات محدِّثي الشيعة، ومن رجالهم الأمناء العدول، ومن أشهر الرواة عن الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام.

أجمع أهل البيت عليهم السلام على تعديله وتوثيقه، وقد جرحه الخصوم ونالوا منه بسبب تشيّعه، وكان كثير الملازمة للإمام زيد بن علي عليه السلام، والبحث في توثيقه وتعديله لا يسعه المقام، وقد ترجم له صاحب الطبقات ترجمة موسّعة، وذكر فيها تعديل أهل البيت(ع) له، وروايتهم عنه، وهي مفيدة جداً، وكذلك صاحب الفلك الدوار، والإمام القاسم بن محمد(ع)، وأحمد بن صالح بن أبي الرجال، وغيرهم من علماء أهل البيت(ع) وشيعتهم رضي الله عنهم، وخلاصة الكلام أنه لا يقدح فيه إلاّ ناصبي ماحق، أنظر لوامع الأنوار ٣٢٥/١.

٣٨- عمرو بن عون بن أوس بن الجعد السلمي، مولاهم أبو عثمان الواسطي البزار الحافظ.

روى عن عبد العزيز بن الماجشون، وحماد بن سلمة، وأبو عوانة وغيرهم، وروى عنه: البخاري، وأبو داود، وابن معين، وأبو زرعة، وغيرهم.

قال أبو زرعة: ما رأيتُ أثبتَ منه ؛ وقال ابن حاتم: ثقة حجــة. تـوفي سـنة (٢٢٥هـ)، خرج له الجماعة وأبو طالب.

الطبقات (خ).

٣٩ـ عمرو بن عبد الغفار الفقيمي ـ وفي رواية: عُمَرُ ـ.

سمع الإمام الحسين بن علي الفخي، وروى عن سعد بن طريف، وابـن المليـح، والعباس بن الفضل، والأعمش، والحسين بن زيد بن علي، وسفيان الثوري، وأبـي جعفر الرازي وغيرهم.

وعنه: محمد بن علي العطار، وعبد السلام بن صالح، وإسماعيل بن موسى وغيرهم من رجـال الشيعة، وثقه المؤيد بالله، طعن فيه الخصوم لتشيعه ورمـوه بـالرفض، خرّج له أئمتنا الخمسة إلا الجرجاني، وخرج له الناصر للحق.

طبقات الزيدية (خ).

حرف الميم

٤٠- مالك بن عطية الأحمسي.

أبو الحسن البجلي الكوفي، من محدّثي الزيدية، روى عن أبي خـالد الواسـطي رسالة الحقوق للإمام زيد بن علي عليهما السلام، ويروي أيضاً عن أبـي عبـدالله جعفر الصادق، ويروي عنه علي بن يوسف، له كتاب يرويه جماعة عنه.

٤١ـ محمد بن إبراهيم بن يحيى بن جناد أبو بكر البغدادي.

روى عن عمرو بن عون الواسطي ؛ وعنه: محمدبن عمار العطار.

٤٢ـ محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن فروة، أبــو الحســن التميمــي النحوي، المعروف بابن النجــار، من مشاهير مشائخ أبي عبدالله العلـــوي، أحـــد رجال الزيدية، وأحد القراء المعمرين، عاش مائة سنة، مولده سنة (٣٠٣هــ) ووفاته سنة (٤٠٢هــ).

له مؤلفات في النحو والتاريخ والقراءات، وثّقه جماعة ؛ سمع على الحـــافظ ابـــن عقدة، ومحمد بن الحسن الأشناني، وابن دريد وغيرهم، وعنه: أبو عبدالله العلـــوي، وأبو القاسم الأزهري.

٤٣ـ محمد الأسدي.

لعلّه: محمدبن الحسن بن حطيط الأسدي، أحد مشائخ أبي عبدالله العلوي، روى عنه في كتاب فضائل الكوفة ـــ والله أعلم ـــ.

٤٤ـ محمد بن الحسين بن حفص، أبو جعفر الكوفي الخثعمي الأشناني، الحافظ، يروي عن: عباد بن يعقوب، وسليمان بن الربيع، وإسماعيل بن إسحاق الفـــزاري ؛ وعنه: الحسن بن محمد بن مسلم المقري، وأحمد بن خالد الفارسي، وعلي بن محمـــد بن حاجب وغيرهم، وثقه الدارقطني، توفي سنة (٣١٥هــ).

طبقات الزيدية (خ).

٤٥ـ محمد بن سهل العطار.

قال الذهبي: من شيوخ أبي بكر الشافعي، روى عن عبدالله بن محمد الواعـــظ، وعنه: أبو عبدالله العلوي.

ميزان الإعتدال (٦/١٨٠).

٤٦ـ محمد بن عبدالله بن كرز الزيدي أبي عبدالله.

يروي عن عمر بن إبراهيم أبي البركات، وعنه: سعيد بن علي بن صالح السّمانة، كان شيخاً صالحاً عالماً.

طبقات الزيدية(خ).

٤٧ـــ الشريف الحافظ أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب العلوي الحسني، أبو عبدالله البطحاني الكوفي، الثقة العالم الفقيه مسند أهل الكوفة، مولده في رجب سنة (٣٦٧هـ).

قال النرسي: ما رأيت من كان يفهم فقه الحديث مثله، وقال الذهبي: الإمام المحدّث الثقة العالم الفقيه مسند الكوفة، سمع على جماعة وافرة من الحفاظ والمحدثين والعلماء منهم: الحافظ ابن عقدة، ووالده علي بن الحسن، وغيرهم حتى قيل إن عدد مشائخه بلغ تسعون شيخاً.

وتتلمذ على يديه كثير من العلماء والحفاظ، وله الكثير من المؤلفات منها: كتاب الأذان بحي على خير العمل، وفضل زيارة الحسين، والجامع الكافي، وفضل الكوفة، وأسماء الرواة عن الإمام زيد ـــ عليه السلام ـــ وغير ذلك. وتوفي سنة (٤٤٥هـ).

الطبقات (خ).

٤٨ـــ محمد بن علي بن الحكم، أبو عبدالله الهمداني، من مشائخ أبي عبدالله العلوي الذين روى عنهم، وهو يروي عن محمد بن عمار.

طبقات الزيدية (خ).

٤٩ـــ محمد بن علي بن خلف العطار القرشي، أبو عبدالله الكوفي، البغدادي، المعروف بابن المجري.

عن أبي حذيفة، ومحمد بن عبدالله الصفار، وحسين الأشقر، وعيسى بن الحسين بن زيد بن علي، وغيرهم.

وروى عنه: محمد بن منصور، والناصر للحق الحسن بن علي الأطروش، وقال: العدل الثقة ؛ والحسن بن محمد الرقي وغيرهم.

وثقه المؤيد بالله والناصر للحق، وخرج له أئمتنا الخمسة والناصر، توفي في حدود الثلاثمائة.

الطبقات (خ)، رأب الصدع (١٨٦٨/٣).

٥٠ــ محمد بن علي بن ميمون النرسي، أبو الغنائم.

قارئ من حفاظ أهل الكوفة، نسبته إلى نهر في الكوفة، ولد سنة (٤٢٤هــ)، أخذ عن علماء الكوفة وعلماء بغداد، لُقّبَ بأُبَيّ لجودة قراءته، وكان محدثاً حافظاً متقناً.

سمع أبا عبدالله العلوي، ومحمد بن العطار، ومحمد بن أحمد بن حازم، وعدة وافرة من أهل الكوفة وغيرهم. وروى عنه: الحسن بن ملاعب الأسدي، والحميدي، وخلق كثير، وتوفي سنة (٥١٠هــ).

طبقات الزيدية (خ)، الأعلام (٢٧٨/٦).

٥١ــ محمد بن عمار بن محمد العطار، أبو جعفر العجلي.

روى عن سليمان بن محمد، والحسين بن الحكم الحبري، وعلي بن محمد بن نجية، وروى عنه زيد بن حاجب، ومحمد بن علي بن الحكم، ومحمد بن عبد الجعفي.

طبقات الزيدية (خ).

٥٢ــ محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن علوي بن محمد بن زيد بن غيرة الهاشمي الكوفي الحارثي المعدل، أبو الحسن.

أخذ عنه جماعة محمد بن محمد المدلل وغيره، وأخذ عن الشريف أبي طاهر الحسن بن علي بن معية الرسالة التي لزيد بن علي ــ عليه السلام ــ، وكان من رجال المحدثين، ذكره الذهبي في النبلاء، وقال: كان شيخاً جليلاً مسنداً، ووسع في ترجمته وتوثيقه. ذكر جميع ذلك في طبقات الزيدية.

٥٣ــ محمد بن مروان القطان، ويقال الذهلي أبو جعفر الكوفي.

روى عن أبي حازم، وعبدالله بن جعفر، والمغيرة بن عبدالله، وعنه: ولده إسحاق، وهو غير محمد بن مروان الغزال.

طبقات الزيدية (خ).

٥٤ــ محمد بن المهدي بن محمد بن حمزة العلوي الحسيني، السيد الشريف أبو علي، يروي رسالة زيد بن علي في إثبات الوصية عن محمد بن محمد بن غيرة الحارثي، أخذ عن علي بن حسين الدهان، وأخذ عنه علي بن محمد بن أبي الفتح شيخ السمانة.

طبقات الزيدية (خ).

٥٥ــ أبو الزناد الموج بن علي الكوفي.

ممن اشتهر بالأخذ عن الإمام زيد ــ عليه السلام ــ، وهو من تلامذته، وكان محدثاً فاضلاً، كما ذكر ذلك عبد العزيز بن إسحاق البغدادي في تسمية من روى عن زيد بن علي ــ عليه السلام ــ، وروى عنه: الحكم بن ظهير، وحماد بن يعلى، خرج له الإمام أبو طالب.

طبقات الزيدية (خ).

٥٦ــ أبو حماد بن يعلى الثمالي.

يروي عن جعفر الصادق، وعلي بن عمر بن علي، وروى عن أبي الزناد، وروى عنه: الحكم بن ظهير، وإبراهيم بن محمد بن ميمون، ومحمد بن جميل.

طبقات الزيدية (خ).

حرف الياء

٥٧ـ الإمام المرشد بالله يحيى بن الإمام المؤفق بالله الحسين بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن الشجري بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أبوالحسين الجرجاني المحدِّث، من أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ.

دعا إلى الله في الجيل والديلم، مولده سنة (٤١٢هـ) وهو صاحب الأمالي الخميسية والإثنينية، ومضى على منهاج سلفه الطاهرين سنة (٤٧٩هـ) وعمره (٦٧) سنة.

التحف شرح الزلف(٢٢٣)، طبقات الزيدية (خ).

٥٨ـ يحيى بن عطية بن خالد بن أبي النجم.

من أعيان العلماء وأكابرهم، عاصر الإمام أحمد بن الحسين الشهيد، وكان من عيون أنصاره، وشيعته، جعله الإمام في صعدة، واشتشهد في أحد المعارك بصعدة أصيب بسهم قتله، وكان دخوله صعدة سنة (٦٥١هـ) أو (٦٥٢هـ).

قال في طبقات الزيدية: يروي رسالة الإمام زيد بن علي المشهورة في أمر الإمامة عن حميد بن أحمد المحلي، وروى عنه الإمام الحسن بن بدر الدين.

طبقات الزيدية (خ)، مطلع البدور (خ)، المستطاب (خ).

مباحث الرسائل

أما القسم الرابع من أقسام المقدمة الذي يتناول ما تبحث عنه كتب ورسائل الإمام زيد ـ عليه السلام ـ:

فالإمام زيد بن علي ــ عليه السلام ــ لكونه رائد من رواد الفكر الإسـلامي، وقائد من قواد المسلمين، الذي يفتخر كل واحد بأن يكون من جنوده، ومنضويـاً تحت لوائه، ومتبعاً له، تجاذبته الأطراف، وكَثُر في أقواله الخلاف، فنسبت إليه كـل طائفة من عقائدها ما تجره بها إليها، وزُيِّفت عليه من الأقوال ما لم يقل بهـا، و لم يجوزها ؛ بل كتبه ورسائله تنطق بخلاف ذلك، وسنورد تبيين ذلك بعون الله تعالى في مباحث كتبه ورسائله ؛ **فنقول:**

إن رسائل الإمام زيد ــ عليه السلام ــ تبحث في فنون وعلوم متعددة ؛ فمـن تلك الفنون والعلوم:

أولاً: علم أصول الدين

الذي يبحث في معرفة الله تعالى وصفاته، وما يجوز أن ينسب إليه من الصفـات، وما لا يجوز من مسائل التوحيد والعدل، والوعد والوعيد ؛ ويبحث في مسائل النبوة والإمامة التي عليها مدار اختلاف الأمة، وعليها مناط أحكام الشريعة الإسلامية.

فالذي يبحث في معرفة الله بما يتعلق بصفاته من كتب الإمام زيد عليه السلام هو:

١ـ كتاب الإيمان:

حيث يبين فيه الإمام زيد ــ عليه السلام ــ حقيقة الإيمان، وأنه لا بد فيه مـن القول والعمل، وأنه قولٌ باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجَنَان، وفي هذا يـرد الإمام ــ عليه السلام ــ على المرجئة الذين يقولون إن الإيمان قول بلا عمل.

ويبين أن آيات الوعيد تتناول مرتكب الكبيرة من هذه الأمة، وأنهـا لا تخـص المشركين فقـط ؛ ومنها تنبثق مسألة الخروج من النار، حيث يبين - عليه السلام- أن مرتكب الكبيرة يستحق النار إذ أن الله قد توعد بذلك، وهو لا يخلف الميعـاد، ومن مات مصِرٌ على فعل المعصية غير تائب ولا راجع دخل النار، ومن دخل النـار

فهو خالد فيها، كما تصرح بذلك آيات الخلود كقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ(١٦)﴾ [الإنفطار]، وغيرهما من الآيات.

وفي هذا ردّ على من يقول بالخروج من النار من الإمامية والمرجئة وغيرهما من الطوائف.

ويبين ــ عليه السلام ــ في الكتاب أيضاً الفرْق بين المؤمن والكافر ومرتكب الكبيرة، إذ أن المؤمن يستحقّ التعظيم وقد وعده الله بالرضوان والجنة، وتجب موالاته ومحبته، وله أحكام تتعلق به في الدنيا والآخرة لا يجوز أن تضاف إلى الكافر ولا إلى مرتكب الكبيرة.

والكافر له أحكام تخصّه في الدنيا والآخرة، وقد بين الله أنه مهان صاغر مخزي، وأنه يستحق النار.

وفي هذا ردّ على من يقول بأن الله يحسن منه عقاب المؤمن وإثابة الكافر، من المرجئة.

ويبين أيضاً: مسألة هامة من مسائل الخلاف وهي مسألة (المنزلة بين المنزلتين) وهي منزلة مرتكب الكبيرة، ما حكمه؟ وما هو الاسم الذي يطلق عليه؟ إذْ ليس هو بكافر لأنه ينطق بالشهادتين ويعمل بعض الطاعات إن كان.

وليس بمؤمن لأنه لم يقم بشروط الإيمان على أكمل وجه التي ذكرها الإمام واشترطها لمن يسمى مؤمناً، فلم يبقَ إلا أن يكون له اسم خاص، وهو أن يسمى (فاسقاً)، وأحكام خاصة من وجوب البراءة منه ومعاداته وغير ذلك.

وفي هذا رد على القدرية والمرجئة في تسمية العاصي مؤمناً.

ومن هذا نخرج الإمام ـــ عليه السلام ـــ عن من نسبه أو جره إلى أنه من المرجئة، ومنه يتبين أي الطوائف صادقة في انتسابها إليه في هذه المسائل وأنها الزيدية دون غيرها من الفرق.

٢ــ كتاب الرّد على المجبرة:

ومن اسمه يتبين فيه ما يبحث عنه، وما هي الفرقة التي يرد عليها، وأنه المجبرة وأنهم الذين يقولون إن العبد مجبر على فعله.

وبه يتبين خروج الإمام عما نسب إليه من أنه أشعرياً مجبرياً، ويتبين صحة انتساب الزيدية إليه دون غيرها، فهذان الكتابان يبحثان في مسائل من باب العدل.

مسألة الإمامة

والذي يبحث في مسألة (الإمامة) التي هي أكبر أصول الدين ؛ عدة كتب:

١ــ كتاب تثبيت الإمامة:

وفيه يبيّن الإمام زيد ـــ عليه السلام ـــ من هو الأحق بالخلافة على المسلمين بعد رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ ويقرر ذلك بما يستنبطه من إجماع الأمة على من هو الأفضل، ويبين أن الأفضل هو الذي يستحق الإمامة والخلافة دون غيره.

وهذا يرد على المعتزلة وعلى الصالحية والسليمانية في قولهم بجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، ويبين كذب القول الذي نسب إلى الإمام زيد ـــ عليه السلام ـــ بأنه يقول بجواز إمامة المفضول، وهذا الكتاب صريح في إبطال ذلك.

ويبين ـــ عليه السلام ـــ فيه أهلية أمير المؤمنين علي ـــ عليه السلام ـــ واستحقاقه للإمامة والخلافة دون غيره ممن أخذوها بدون مبرر شرعي.

٢ــ كتاب تثبيت الوصية:

وفيه يبين الإمام زيد عليه السلام ــ ثبوت وصية النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وأنه أوصى، وأن وصيه هو الأفضل بعده، وأن ذلك هو أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ، ويذكر بعض صفاته التي كان بسببها أفضل الخلق وأولى الناس بمقام رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ دون أبي بكر وعمر وغيرهما.

ثم يستدل بعد ثبوت إمامة أمير المؤمنين على ثبوت الإمامة للحسن والحسين ــ عليهما السلام ــ وأنهما أولى بمقام رسول الله ووصيه.

ثم يبين ــ عليه السلام ــ بعد ذلك (حصر الإمامة في أولاد الحسن والحسين ــ عليهما السلام ــ) دون غيرهم من سائر الأمة، ويبين متى يستحق القائم منهم القيام بالأمر، وما شروط القائم من ولد الحسن أو الحسين ــ عليهم السلام ــ.

وبهذا تنكشف حقيقة المسألة العظمى التي عليها مدار الشريعة وهي الإمامة التي طال الخلاف فيها بين طوائف المسلمين.

فإمامة أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ المنصوص عليها بآيات القرآن، وأخبار سيّد ولد عدنان، خالفتها طوائف من الأمة، ونبذوا النصوص وراء ظهورهم، وبهذه المسألة يتبين الرد على المعتزلة والحشوية والسنية والمجبرة القدرية والمرجئة والأشعرية، والخوارج والصالحية والسليمانية والجريرية وغيرهم من الفرق التي تقول بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان، وتفضيلهم وتقديمهم، أو تقديمهم مع تفضيل علي ــ عليه السلام ــ.

وبها تنجلي السحب عن الأقوال المكذوبة على الإمام زيد من أنه يقول بإمامة الثلاثة، وبإمامة المفضول مع وجود الأفضل، وبعدم حصر الإمامة في أولاد الحسنين ــ عليهما السلام ــ.

وفي المسألة الأخيرة رد على الإمامية في زعمهم أن الإمامة محصورة في أولاد الحسين دون أولاد الحسن، وأن الإمامة ثابتة بالنص والوصية في كل واحد من الأئمة

الاثني عشر ، وأن من شروط الإمام أن يكون معصوماً، وعالماً للغيب، وغير ذلك من المحالات الباطلة.

وعند الإطلاع على الكتب والرسائل تجد صحة ما قلنا وصدقه، وفي بعض كلامه المنقول عنه تتبين صفات الإمام وشروطه وغير ذلك.

٣ــ كتاب الصفوة:

الذي يبين فيه الإمام ــ عليه السلام ــ اصطفاء الله واختياره وتفضيله لأهل البيت ــ عليهم السلام ــ دون غيرهم، ويبين فيه ما أوجب الله على الأمة تجاههم من وجوب الإتباع والحجية والمودة والموالاة والنصرة وغير ذلك.

وهو يبحث في مسألة (التفضيل) التي هي من أهم المسائل، وأعظمها، إذْ إنكارها يعتبر إنكاراً ورداً للقرآن والسنة، وتكذيباً لهما ؛ إذْ أن القرآن مشحون وملىء بإثبات التفضيل بين خلق الله حتى بين الأنبياء ــ عليهم السلام ــ وهو من الله اختيار واصطفاء ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا(٣٦)﴾ [الأحزاب].

ثانياً: التعامل بين المسلمين

ومما يبحث فيه بعض هذه الرسائل هو موضوع التعامل بين المسلمين، والذي يبحث في ذلك:

١ــ رسالة الحقوق:

التي فيها تبيين الحقوق التي يجب على كل مسلم التعامل مع الله عز وجل قبل كل شيء، ثم كيفية التعامل مع الناس على اختلافهم.

٢- والرسالة الثانية رسالة الإمام زيد إلى علماء الأمة.

وذلك لأهمية العلماء ومنزلتهم، ولما يترتب عليهم من صـلاح أمـر الأمـة إن صلحوا، وفسادها إن فسدوا، ولما يترتب على علماء السوء من التحسين لأعمـال الظالمين، والدخول معهم وولايتهم، وما في ذلك من الفساد الشامل للدين وللأمة.

فهو ـ عليه السلام ـ يبين حقوق العلماء ومكانتهم، ويحذر من علماء السـوء ويئة سحهم، ويَعظُهـم ويبين لهم أنهم المسؤولون عن كل ما يعمله الظالمون من ظلم وفساد إذا لم يقوموا بواجبهم تجاه الظلم من المحاربة والمباينة ؛ لأن دولة السـلاطين والظلمة إنما قامت بسبب علماء السوء وما يزينونه للناس من تحسين قبيح ما يعملـه الظالمون.

الجوابات

وتبحث الجوابات في مسائل متعددة في الأصول والفروع وغيرها.

الخطب

وتبحث الخطب في الوعظ والتذكير، ووجوب التبصر في الدين، والتيقن وكيف معاملة العدوّ في السلم والحرب، وتندد بالظلمة وأعوانهم وأعمالهم، وتحذر منها.

وكل ما في هذا المجموع المبارك من العلوم والفوائد تنبئ عن غزارة علم الإمـام زيد، واهتمامه بأمر الأمة، وإرادة الخير لها والصلاح لشؤونها، وهذا دأب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ في كل مكان وزمان.

وكان الإمام زيد ـ عليه السلام ـ دائماً ما يوصي أصحابه بالتمسـك بـأهل البيت ـ عليهم السلام ـ، وكثيراً ما يبين لهم حقوقه وحقوق أهل البيت الواجبـة عليهم تحميلاً وتبييناً للحجة.

وأما القسم الخامس فهو في ترجمة الإمام زيد ـــ عليه السلام ـــ

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الإمام الأعظم زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ

هو: الإمام الأعظم، إمام الحاضر والباد، وفاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، الغاضب لله في الأرض، ومقيم أحكام السنة والفرض، إمام الفرقة الزيدية الناجيـــــة، وقـــائد العصابة المرضية الهادية، الولي بن الولي: زيد بن علي بن الحسين بن علي بـــــن أبـــي طالب ، عليهم صلوات الملك العلي، مجدد الدين، والشهيد المظلوم في سبيل الله رب العالمين.

مولده ـــ عليه السلام ـــ: سنة (٧٥) للهجرة على أصح الأقوال ؛ روى ذلـــك الإمام المرشد بالله في الأمالي الإثنينية بسنده عن الحسين بن زيد بن علي ـــ عليهـــم السلام ـــ.

أمه ـــ عليه السلام ـــ: جارية يقال لها: جيدا، اشتراها المختار الثقفي بثلاثـــين ألف دينار، ثم أهداها لعلي بن الحسين زيد العابدين ـــ عليه السلام ـــ.

روى الإمام المرشد بالله ـــ عليه السلام ـــ في الأمالي الاثنينية بسنده عن حســـين بن عمر الجعفي، قال: حدثني أبي، قال: (كنت أديم الحج فأمُرُّ على علي بن الحسين لأقضي واجب حقه ، ففي آخر حجتي غدا علينا بوجهه، فقال: رأيت رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ في ليلتي هـــذه أخذ بيدي فأدخلني الجنـــــة فزوجـــني حوراء، فواقعتها، فعلقت، فصاح بي رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ: يا عليُّ بن الحسين سم المولود منها زيداً، فما قمنا حتى أرسل إليه المختار بـــأم زيـــد شراها بثلاثين ألفاً).

وروى أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين بسنده إلى زياد بن المنذر، قال: اشترى المختار بن أبي عبيدة الثقفي جارية بثلاثين ألفاً، فقال لها: أدبري، فأدبرت، ثم قال لها: أقبلي، فأقبلت ؛ ثم قال: ما أدري أحداً أحق بها من علي بن الحسين فبعث بها إليه، وهي أم زيد بن علي.

وروى الإمام المرشد بالله في الأمالي أيضاً بسنده إلى أبي عبدالله العلوي محمد بن علي بن الحسن، قال: حدثنا علي بن محمد الشيباني، قال: أخبرنا الحسن بن محمد بن سعيد الرفا، قال: أخبرنا إسحاق بن محمد بن مروان، قال: أخبرنا عبيد بن يحيى بن بهران الثوري، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن علي بن الحسين، عن أبيه قال:

كان علي بن الحسين إذا صلى الفجر لم يلتفت إلى أصحابه، ويسبح تسبيحاً مواضباً عليه، ويركع ركعات ثم يلتفت إليهم، فيوم ولد زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ أتاه البشير عند طلوع الشمس فانثنى إلى أصحابه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ثم قال: ما تقولون في هذا المولود ما نسميه؟

فقال بعض: حسن، وقال بعض: حسين، وقال بعض: جعفر.

قال: فقال علي بن الحسين ــ عليهما السلام ــ: يا غلام عليَّ بالمصحف، ففتحه وقال: بسم الله، ثم قام فصلى ركعات ثم أخذه ففتحه فخرج في أول سطر: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا(٩٥)﴾...الآية[النساء]، فحمد الله وأثنى عليه ووضع المصحف، وقام فرجع ثم أخذه فوضعه في حجره ثم فتحه وقال بسم الله، فخرج في أول سطر: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ...الآية﴾ [التوبة:١١١]، فضرب بيد على يد، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وقطرت

عيناه في المصحف ، وقال: هو والله صاحب الكناسة ــ مرتين ــ، ثم قال: أما والله ما أحد من ولد الحسين بن علي ــ عليه السلام ــ إلى يوم القيامة أعظم منه وسيلة، ولا أصحابه آثر عند الله من أصحابه.

وروى نحو هذا الخبر في أمالي الإمام أبي طالب ــ عليه السلام ــ بسنده عن أبي الجارود، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر ــ عليهما السلام ــ قال: (بشر أبي ــ عليه السلام ــ بزيد بن علي حين ولد فأخذ المصحف ففتحه ونظر فيه فإذا قد خرج في أول السطر: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ...الآية﴾ [التوبة:١١١]، فأطبقه ثم فتحه فخرج: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(١٦٩)﴾ [آل عمران]، فأطبقه ثم فتحه فخرج: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا(٩٥)﴾ [النساء]، ثم أطبقه، ثم قال: عزيت والله عن هذا المولود وإنه لمن الشهداء المرزوقين).

صفته ـ عليه السلام ـ

قال السيد الإمام أبو طالب ــ عليه السلام ــ في الإفادة:

(كان ــ عليه السلام ــ: أبيض اللون، أعين، مقرون الحاجبين، تام الخلق، طويل القامة، كث اللحية، عريض الصدر، أقنى الأنف، أسود الرأس واللحية، إلا أن الشيب خالطه في عارضيه).

وكان يُشَبَّهُ بأمير المؤمنين في الفصاحة والبلاغة والبراعة ويعرف في المدينة بـ(حليف القرآن).

روى أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن أبي الجارود، قال: (قدمتُ المدينة فجعلتُ كلما سألتُ عن زيد بن علي قيل لي: ذاك حليف القرآن).

وقال الإمام زيد ـ عليه السلام ـ: (خلوت بالقرآن ثلاث عشر سنة أقرؤه وأتدبره فما وجدت في طلب الرزق رخصة، وما وجدت ابتغوا من فضل الله إلا العبادة والفقه).

وروى أيضاً بسنده عن محمد بن الفرات، قال: (رأيت زيد بن علي وقد أثر السجود بجبهته أثراً خفيفاً) ورواه في الأمالي الإثنينية.

وروى بسنده عن عاصم بن عبيد الله العمري، قال: (رأيتُه بالمدينة وهو شاب، يذكر الله عنده فيغشى عليه حتى يقول القائل: ما يرجع إلى الدنيا).

وروي أنه ـ عليه السلام ـ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان ـ عليه السلام ـ يحيي الليل كله، وروي أنه لم ينم الليل عشرين سنة، وكان كثير البكاء من خشية الله، حتى كان دمعه يبل لحيته، وكان دمعه ـ كما قيل ـ يشبه الدم، فقيل له في ذلك، فقال : (لم لا أبكي فوالله لو قد أعطاني الله الأمان من الحساب والعقاب لحق لي أن أبكي إن كنتم تعلمون يا ذوي الألباب).

وروى في الأمالي الإثنينية بسنده عن حصيب الوابشي، قال: (كنتُ إذا رأيتُ زيد بن علي رأيتُ أسارير النور في وجهه)، وهو في مقاتل الطالبيين.

قال الشيخ العالم ولي آل محمد أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر البغدادي المعروف بالبقال في كتابه طبقات الشيعة: (كان زيد بن علي ـ رضي الله عنه ـ شامة أهل زمانه، وجوهرة أوانه، وإمام أهل بيت النبوة في وقته ـ عليهم السلام ـ يعرف في وقته بحليف القرآن، له في الزهد والكرم ومحاسن الأخلاق ما ليس لغيره من أهل زمانه، فتح الله عليه بالعلم).

الذين أخذ عنهم الإمام زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ

قال أبو القاسم عبد العزيز البقال:

أخذ عن جماعة من فضلاء الأمة كأبيه الإمام زين العابدين علي بن الحسين ـــ عليهما السلام ـــ، وجابر بن عبدالله الأنصاري الصحابي، ومحمد بن أسامة بن زيد، وغيرهم من أبناء الصحابة، وفتح الله عليه بأعظم مما أخذ عن الثقات.

وقال السيد أبو عبدالله العلوي ـــ رحمه الله ـــ:

(سمع أبا الطفيل عامر بن واثلة)، ثم ساق بعض ما رواه زيد بن علي ـــ عليهما السلام ـــ عن عامر بن واثلة.

وروى أيضاً عن أخيه أبي جعفر محمد بن علي الباقر ـــ عليهم السلام ـــ.

تلامذة الإمام زيد بن علي ـ عليه السلام ـ والرواة عنه

وقد توخّينا في ذكر تلامذته ـــ عليه السلام ـــ الإعتماد على ما ذكره السيد أبوعبدالله العلوي في كتاب: (تسمية من روى عن زيد بن علي ـــ عليهما السلام ـــ من التابعين)، وما ذكره أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق البقال في (طبقات الشيعة)، مع زيادة بعض الرواة من طبقات الزيدية، وغيرها.

فمن تلامذته ـــ عليه السلام ـــ من أهل البيت(ع):

أولاده السادة الأبرار: الإمام عيسى بن زيد، والإمام يحيى بن زيد، ومحمد بن زيد، والحسين بن زيد ـــ على جميعهم السلام ـــ.

ومنهم إخوته الأعلام: محمد بن علي الباقر، والحسين بن علي بن الحسين، وعمر بن علي بن الحسين ـــ على جميعهم السلام ـــ.

ومن بني عمومته: عبدالله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأخيه الحسن بن الحسن بن الحسن، والحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـــ عليهم السلام ـــ، وإبراهيم بن الحسن بن الحسن.

ومنهم: السيدان الأخوان العلويان: عبدالله وعبيد الله ابنا محمد بن عمر بن علـــي بن أبي طالب ــ عليهم السلام ــ.

وممن أخذ عنه وروى عنه: الإمام المهدي لدين الله محمد بن عبدالله النفس الزكية ــ عليه السلام ــ، أحد الرواة عنه، ذكر ذلك في طبقات الزيدية، والقاسم بن محمد بن عبدالله بن عقيل بن أبي طالب.

وممن أخذ عنه ــ عليه السلام ــ من فقهاء وعلماء الأمة من التابعين:

أبان بن أبي عياش فيروز أبو إسماعيل البصري، توفي حدود (١٤٠هـ).

أبان بن تغلب بن رياح الربعي أبو سعيد الكوفي، توفي سنة (١٤٠هـ).

إبراهيم بن مقسم ، روى له في الأمالي الخميسية .

إبراهيم بن ميسرة الطائفي ثم المكي، توفي نحو سنة (١٣٢هـ) روى لــه في الخميسية عن زيد (ع) .

إبراهيم بن نعيم العبدي.

أبو الزناد الموج بن علي الكوفي.

أبو الصياد العبدي.

أبو حنيفة النعمان بن ثابت، توفي سنة (١٥٠هـ).

أبو دلهم الوالي من خيار الكوفيين.

أبو سعيد إسماعيل الفزاري الطحان.

إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي المتوفى سنة (١٦٢هـ).

إسماعيل بن أبي خالد البجلي الأحمسي أبو عبد الله الكوفي، توفي (١٤٦هـ).

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي أبو محمد، توفي سنة (١٢٧هـ).

الأجلح بن عبدالله الكندي أبو حجية، توفي سنة (١٤٥هـ).

الأزهر بن الوازع المرادي.

الأشعث بن أبي صفية.

الأشعث عم سعيد بن خثيم، لعله الأشعث بن سليم الهلالي الكوفي المتوفى سنة (١٢٥هـ).

الحارث بن حصين بن النعمان الأزدي الكوفي.

الحسن بن صالح بن حي أبو عبدالله الكوفي، توفي سنة (١٦٩هـ).

الحكم بن عيينة .

الشهاب بن عبدالله البارقي، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

الصلت بن الحارث بن إياس الجعفي، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

العلاء بن الفضيل بن يسار أبو القاسم النهدي.

الفضيل بن الزبير الرسان الزبيري.

الفضيل بن يسار النهدي.

القاسم بن أرقم الكوفي.

القاسم بن أصبغ بن نباتة ، روى له في الأمالي الخميسية عن زيد (ع) .

القاسم بن كثير، قتل مع زيد بن علي ــ عليه السلام ــ.

الهيثم الظهري الذي حدث عنه كبار أهل الكوفة.

الوليد بن يعلى، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

ثابت بن أبي صفية الثمالي ، هو أبو حمزة الثمالي المتوفى بعد (١٢٠هـ).

جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي أبو زيد الكوفي توفي سنة (١٢٨هـ).

حازم الزبيري، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

حسان بن قائد البارقي، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

حسان بن مهران الجمال الكوفي روى له المرشد بالله عن الإمام زيد في الأمالي الخميسية.

حصين بن مخارق بن ورقاء أبو جنادة السلولي لعله توفي رأس (٢٠٠هـ).

حمزة التركي روى له في الأمالي الخميسية.

حمزة بن أبي حمزة الثمالي، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

حمزة بن أبي حمزة الجعفي، روى له في الأمالي الخميسية عن زيد (ع).

حمزة بن منصور، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

خالد بن صفوان الكوفي، المتوفى سنة (١٣٣هـ).

خالد بن مختار الثمالي.

خباب بن زيد بن معتب، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

خليفة بن حسان الخثعمي روى له المرشد بالله في الخميسية عن الإمام زيد (ع).

خليفة بن حسان الخثعمي.

رجاء بن هند البارقي، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

زُبيد بن الحارث اليامي أبو عبد الرحمن الكوفي، توفي سنة (١٣٣هـ).

زياد بن المنذر الهمداني أبو الجارود الكوفي.

زياد بن درهم النهدي، قتل وصلب مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

زيد بن الحسن الأنماطي.

سالم السلولي، الذي خرج الإمام زيد من داره يوم قتل.

سالم بن أبي حفصة أبو يونس الكوفي توفي سنة (١٤٠هـ) تقريباً.

سالم بن أبي حمزة الثمالي، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

سالم بن أبي واصل الحذّاء.

سعد بن طريف الحنظلي الإسكافي الكوفي، المتوفى سنة (١٤٠هـ).

سعيد بن خثيم بن رشد الهلالي أبو معمر الكوفي جاهد مع الإمام زيد عليه السلام.

سفيان بن أبي السمط.

سلام بن السري الجعفي، قتل مع الإمام زيد ـ عليه السلام ـ.

سلمة بن ثابت الليثي.

سلمة بن كهيل بن الحصين الحضرمي أبو يحيى الكوفي، توفي سنة (١٢١هـ).

سليمان بن مهران الأعمش الكاهلي الأسدي أبو محمد الكوفي، توفي (١٤٨هـ).

سهل بن العلاء القسطلاني ، روى عنه في الأمالي الخميسية .

سهل بن سليمان الرازي.

سورة بن كليب كان ثقة زيد ـ عليه السلام ـ في أكثر أموره.

شاكر بن عبدالله الشاكري، قتل مع الإمام زيد ـ عليه السلام ـ.

شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي أبو بسطام البصري توفي سنة (١٦٠هـ).

صالح بن دينار المكنى أبو نُميلة الأبّار.

عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، المتوفى سنة (١٣٢هـ).

عامر بن الربيع العذري، قتل مع الإمام زيد ـ عليه السلام ـ.

عباد الأحول الهمداني، قتل مع الإمام زيد ـ عليه السلام ـ.

عباد بن كثير الثقفي البصري ، توفي نحو سنة (١٥٠هـ).

عبد الرحيم بن نصر البارقي.

عبد السلام بن ميمون البجلي.

عبد السلام بن ميمون البجلي.

عبد العزيز بن أبي عثمان البارقي، قتل مع الإمام زيد ـ عليه السلام ـ.

عبدالله بن الزبير الرسان الأسدي أبو عمر الكوفي.

عبدالله بن العلاء بن زَبْر ـ أبو زيد الربعي ـ الشامي الدمشقي المتوفّى سنة (١٦٥هـ) أو (١٦٤هـ).

عبدالله بن سليمان الحضرمي، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

عبدالله بن عثمان الأشجعي، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

عبدالله بن عثمان الفهري.

عبدالله بن محمد بن أبي بكر الحضرمي.

عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب.

عبيدة بن الجعد البارقي، شهد وجاهد مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

عثمان بن عائشة، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

عثمان بن عاصم الأسدي أبو حصين الكوفي.

عثمان بن عمير المكي أبو اليقظان الكوفي.

عصير بن سلمة بن ثابت الليثي.

علي بن صالح بن حي أبو الحسن الكوفي، توفي سنة (١٥١هـ).

عمر بن صالح الأشجعي، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي أبو حفص، توفي سنة (١٠١هـ).

عمر بن عبدالله بن علي أبو إسحاق السبيعي الكوفي، توفي سنة (١٢٧هـ).

عمر بن موسى بن الوجيه الأنصاري الدمشقي أبو حفص الشامي الحمصي.

عمران البارقي روى له في الخميسية عن زيد (ع).

عمرو بن أبي عمرو النخعي، فاضلاً شجاعاً.

عمرو بن الزبرقان، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

عنبسة بن سعيد، روى عن الإمام زيد في الأمالي الخميسية.

عيسى بن أبي فروة، كان ناسكاً فاضلاً.

عيسى بن عتبة، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

قاسم بن عبد الرحمن الصهباني، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

قيس بن الربيع الأسدي أبو محمد الكوفي، توفي سنة (٥ أو ٧ أو ١٦٨هـ).

كثير بن إسماعيل النوّاء.

محرز بن جبلة الأشجعي، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

محمد بن الحجاج البجلي، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

محمد بن الفرات التميمي أبو علي الكوفي، محدثاً فاضلاً من شيعة الكوفة.

محمد بن خالد روى له في الأمالي الخميسية عن زيد (ع) .

محمد بن سالم الهمداني أبو سهل الكوفي، المتوفى في عشر الخمسين ومائة.

محمد بن شهاب الزهري، المتوفى سنة (١٢٤هـ).

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى أبو عبد الرحمن الكوفي، توفي (١٤٨هـ).

محمد بن عبدالله ، روى له في الأمالي الخميسية عن زيد (ع) .

محمد بن عبدالله الرصافي، كان فاضلاً نبيلاً.

مساور بن حديد العامري.

مسيرد مولى الإمام زيد ــ عليه السلام ــ .

معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري، قتل وصلب معه ــ عليه السلام-.

معمر بن خثيم بن أبي راشد الهلالي، لعله توفي بعد (١٣٠هـ).

مغيرة بن عروة ، روى له في الأمالي الخميسية عن زيد (ع) .

مغيرة بن مقسم الضبي مولاهم أبو هاشم الكوفي الأعمى الفقيه ، المتوفى سنة (١٣٣هـ).

منصور بن أبي حمزة الثمالي، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

منصور بن المعتمر السلمي أبو عتاب الكوفي، توفي سنة (١٣٢هـ).

نصر بن خزيمة العبسي، قتل وصلب مع زيد ــ عليه السلام ــ.

نصر بن عبد الرحمن البارقي الكوفي.

نعيم بن ذي حدان.

نوح بن أبي حمزة الثمالي، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

نوح بن علي روى له في الخميسية عن الإمام زيد ــ عليه السلام ــ .

هارون بن سعيد العجلي الكوفي أبو محمد الأعور، توفي حدود سنة (١٦٠هـ).

هاشم بن البريد الكوفي المتوفى في عشر الستين ومائة هجرية.

ومطهر التمار، كان فاضلاً ورعاً.

يحيى بن الزبرقان، قتل مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

يعقوب بن عربي روى له في الأمالي الخميسية عن زيد (ع) .

والتوسع في ذكر تراجمهم يخرجنا إلى الإسهاب، ويحوجنا إلى التطويل والإطناب، وتراجمهم موجودة في كتب الرجال، وكتب الحديث ناطقة بصحة رواية هؤلاء عن الإمام زيد بن علي ــ عليه السلام ــ أو أكثرهم ولولا خشية التطويل لذكرنا أمثلة لكثير من هؤلاء الرواة تبين صحة روايتهم عنه ــ عليه السلام ــ، وهذا يعلمه المطلع الخبير المتتبع لهذا الشأن ، ولا ينكره أهل الإطلاع والعرفان.

بعض الأحاديث النبوية الدالة على فضله ـ عليه السلام ـ

وقد وردت فيه ــ عليه السلام ــ أخبار كثيرة عن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ تدل على فضله ، وتبشر به ، وتبين عظيم منزلته عند الله وارتفاع شأنه ، وهي من أعلام النبوة ، والأخبار الدالة على المعجزات التي تشهد بصحة نبوته ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ، وقد حصل له وعليه كما أخبر ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فتلك الأخبار صحيحة ، ودلالاتها صريحة ، رواتها الثقات ،

ومدونوها العلماء والأئمة الأثبات، ولا يقدح في تصحيحها تضعيف الخصوم، إذْ تضعيفهم تصحيح وتقوية ، وجرحهم تعديل وتوثيق، وهي أخبار كثيرة ، وأسانيدها معروفة شهيرة، وسنذكر بعضاً من تلك الأخبار بعون الملك الجبار مع الاختصار بحذف الأسانيد طلباً للتخفيف:

فمن ذلك ما رواه الإمام المرشد بالله — عليه السلام — في الأمالي الإثنينية بسنده عن حذيفة بن اليمان، قال: نظر رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — إلى زيد بن حارثة ، فقال: ((المقتول في الله، والمصلوب في أمتي، والمظلوم من أهل بيتي، سميُّ هذا — وأشار بيده إلى زيد بن حارثة — وقال: أدنُ مني يا زيد؛ زادك اسمك عندي حباً، فأنت سميّ الحبيب من أهل بيتي)).

وما رواه أيضاً بسنده عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم —: ((خير الأولين والآخرين المقتول في الله، المصلوب في أمتي المظلوم من أهل بيتي ، سميُّ هذا ثم ضم زيد بن حارثة إليه ثم قال: يا زيد لقد زادك اسمك عندي حباً أنت سمي الحبيب من أهل بيتي)).

ومن ذلك ما رواه الإمام المرشد بالله — عليه السلام — بسنده عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم —: ((يقتل من ولدي رجل يُدعى زيد بموضع يعرف بالكناسة، يدعو إلى الحق يتبعه عليه كل مؤمن)).

ومن ذلك ما رواه الإمام المرشد بالله — عليه السلام — أيضاً بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: مر علي — عليه السلام — في الكناسة فبكا وبكينا، فقلت: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟

قال: (حدثني حبيبي رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم —: ((أن رجلاً يُصْلب هاهنا من ولدي لا ترى الجنةَ عينٌ رأت عورته))، وهو في المصابيح لأبي العباس الحسني.

وروى نحوه أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين بسنده عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال: قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ: ((يقتل رجل من أهل بيتي فيصلب لا ترى الجنة عينٌ رأت عورته)).

ومن ذلك ما رواه الإمام المرشد بالله ـــ عليه السلام ـــ أيضاً في الأمالي الإثنينية بسنده عن الحكم بن كثير، عن أبيه كثير، عن حبة العرني، قال: كنت مع أمير المؤمنين ـــ عليه السلام ـــ أنا والأصبغ بن نباتة في الكناسة في موضع الخرازين والمسجد والخياطين وهو يومئذ صحراء فما زال يلتفت إلى ذلك الموضع ويبكي بكاء شديداً ويقول: (بأبي بأبي، فقال له الأصبغ: يا أمير المؤمنين لقد بكيت والتفت حتى بكت قلوبنا وأعيننا، والتفت فلم أرَ أحداً؟

قال: (حدثني رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ أنه يولد لي مولود ما وُلد أبواه بعدُ يلقى الله غضباناً وراضياً له، على الحق حقاً حقاً، على دين جبريل وميكائيل ومحمد ـــ عليهم السلام ـــ، وأنه يُمثَّلُ به في هذا الموضع مثالاً ما مُثّل بأحد قبله ولا يمثل بأحد بعده ـــ صلوات الله على روحه وعلى الأرواح التي تتوفى معه ـــ).

ومن ذلك: ما رواه الإمام المرشد بالله ـــ عليه السلام ـــ أيضاً في أماليه بسنده عن ابن عباس، قال: بينا علي ـــ عليه السلام ـــ بين أصحابه إذ بكى بكاء شديداً حتى لبقت لحيته، فقال له الحسين ـــ عليه السلام ـــ: يا أبه؛ مالك تبكي؟

قال: (يا بني لأمور خفيت عنك أنبأني بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)

قال: وما أنبأك به رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ؟

قال: (يا بني لولا أنك سألتني ما أخبرتك لئلا تحزن ويطول همّك، أنبأني رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ...فذكر حديثاً طويلاً **قال فيه:**

((يا علي كيف أنت إذا وليها الأحول الذميم، الكافر اللئيم، فيخرج عليه خـــير أهل الأرض من طولها والعرض)).

قلت: يا رسول الله: من هو؟

قال: ((يا علي؛ رجل أيّده الله بالإيمان، وألبسه قميص البر والإحسان، فيخرج في عصابة يدعون إلى الرحمن، أعوانه خير أعوان، فيقتله الأحول ذو الشنآن، ثم يصلبـــه على جذع رمان، ثم يحرقه بالنيران، ثم يضربه بالعسبان، حتى يكون رماداً كرمـــاد النيران، ثم يصير إلى الله عز وجل روحه وأرواح شيعته إلى الجنان)).

ومن ذلك: ما رواه أيضاً بسنده عن الحسن بن زيد، عن جعفر بن محمد، عـــن أبيه، عن جده، قال: قال علي ــ عليه السلام ــ: لما أخبرني رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بقتل الحسين وصلب ابنه زيد، قلت: يا رسول الله، ترضـــى أن يُقتل ولدك؟

فقال: ((يا علي أرضى عن الله فيَّ وفي ولديَّ، إنّ لي دعوتان، أما أحدهما فاليوم، وأمـــا الثانية فإذا عرضوا عليَّ أعمالهم ؛ ثم رفع يديه إلى السماء ثم قال: يا علـــي أمّن على دعائي:

اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، وسلط بعضهم على بعض، وامنعهم الشـــرب من حوضي ومرافقتي، ثم قال: يا علي أتاني جبريل ــ عليه السلام ــ وأنا أدعـــو وأنت تؤمن على دعائي، فقال: قد أجيبت دعوتكما)).

ومن ذلك ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: قال رسول الله ــ صلـــى الله عليه وآله وسـلم ــ للحسين ــ عليه السلام ــ: ((يخرج رجل مـــن صلبـــك يقال له زيد يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غراً محجلين يدخلون الجنة بغير حساب)).

ومن ذلك: ما رواه الأمير الحسين في ينابيع النصيحة، قال: روينا عن الباقر محمد بن علي أنه قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، أن النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال: ((يخرج من ولدي رجل يقال له زيد يقتل بالكوفة، ويصلب بالكناسة، يخرج من قبره نبشاً، تفتح لروحه أبواب السماء، ينبهج أهل السماوات يقولون: هؤلاء دعاة الحق)).

ومن ذلك ما رواه الإمام الهادي إلى الحق المبين يحيى بن الحسين بن القاسم ــ عليه السلام ــ في كتاب معرفة الله، قال: ومما روى الحسين بن علي بن أبي طالب ــ عليهم السلام ــ، قال: أخبرني أبي، قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: ((إنه سيخرج منا رجل يقال له زيد، فينتهب ملك السلطان، فيُقتل، ثم يصعد بروحه إلى السماء الدنيا، فيقول له النبيون: جزى الله نبيك عنا أفضل الجزاء كما شهد لنا بالبلاغ، وأقول أنا: أقررت عيني يا بني وأديت عني، ثم ينهب بروحه من سماء إلى سماء حتى ينتهى به إلى الله عز وجل، ويجيء أصحابه يوم القيامة يتخلّلون أعناق الناس، بأيديهم أمثال الطوامير، فيقال: هؤلاء خلف الخلف، ودعاة الحق إلى رب العالمين)).

وهذه بعض الأحاديث النبوية وهي مسلسلة بالأسانيد الصحيحة المعلومة عند أهل البيت ــ عليهم السلام ــ وفي كتبهم ، وهم أهل هذا الشأن وفرسان هذا الميدان، لأنهم عقلوا العلوم وفهموها فهم دراية ورواية، (وصاحب البيت أدرى بالذي فيه).

بعض الآثار العلوية في الإمام زيد بن علي ـ عليه السلام ـ

وهناك آثار علوية مروية عن أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب ــ عليهم السلام ــ مما علّمه إياها رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وائتمنه

عليها ، وأسرّها إليـه؛ من الأمـور الغيبية، والأسرار الإلهية، لكونه بـاب مدينـة العلم ــ صلوات الله عليه ــ ، وسنذكر شطراً منها يدل على ما سواه:

فمن ذلك: ما رواه الإمام المرشد بالله ــ عليه السلام ــ في الأمـالي الإثنينيـة بسنده عن علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي ــ عليهم السلام ــ قـال: (يخرج مني بظهر الكـوفة رجل يقال له زيد في أُبّهة سلطان ــ والأبهة الملك ــ، لم يسبقه الأولون، و لم يدركه الآخرون إلا من عمل بمثل عمله، يخرج يوم القيامة هـو وأصحابه معهم الطوامير، ثم يتخطون أعناق الخلائق، قـال: فتلقـاهم الملائكـة، فيقولون: هـؤلاء خلف الخلف ودعاة الحق، ويستقبلهم رسول الله ــ صلـى الله عليه وآله وسـلم ــ فيقول: قـد عملتم بما أمرتم، ادخلوا الجنة بغير حساب)، وهو في مقاتل الطالبيين.

وروى أيضاً بسنده عن زاذان، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ــ عليـه السلام ــ قال: (الشهيد من ذريتي، القائم بالحق من ولدي، المصلـوب بكناسـة كوفان، إمام المجاهدين، وقائد الغر المحجلين، يأتي يوم القيامة هو وأصحابه تتلقـاهم الملائكة المقربون ينادونهم: ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون).

ورواه أيضاً الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني في الأمالي.

ومن ذلك ما رواه السيد أبو العباس الحسني ــ رحمه الله تعالى ــ في كتـاب المصابيح بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن الحسين بن علي ــ عليهم السلام ــ، أن علياً أمير المؤمنين ــ صلوات الله عليه ــ خطب علـى منـبر الكوفة فذكر أشياء وفتناً، وذكر أنه قال:

(ثم يملك هشام تسعة عشر سنة وتواريه أرض رصافة رصفت عليه النار، مـالي ولهشام، جبار عنيد، قاتل ولدي الطيب المطيب، لا تأخذه رأفة ولا رحمة، يصلب ولدي بكناسة الكوفة، زيد في الذروة الكبرى من الدرجات العلى ؛ فإن يُقْتَل زيـد

فعلى سنة أبيه ؛ ثم الوليد فرعون خبيث شقي غير سعيد، يا له من مخلـــوع قتيـــل، فاسقها وليد، وكافرها يزيد، وطاغوتها أزيرق، ويزيد، متقدمها ابن آكلة الأكبـــاد ذره يأكل ويتمتع ويلهه فسوف يعلم غداً من الكذاب الأشر).

ورواه أيضاً الإمام المنصور بالله ـــ عليه السلام ـــ في الشافي حكاية عن الســـيد أبي العباس الحسني في المصابيح.

ومن ذلك ما رواه الإمام أبو طالب ـــ عليه السلام ـــ في الأمـــالي بســـنده إلى الحسين بن علي ـــ عليهما السلام ـــ من قصة فيها بعض الطول، قال في آخرهـــا: (إن أبي ـــ عليه الســـلام ـــ حدثني أنه سيكون منا رجل اسمه زيد، يخرج فيقتـــل، فلا يبقى في السماء ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، إلا تلقى روحه، يرفعه أهل كـــل سماء إلى سماء، فقد بَلَغَت، يبعث هو وأصحابه يتخللون رقاب الناس، يقال هـــؤلاء خلف الخلف ودعاة الحق).

وثمة أخبار وآثار أخر ، يدل عليها ما تقدم وذُكر، وتفيد المعنى فيما روي ، والله ولي التوفيق والهداية إلى أقوم طريق.

أقوال أهل البيت(ع) في الإمام زيد بن علي(ع)

لقد كانت شخصية الإمام زيد ـــ عليه السلام ـــ شخصية بهرت من عرفهـــا ، ويعجز عن وصفـــها من وصفها ، ويصغي إلى الإستماع إليها من سمعها ، ولقـــد كان شخصية مرموقة حتى عند أسرته وأهل بيته، لما عرفوا فيه من طيب الـــولادة ، وطهارة النشأة ، وأقر له أهل بيته بالعلم والفضل والكمال ، وسنورد في ذلك بعضاً من شذرات ألفـــاظهم ، وقبساً من ضياء أقـــوالهم فيه ـــ عليه السلام ـــ لتـــدل على ما سواها، وتغني عما وراها ، ويطمئن إليها من رواها ورءآها ، فممن أثنـــى عليه من أهل بيته ـــ عليهم السلام ـــ:

١ـ والده زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبـــي طـــالب عليهـــم السلام.

روى أبو الفرج الأصفهاني في المقاتل بسنده المتصل عن خالد مولى آل الزبـــير، قال:

(كنا عند علي بن الحسين فدعا ابناً له يقال له زيد، فكبا لوجهه، وجعل يمســـح الدم عن وجهه، ويقول: أعيذك بالله أن تكون زيداً المصلوب بالكناسة، من نظر إلى عورته متعمداً أصلى الله وجهه النار).

وقد تقدم قوله ــ عليه السلام ــ في ابنه زيد عندما تفاءل وقت ولادته.

٢ـ محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية، المتوفى سنة (٨١هـ) على الأشهر.

روى أبو الفرج أيضاً بسنده عن ريطة بنت عبدالله بن محمد بن الحنفية، عن أبيها عبدالله بن محمد، قال:

(مرّ زيد بن علي بن الحسين على محمد بن الحنفية فرَقّ له وأجلسه، وقال: أعيذك بالله يا ابن أخي أن تكون زيداً المصلوب بالعراق، ولا ينظر أحد إلى عورته ولا ينظره إلا كان في أسفل درك من جهنم).

ومن ذلك ما رواه الإمام الهادي إلى الحق ــ عليه السلام ــ في كتاب معرفة الله، قال: (عن محمد بن الحنفية أنه قال: سيصلب منا رجل يقال له زيد بن علي في هـــذا الموضع ــ يعني موضعاً بالكوفة يقال له الكنائس، لم يسبقه الأولون ولا الآخـــرون فضلاً).

٣ـ أخوه أبو جعفر محمد بن علي الباقر، المتوفى سنة (١١٨هـ) في الأصح.

روى الإمام أبو طالب في الأمالي بسنده عن جابر الجعفي، قال: قال لي محمد بن علي – عليهما السلام –: (إن أخي زيد بن علي خارج ومقتول، وهو على الحق ؛ فالويل لمن خذله، والويل لمن حاربه، والويل لمن يقتله).

ومن ذلك ما رواه أبو عبدالله العلوي بسنده عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال أبو جعفر – أي محمد بن علي الباقر –:

(لا والله الذي لا إله إلا هو ما خرج فينا أهل البيت ناس أشبه بعلي بن أبي طالب منه – يعني من زيد بن علي –).

وروى أيضاً بإسناده عن يزيد الأسدي، قال: قال لي محمد بن علي: (يا يزيد تريد أن أريك من آتاه العلم والحكم؟

قلت: نعم جعلت فداك.

قال: فقال لي: نعم، هو هذا زيد بن علي).

ومن أقواله: ما روى الإمام الهادي إلى الحق – عليه السلام –، قال: (وفيه عن محمد بن علي بن الحسين باقر العلم أن قوماً وفدوا إليه فقالوا: يا ابن رسول الله إن أخاك زيداً فينا وهو يسألنا البيعة فنبايعه؟ فقال لهم محمد: بايعوه، فإنه اليوم أفضلنا).

قال الإمام الهادي – عليه السلام –: (وعنه أيضاً أنه اجتمع زيد ومحمد في مجلس، فتحدثوا، ثم قام زيد فمضى، فأتبعه محمد بصره، ثم قال: لقد أنجبت أمك يا زيد).

وروى أبو الجارود بن المنذر، قال: كنت جالساً عند أبي جعفر محمد بن علي – عليه السلام – إذ أقبل أخوه زيد بن علي – عليهما السلام – فلما نظر إليه جعفر وهو مقبل، قال: (هذا سيد أهل بيته، والطالب أوتارهم، لقد أنجبت أم ولدتك يا زيد).

وروى الإمام المرشد بالله ـــ عليه السلام ـــ بسنده عن موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، قال: سمعت أبي محمد بن علي يقول لأخيه زيد بن علـــي عليهـــم السلام: (إن الله جعل حياتك حياة السعداء، وجعل وفاتك وفاة الشهداء).

ومن أقواله: ما ذكره الإمام الحجة مجد الدين بن محمد المؤيدي ـــ حفظه الله ـــ في التحف شرح الزلف، حيث قال رواية عن نشوان الحميري:

(عن محمد بن علي أنه قال ـــ وأشار إلى زيد ـــ: هذا سيِّد بني هاشم إذا دعاكم فأجيبوه، وإذا استنصركم فانصروه).

ورواه الإمام المرشد بالله ـــ عليه السلام ـــ عن أبي السدير.

وقال أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق البغدادي في كتابه الذي يذكر فيه تلامذة زيد بن علي ـــ عليه السلام ـــ: (قال أخوه الباقر ـــ عليه السلام ـــ: والله لقد أوتي أخي زيدٌ علماً لدنياً فاسألوه فإنه يعلم ما لا نعلم).

ومن كلامه في أخيه: ما رواه الإمام أبو طالب ـــ عليه السلام ـــ بسنده عن عبد الغفور بن عبد العزيز، قال: سمعت أبا هاشم الرماني يقول: طلب زيد بن علي مـــن أخيه ـــ عليه السلام ـــ كتاباً فأغفل عن ذلك أبو جعفر ـــ عليه السلام ـــــ، ثـــم ذكره فأخرج إليه الكتـــاب، فقال له زيد بن علي ـــ عليهما السلام ـــــــ: لقـــد وجدت ما أردته منه في القرآن، فقال له أبو جعفر ـــ عليه السلام ـــ: فأســـألك؟ فقال له زيد ـــ عليه السلام ـــ: نعم سلني عما أحببت.

قال أبو هاشم: ففتح أبو جعفر الكتاب وجعل يسأله ويجيبه زيد بجواب علي ـــ عليه السلام ـــ كما في الكتاب، فقال له أبو جعفر ـــ عليه السلام ـــ: بأبي أنـــت وأمي يا أخي، أنت والله نسيج وحدك، بركة الله على أم ولدتك، لقد أنجبت حـــين أتت بك شبيه آبائك ـــ عليهم السلام ـــ جميعاً).

٤ـــ أخوه الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـــ عليهم السلام

ـــ المتوفى سنة (١٥٧هـ).

روى الإمام المرشد بالله ـــ عليه السلام ـــ في الأمالي بسنده عن صالح بن أبـــي الأسود، عن الحسين بن علي بن الحسين ـــ عليهم السلام ـــ قال: (كان أخي زيد بن علي ـــ عليه الســـلام ـــ يعظم ما يأتيه أهل الجور وما يكـــون مـــن أعمـــالهم فيقول: والله ما يـــدعني كتـــاب ربي أن أكفَّ يدي، والله مـــا يرضـــى الله مـــن العارفين به أن يكفوا أيديهم وألسنتهم عن المفسدين في أرضه، فلمـــا نـــزل بـــين ظهرانيكم يا أهل الكوفة فبذلتم له النصرة وأعطيتموه الطاعة وعاهدتموه على ذلـــك، قام داعياً إلى الله وإلى كتابه وجهاد في سبيله، وبذل المجهود من نفسه.

فمن وفى له ونصره كان ناصراً لله، ومن نصر الله في الدنيا نصره الله في الآخرة، وأحلف بالله أن الخاذل لزيـــد بن علي كمن خذل الحسين بن علي، وأحلف بـــالله لقد مضى زيد شهيداً، ومضى والله أصحابه شهداء).

وروى الإمام المرشد بالله أيضاً بإسناده عن لوط بن إسحاق النوفلي، قال: حدثني الحسين بن علي بن الحسين ـــ عليهم السلام ـــ قال: سمعت أخي زيد بن علي ـــ عليهما السلام ـــ يقول: (من دُعي إلى الحق وأجاب إلى ذلك الذي دعا إلى الحـــق فقد نصر الله ونصر رسوله ونصر الذي دعاه إلى الحق، ونصر الحق، وكفـــى بهـــا شهادة للداعي والمجيب).

قال الحسين بن علي بن الحسين: (وكان أخي زيد بن علي ـــ عليه السلام ـــ قائلاً بالحق داعياً إلى الحق ناصراً، جاهد والله أعداء الله وأعداء رسوله واستشهد على ذلك).

٥ـــ جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين الســـبط بـــن علي أمير المؤمنين ـــ عليهم السلام ـــ المتوفى سنة (١٤٨هـــ).

روى الإمام الهادي ــ عليه السلام ــ في كتاب معرفة الله عز وجل، قال: (وعنه ــ أي عن جعفر الصادق ــ لما جاءه خبر قتل عمه زيد وأصحابه، قال: ذهب والله زيد بن علي كما ذهب علي بن أبي طالب والحسن والحسين وأصحابهم شهيداً إلى الجنة، التابع لهم مؤمن والشاك فيهم والراد عليهم كافر).

وروى محمد بن سالم، قال: قال لي جعفر بن محمد: (يا محمد هل شهدت عمـــي زيداً؟

قلت: نعم.

قال: فهل رأيت فينا مثله؟

قلت: لا.

قال: ولا أظنك والله ترى فينا مثله إلى أن تقوم الساعة، كان والله سيدنا، ما ترك فينا لدين ولا دنيا مثله).

وعن جعفر الصادق ــ عليه السلام ــ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن في السماء لحرساً وهم الملائكة، وفي الأرض حرساً وهم شيعتك يا علي، لن يبدّلـــوا ولن يغيّروا)).

فقال جعفر ــ عليه السلام ـــ: (ما أعلمه في شيعتنا إلا في أصحاب عمي زيـــد، مضى من مضى منهم على منهاجه، وبقي من بقي منهم ينتظر فرجنا أهل البيت).

وقيل لجعفر الصادق ــ عليه السلام ـــ: إن الرافضة يبرأون من عمك زيد، فقال: (برئ الله ممن برئ من عمي، كان والله أقرأنا لكتاب الله، وأفقهنـــــا في ديـــن الله، وأوصلنا للرحم، والله ما ترك فينا للدنيا ولا للآخرة مثله).

وروى الإمام أبو طالب في الأمالي بسنده عن أبي مخنف، قال: (قيل لجعفر بـــــن محمد ما الذي يقول في زيد بن علي وخروجه على هشام ؛ فقال جعفر ـــــ عليـــه

السلام ـــ: قام زيد بن علي مقام صاحب الطف ـــ يعني الحسين بن علي عليهما السلام ـــ).

٦ــ عبدالله الكامل بن الحسن الرضا بن الحسن السبط بن علي أمير المؤمنين بن أبي طالب ـــ عليهم سلام الله ـــ، المتوفى سنة (١٤٥هــ).

قال عبدالله بن الحسن ـــ عليه السلام ـــ:

(كان زيد بن علي ـــ عليهما السلام ـــ إذا قرأ آية الخوف ماد والله كما تميد الشجرة من الريح في اليوم العاصف، و لم أر فينا ولا في غيرنا مثله). ذكر أبو جعفر الهوسمي في أصول الديانات.

وروى أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق البغدادي، عن عبدالله بن الحسن ـــ عليه السلام ـــ أنه قال: (العَلَم بيننا وبين الناس علي بن أبي طالب، والعلامة بيننا وبين الشيعة زيد بن علي ـــ عليهما السلام ـــ، فمن تبعه فهو شيعي، ومن لم يتبعه فليس بشيعي).

وعن سعيد بن خثيم ، عن القاسم بن حبيب ، قال : كنت جالساً عند عبدالله بن الحسن بن الحسن فقال : (اللهم إني أشهدك وحملة عرشك وملائكتك ومَنْ حضرني من خلقك أني أتولى زيد بن علي وأبرأ إليك ممن برئ منه ومن أصحابه، مضى والله زيد ما خلف فينا لدين ودنيا مثله، أضحى زيد بالعراق فأوضح للناس الطريق ، والله إن أوثق خصال زيد أن يثيبه الله الجنان لما أوضح للناس من كتاب ربهم وسنة نبيهم ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ)، ذكره في التحفة العنبرية.

٧ــ علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـــ عليهم السلام ـــ.

روى الإمام المرشد بالله ـــ عليه السلام ـــ في الأمالي بسنده عن علي بن عثمان، قال: (سألت علي بن عبيد الله بن الحسين، قلت: جعلت لك الفداء، كان جعفر

إماماً؟ قال: نعم في الحلال الحرام، قلت: فكان زيد إماماً؟ قال: إي والله إمامنا، وإمام جعفر).

٨ــ موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر(ع) المتوفى سنة (١٨٣هــ).

روى الإمام المرشد بالله ــ عليه السلام ــ في الأمالي الاثنينية بسنده عن أحمد بن عبدالله بن موسى الهروي، قال:

(سمعتُ موسى بن جعفر يقول: إن قوماً يزعمون أنهم لنا أولياء ومن عدونا أبرياء، يبرأون من عمّنا وسيّدنا زيد بن علي(ع)، برئ الله منهم).

وروى أيضاً بسنده عن قاسم بن إبراهيم، قال: حدثني عبدالله بن موسى، عن أبيه، قال: (كان زيد بن علي ــ عليه السلام ــ خير ولد فاطمة ــ صلوات الله عليها ــ).

٩ــ الإمام المهدي لدين الله محمد النفس الزكية ابن عبدالله الكامل ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ــ عليهم السلام ــ، المتوفى سنة (١٤٥هــ).

قال الإمام محمد بن عبدالله النفس الزكية ــ عليه السلام ــ:

(أما والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين، وأقام عمود الدين إذ اعوجّ، ولن نقتبس إلا من نوره، وزيد إمام الأئمة)، رواه الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي في التحف شرح الزلف.

وروى الإمام المرشد بالله ــ عليه السلام ــ بسنده عن أبان بن تغلب، عن محمد بن عبدالله بن الحسن ــ عليهم السلام ــ قال:

(أراد الله تعالى إكرام قوم بكرامته وأحب أن يستنقذهم، فساق إليهم زيد بن علي ــ عليه السلام ــ حتى نزل بين أظهرهم فدعاهم إلى الحق، ووصفه لهم خلافاً لما كانوا عليه، فقالوا: إن أباك كان إماماً وأخاك، ليزيلوه عن دينه ويختلوه عنه،

فقال: فَجَرْتُ إذاً وعققت والدي، وظلمت أخي وافتريت عليهما، أنا أعلم بوالدي وأخي منكم، وإن هذه لَلْفرية على الله وعلينا، ولو غير زيد تكلم بهذا لقالوا ظنين متهم، جاهل لا يعلم، والحمد لله الذي جعل على هذا أمر أولنا وآخرنا لم نقرّ لهم بفرية، و لم نُنَبِّهم عليها، فمن كان أفضل من زيد بن علي وأصدق وأعلم بأبيه وأخيه منه، ولا أرضى في المسلمين).

١٠ـ عبدالله بن محمد بن الحنفية، المتوفى سنة (٩٩هـ).

روى الإمام المرشد بالله ـ عليه السلام ـ بسنده عن عمر بن سليمان، عن عبدالله بن محمد بن الحنفية، قال:

(لو نزل عيسى بن مريم لأخبركم أن زيد بن علي خير من وطئ على عفر التراب، ولقد علم زيد بن علي القرآن من حيث لم يعلمه أبو جعفر.

قال: قلت وكيف ذاك؟

قال: لأن أبا جعفر أخذه من أفواه الرجال، وإن زيد بن علي أُعطي فهمه).

وروى الإمام المرشد بالله ـ عليه السلام ـ أيضاً بإسناده عن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ـ عليهم السلام ـ عن أبيه إبراهيم أن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب قال ذات يوم لجلسائه:

(والله لقد علمتُ أهل بيتي وولد أبي، فما علمتُ أفضل من زيد بن علي، ولقد استوسقت له الفضائل، واجتمع له الخير، وكمل فيه الحق، فما يساميه أحد إلا والحق ينكسه ويزهقه).

١١ـ أخو الإمام زيد ـ عليه السلام ـ عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ عليهم السلام ـ.

روى الإمام المرشد بالله ــ عليه السلام ــ بإسناده عن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي قال: حدثني أبي، عن عمه عمر بن علي، قال: (كان زيد بن علي لا يخاف أحداً في الله، ولا تأخذه في الله لومة لائم).

١٢ــ الإمام إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ــ عليهم السلام ــ المتوفى سنة (١٤٥هــ).

روى الإمام المرشد بالله ــ عليه السلام ــ بسنده عن الحكم بن زهير، عن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن، قال: (لو نزلت راية من السماء لم تنصب إلا في الزيدية).

١٣ــ عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ــ عليهم السلام ــ.

روى أبو جعفر الهوسمي في أصول الديانات عن عبيد الله بن محمد بن عمر، قال: (إن زيد بن علي قرأ ألهاكم التكاثر حتى بلغ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(٣)﴾، فبكى بكاءً شديداً حتى ظننت أنه سيموت).

فهذه بعض أقوال أهل البيت ــ عليهم السلام ــ الذين رأوا زيداً ــ عليه السلام ــ أو أخذوا عنه، وثمة أقوال غير ما ذكرنا لكثير من أئمة أهل البيت المتأخرين عن زيد ــ عليه السلام ــ ولشيعتهم لا يسع حصرها واستقصاءها.

ويمكن أن نجمل مضمون أقوال الأئمة وشيعتهم من العلماء في الإمام زيد في القول بأنهم مجمعون على القول بإمامته ــ عليه السلام ــ وتفضيله، ويفتخرون بالانتماء إليه، وبأنه فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، كالإمام القاسم بن إبراهيم، والإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، والإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة وغيرهم من الأئمة ــ عليهم السلام ــ.

أقوال بعض علماء الأمة في الإمام زيد بن علي(ع)

لقدْ فاق الإمام زيد ــ عليه السلام ــ علماء عصره ، وأبناء دهره، فاق علـــى أقرانه، وزاد على علماء زمانه ، وأربى على أهل أوانه ، فسلموا له القياد ، وأثنـــوا عليه ، واعترفوا بسبقـــه وبهرهم علمه، وبان لهم فضله ، وسعة فقهه ، وبلاغة قوله، وفصاحة منطقه ، وحلاوة كلامه ، فمن علماء عصره الذين أثنوا عليه وامتدحوه من يلي:

١ــ أبو حنيفة النعمان بن ثابت، المتوفى سنة (١٥٠هــ).

قال أبو حنيفة ــ رحمة الله عليه ــ: (شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهلـــه فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً لقد كان منقطع القرين)).

٢ــ سفيان بن سعيد الثوري، المتوفى سنة (١٦١هــ).

روى الإمام أبو طالب في أماليه بسنده عن الواقدي، قال: سمعت سفيان الثوري ذكر زيد بن علي، فقال: (قام مقام الحسين وكان أعلم خلق الله بكتـــاب الله مـــا ولدت النساء مثله).

وروى الإمام أبو طالب أيضاً بسنده عن أبي عوانة، قال: كان سفيان الثـــوري زيدياً، وكان إذا ذكر زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ يقول: (بذل مهجته لربـــه، وقام بالحق لخالقه، ولحق بالشهداء المرزوقين من آبائه) قال أبو عوانة: (وكان زيد بن علي يرى الحياة غراماً، وكان ضجراً بالحياة).

٣ــ عامر بن شراحيل الشعبي، المتوفى سنة (٣ أو ٤ أو ١٠٧هــ).

قال الشعبي: (ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي، ولا أفقه، ولا أشـــجع، ولا أزهد).

٤ــ سليمان بن مهران الأعمش المتوفى سنة (١٤٧هـ).

قال الأعمش: (ما كان في أهل زيد بن علي مثل زيد، ولا رأيت فيهم أفضلَ منه، ولا أفصح، ولا أعلم، ولا أشجع، ولقد وفى له من تابعه لإقـامتهم علـى المنهـج الواضح).

٥ــ أبو إسحاق السبيعي عمر بن عبدالله بن علي الكـوفي، المتوفـى سـنة (١٢٧هـ).

قال: (رأيت زيد بن علي فلم أر في أهله مثله، ولا أعلم منه، ولا أفضل، وكـان أفصحهم لساناً، وأكثرهم زهداً وبياناً).

٦ــ عاصم بن عبيدالله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، المتوفّى أيام السفاح.

روى الإمام المرشد بالله في الإثنينية بسنده عن أبي داود الطهوري قـال: سمعـت عاصم بن عبدالله بن عاصم بن عمر بن الخطاب يقول: (لقد أصيب عندكم رجل ما كان في زمانه مثله ولا أراه يكون بعده مثله)، قلت: من هو؟

قال: (زيد بن علي) قلت: فإنك لتقول ذلك؟ قال: (نعم، وأنا أكبر منه مولداً قد أتى عليَّ سبعون سنـة، لقد رأيته وهو غلام حدث السن وإنه ليسمع الشيء مـن ذكر الله عز وجل فيغشى عليه حتى يقول القائل: ما هو بعائد إلى الدنيا).

٧ــ عمر بن عبد العزيز، الخليفة العادل الأموي، المتوفى سنة (١٠١هـ).

روى الإمام المرشد بالله في الأمالي الإثنينية بسنده عن عبيد الله بن محمد بن عمـر بن أبي طالب: أن زيـد بن علي دخل على عمـر بن عبد العزيز فتكلـم، فقـال عمر بن عبد العزيز: (إن زيداً لمن الفاضلين في قيله ودينه، وكان عمر يلطف بزيد بن علي ويكاتبه).

٨ــ خالد بن صفوان بن الأهتم المنقري، المتوفى سنة (١٣٣هـ).

روى الإمام المرشد بالله في قصة طويلة ذكر فيها عن خالد بن صفوان أنه قـــال: (ما رأيتُ في الدنيا رجلاً قرشياً ولا عربياً يزيد في العقل والحجج على زيد بن علـــي ـــ عليهما السلام ـــ).

وذكر في الإفادة الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين عن خالد بن صفوان أنه قال: (انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة من بني هاشم إلى زيد بن علـــي، لقـــد شهدته عند هشام بن عبد الملك وهو يخاطبه وقد تضايق به مجلسه).

٩ـــ أبو غسان الأزدي مالك بن إسماعيل الكوفية ، المتوفى سنة (٢١٩هـــ).

روى المرشد بالله بسنده عن إبراهيم بن عبدالله بن العلا، عن أبيه، قال: سمعت أبا غسّان الأزدي يقول: (قدم علينا زيد بن علي ـــ عليه السلام ـــ إلى الشام أيام هشام بن عبد الملك فما رأيت رجلاً كان أعلم بكتاب الله منه)).

١٠ـــ عمرو بن خالد الواسطي، المتوفى في حـــدود ســـنة (١٤٥هـــ) إلى (١٥٠هـــ)، قال ـــ رحمة الله عليه ـــ.

(ما رأيت هاشمياً قط مثل زيد بن علي ـــ عليهما السلام ـــ ولا أفصح ولا أزهد ولا أعلم ولا أورع ولا أبلغ في قول ولا أعرف باختلاف الناس، ولا أشد حالاً، ولا أقوم بحجة، فلذلك اخترت صحبته على جميع الناس). انتهى.

فهذه هي شهادة العلماء وأقوالهم في الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بـــن أبي طالب ـــ عليهم السلام ـــ .

أسباب خروجه ـ عليه السلام ـ

وقبل الدخول في الموضوع نودّ أن نشير إلى أن الأمة الإسلامية عاشت أكثر مـــن نصف قرن من ثورة الإمام الحسين بن علي ـــ عليه السلام ـــ إلى ثورة حفيده الإمام زيد بن علي بن الحسين من عام (٦١هـــ) إلى عام (١٢٢هـــ).

وكانت هذه الفترة فترة ظلم وظلام واستبداد كامل وشامل، فقد عاشت الأمة طوال هذه الفترة تحت ظل الحكم الأموي الغاشم، الذي عاث فيه بنو أمية وأشياعهم في الأرض فساداً، وحققوا بعض أهدافهم ضدّ الإسلام وأهله، فقد ادعى الأمويون — بل ابتزوا وأخذوا وسيطروا على — ما ليس لهم، وما ليسوا له بأهل، وأعانهم على ذلك علماء السوء.

فالإمام زيد — عليه السلام — ولد في هذه الفترة ونشأ فيها، فهو يرى ويؤلمه ما يعانيه أهله وأسرته عترة رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — وأهل بيته من قبل بني أمية وأشياعهم من العداوة المفضية إلى المحاربة بشتى الوسائل من التعذيب والتنكيل، والأسر والتقتيل، وأدناها السب والأذية، حتى لو أفضى إلى رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — أو علي — عليه السلام — أو فاطمة أو أبناؤهم، ويرى ما يعانونه أيضاً هم وشيعتهم من التخفي والإنكتام في النفس والعقيدة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يرى ويشاهد ويعاين ما تعانيه الأحكام الإسلامية من التلاعب وعدم التطبيق فهو يرى تعطيل الحدود، وتبديل الشرائع، وإماتة السنن، وإحياء البدع، وإهمال الفرائض، وتضييع الحقوق، وارتكاب المحرمات والفجور، وظهور المعاصي والفسوق.

وبنو أمية متربّعون على كرسي الحكم، منهمكون في المعاصي، من شرب الخمور، وارتكاب الفجور، وتضييع مال الله، وظلم عباد الله، كالبهيمة همها أكلها وشربها وشهوتها، ولا تدري ما يُراد بها، بل هم أضل سبيلاً.

والأمة تعيش في هذه الفوضى العارمة لا تستطيع إنكاراً ولا تغييراً. وأهل البيت — عليهم السلام — لا يحرّكون ساكناً ليس لمكان الجبن والإقرار على ظلم الأمة ؛ بل لعدم وجود الناصر.

الإمام زيد يشاهد ويرى كل هذا الظلم المرير فيموت حسرة وحزناً ويعبر عن حزنه حيث يقول: (وددت أن يدي ملصقة بالثريا ثم أفلت فأقع حيث أقع وأن الله أصلح بي أمر أمة جدي محمد — صلى الله عليه وآله وسلم —).

الإمام زيد — عليه السلام — كان يسعى في إصلاح الأمة بالقول والعمل، ولكنه يرى أن ذلك لا يحقق هدف الإصلاح والتغيير للمنكر مع استفحاله وانتشاره إلا بقيام ثورة ضد الظلم وأهله تعيد روح الإسلام والإيمان والجهاد في قلوب المستضعفين.

لقاءات الإمام زيد بن علي(ع) مع هشام بن عبد الملك

الإمام زيد — عليه السلام — كان له عدّة لقاءات وخطابات خاطب بها قائد الظلم في عصره هشام بن عبد الملك الأموي الطاغية الغاشم يفحمه فيها حتى يخجله بحضرة من جنده وملائه.

فمن ذلك:

ما رواه الإمام المرشد بالله في الإثنينية بسنده عن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي، قال: حدثني أبي، عن عمه عمر بن علي بن الحسين، عن أخيه زيد بن علي — عليهم السلام — أنه كلّم هشاماً، فقال له هشام: وأنت تكلّمني، وأنت تأمرني بتقوى الله، فقال له زيد — عليه السلام —:

(إن الله لم يضع أحداً بموضع لا يأمر بتقوى الله، ولم يضع أحداً بموضع هو فوق أن يُؤمر بتقوى الله، وإني آمرك بتقوى الله، وأحذّرك عقوبة الله)، ثم خرج من بين يديه؛ فقال هشام: والله ما يؤمن هذا على وثْبة يفرّق بها بين الأمة.

ومن ذلك: ما رواه الإمام أبو طالب في الأمالي بسنده عن سعيد بن خثيم عن أخيه معمر، قال: قال لي زيد بن علي — عليه السلام —:

(كنتُ أماري هشام بن عبد الملك وأكابده في الكلام، فدخلتُ عليه يوماً فذكر بني أمية، فقال: هم أشد قريش أركاناً، وأشيد قريش مكاناً، وأشد قريش سلطاناً، وأكثر قريش أعواناً، كانوا رؤوس قريش في جاهليتها، وملوكها في إسلامها.

فقلتُ: على مَنْ تفتخر، على هاشم أول من أطعم الطعام، وضرب الهام، وخضعت له قريش بإرغام.

أم على عبد المطلب سيّد مضر جميعاً ــ وإن قلت معد كلها صدقت ــ إذا ركب مشوا، وإذا انتعل احتفوا، وإذا تكلم سكتوا، وكان يطعم الوحش في رؤوس الجبال والطير والسباع والإنس في السهل، حافر زمزم، وساقي الحجيج، وربيع العمرتين، أمْ على بنيه أشرف رجال.

أم على سيّد ولد آدم رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ حمله الله على البراق، وجعل الجنة عن يمينه والنار بشماله، فمن تبعه دخل الجنة ومن تأخر عنه دخل النار.

أم على أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب أخي رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وابن عمه المفرج الكرب عنه، وأول من قال لا إله إلا الله بعد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لم يبارزه فارس قط إلا قتله، وقال فيه رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ما لم يقله في أحد من أصحابه ولا لأحد من أهل بيته.

قال: فاحمّر وجهه وبُهتَ ــ أي هشام ــ).

ومن ذلك: ما رواه الإمام أبو طالب أيضاً بسنده عن عماد بن أبان، قال: حدثني كليب الحارثي أن زيد بن علي ــ عليه السلام ــ دخل على هشام بن عبد الملك، وقد جمع له هشام الشاميين، فسلم عليه ثم قال له:

إنه ليس أحد من عباد الله فوق أن يوصى بتقوى الله، وأنا أوصيك بتقـــوى الله، فقال له هشام: أنت زيد المؤمل للخلافة الراجي لها، وما أنت والخلافة وأنت ابـــــن أمه.

فقال له زيد ــ عليه السلام ــ: إني لا أعلم أحداً عندي أعظم منزلة عند الله من الأنبياء، وقد بعث الله نبياً هو ابن أمة، فلو كان ذلك تقصيراً عن حتـــم الغايـــة لم يُبعث، هو إسماعيل بن إبراهيم، والنبوة أعظم منزلة عند الله من الخلافة، فكـــانت أم إسماعيل مع أم إسحاق كأمي مع أمك.

ثم لم يمنع ذلك أن جعله الله أبا العرب وأبا خير النبيين محمد ــ صلى الله عليـــه وآله وسلم ــ، وما تقصيرك برجـــل جدّه رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وأبوه علي بن أبي طالب ؛ فوثب هشام من مجلسه وتفرق الشاميون.

وفي رواية أخرى زاد فيها: (إنّ هشاماً ــ لعنه الله ــ قال لأهل بيته لما خرج زيد من عنده: ألستم تزعمون أن أهل هذا البيت قد بادوا، لا لعمري ما انقرض قوم هذا خلفهم).

ومن أعظم الأسباب الحاثة للإمام زيد ــ عليه السلام ــ على الخروج والجهاد في سبل الله، ما رواه الإمام أبو طالب من كلام الإمام زيد ــ عليه السلام ــ لجـــابر الجعفي عندما أزمع على الخروج، فقال له جابر: إني سمعت أخاك يقول كذا وكذا.

فقال لي: (يا جابر، لا يسعني أن أسكن وقد خُولف كتـــاب الله وتُحُوكِـــم إلى الجبت والطاغوت، وذلك أني شاهدتُ هشاماً ورجل يهودي عنده يسبّ رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فقلتُ للسابّ له: ويلك يا كافر أما إني لو تمكنتُ منك لاختطفتُ روحك وعجّلتك إلى النار.

فقال هشام: مه عن جليسنا يا زيد ؛ فوالله لو لم يكن إلا أنا ويحيى ابني لخرجتُ عليه وجاهدتُه حتى أفنى).

وروى السيد أبو عبدالله العلوي بسنده عن جابر الجعفي، قال: سمعتُ أبا جعفر يقول: (لا يخرج على هشام أحد إلا قتله، فقلتُ لزيد هذه المقالة، قال: لقد صدق أخي، إني شهدت هشاماً ورسول الله يُسبُّ عنده فلم يغيِّر ذلك، فوالله لو لم أكن إلا أنا وابني).

فالإمام زيد ــ عليه السلام ــ إنما قام غضباً لله؛ آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، ومحيياً للسنن والشرائع، ومميتاً للبدع والضلال، قام ثائراً لله ولدينه لما تنكرت المعالم وكثرت المظالم، واستضعف المظلوم وأعين الظالم، وأصبح من يدعى خليفة للمسلمين يسب عنده رسول رب العالمين ولا يظهر منه إنكار ولا تغيير بل يقره على عمله، وينهى من ينهاه عن قبيح فعله.

كيفيَّة دعوته ومقدماتها

كان الإمام زيد ــ عليه السلام ــ مقيماً بالمدينة المنورة ــ على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام ــ وكان عاملها من قبل هشام بن عبد الملك هو خاله إبراهيم بن هشام المخزومي.

وكان يوسف بن عمر والياً لهشام على العراق ولاه عليها بعد أن عزل خالد بن عبدالله القسري عن ولاية العراق.

فادّعى خالد بن عبدالله القسري أن له مالاً قبل زيد بن علي، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وداود بن علي بن عبدالله بن العباس، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وأيوب بن سلمة المخزومي.

فكتب يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك ؛ فمن الرواة من قال: كان زيد بن علي إذ ذاك في الرصافة فبعث إليه هشام بن عبد الملك وهو بالشام.

ومنهم من قال: كتب هشام إلى واليه على المدينة إبراهيم بن هشام المخزومي وهو بعث بهم إلى هشام بن عبد الملك.

ثم إن هشاماً بعث بهم إلى يوسف بن عمر ليجمع بينهم وبين خالد القسري، ثم لما وصلوا إليه جمع بينهم وبين القسري، ثم أنكر القسري ما ادعى فعذبه يوسف عذاباً ظن أنه قد قتله، ثم استحلفهم بعد صلاة العصر ما لخالد قبلهم قليلاً ولا كثيراً، ثم خلى سبيلهم.

فهذا اختصار القصة التي رواها المؤرخون على اختلافهم في عدد الأشخاص المدعى عليهم وفي سبب ادعاء خالد القسري عليهم ما ادعى.

والتفصيل موجود في: تاريخ الطبري، ومقاتل الطالبيين، وغيرهما.

وكان الإمام زيد ــ عليه السلام ــ كارهاً للخروج من المدينة المنورة كما قال ــ عليه السلام ــ فيما ذكره صاحب التحفة العنبرية عن أبي عامر البناني واعظ أهل الحجاز ، قال : سمعت زيد بن علي ــ عليه السلام ــ قبل أن يخرج من الحجاز إلى الشام وهو في مسجد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، وقد أتاه قوم من بني هاشم وغيرهم يودعونه ويدعون له ، فقال زيد :

(إنه والله ما من مدينة هي أحب إلي من مدينة تضمنت جسد جدي رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، وما كنت أحب أن أفارقه وقتاً واحداً ، ولكنه سلطان طاغية ، وجبار عنيد ، ولا عون لي عليه ، ولا مانع لي منه إلا الله رب العالمين)، ثم دعا ــ عليه السلام ــ بدعاء مذكور في ضمن أدعيته - عليه السلام- وصلى جنب القبر وسلم عليه وودعه ، ثم خرج وعيناه تذرفان بالدموع.

فقيل: إن زيداً ــ عليه السلام ــ بقي بالكوفة، ويوسف بن عمر يضايقه على الخروج منها، والسبب في مضايقته له بالخروج هو الكتاب الذي أرسل به إليه هشام بن عبد الملك الذي رواه الطبري في تاريخه وهو:

(أما بعد: فقد علمت بحال أهل الكوفة في حبهم أهل هذا البيت، ووضعهم إياهم في غير مواضعهم ؛ لأنهم افترضوا على أنفسهم طاعتهم، ووظفوا عليهم شرائع دينهم، ونحلوهم علم ما هو كائن، حتى حملوهم على تفريق الجماعة على حال استخفوهم فيها إلى الخروج.

وقد قدم زيد بن علي على أمير المؤمنين في خصومة عمر بن الوليد ففصل بينهما، ورآى رجلاً جَدِلاً لسِناً، خليقاً بتمويه الكلام وصوغه، واجترار الرجال بحلاوة لسانه، وبكثرة مخارجه في حججه، وما يدلي به عند لدد الخصام من السطوة على الخصم بالقوة الحادة لنيل الفلج.

فعَجِّل إشخاصه إلى الحجاز، ولا تخلّه والمقام قِبلك، فإنه إن أعاره القوم أسماعهم فحشاه من لين لفظه، وحلاوة منطقه، مع ما يدلي به من القرابة برسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وجدهم مَيَّلاً إليه...إلى آخر الكتاب فهو طويل).

مع ما كان يبلغه من اختلاف الشيعة إليه، فجعل يوسف بن عمر يستحثه على الخروج، وزيد ــ عليه السلام ــ يعتلّ بأعذار، فلما رأى زيد ــ عليه السلام ــ جد يوسف في إخراجه تهيأ للخروج والرجوع إلى المدينة، فشخص حتى بلغ القادسية، فلحقه جماعة من أهل الكوفة، وقالوا له: أين تذهب عنا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة والبصرة وخراسان يضربون دونك بأسيافهم غداً، وليس قبلك من أهل الشام إلا عدة يسيرة.

فأبى عليهم ؛ فلم يزالوا يناشدونه حتى ردوه إلى الكوفة بعد أن أعطوه العهود والمواثيق، فرجع إلى الكوفة متخفياً فبقي بها أشهراً، قيل: إنه بقي أحد عشر شهراً وهو مشغول بأخذ البيعة وبث الدعاة في الآفاق.

فأقبلت إليه الشيعة وغيرهم، يختلفون إليه ويبايعونه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصة سوى أهل المدائن والبصرة والموصل وخراسان والري وجرجان.

نص البيعة

وكانت بيعته ــ عليه السلام ــ كما يلي:

قال السيد أبو العباس الحسني ــ رحمه الله تعالى ــ في المصابيح: [وكانت بيعته التي بايع الناس عليها أن يبدأ فيقول: إنا ندعوكم أيها الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وإلى جهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وقسم الفيء بين أهله، ورد المظالم، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب، أتبايعونا على هذا؟

فإن قالوا: نعم، وضع يد الرجل على يده فيقول: عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسول لَتَفِيَنَّ ببيعتي ولتقاتلن عدونا، ولتنصحن لنا في السر والعلانية ؛ فإذا قال نعم، مسح يده على يده، ثم قال: اللهم اشهد].

وأورد نصَّ البيعة الطبري في تاريخه بزيادة: (وإعطاء المحرومين).

خروجه ـ عليه السلام ـ وصفته

كان الإمام زيد ــ عليه السلام ــ قد واعد أصحابه على الخروج أول ليلة من صفر، ولكن يوسف بن عمر لما بلغه أن الشيعة قد بايعت زيداً ــ عليه السلام ــ وأنهم في أهبة التهيؤ والإستعداد أقلقه الأمر وأزعجه.

وكان الذي أخبر يوسف بن عمر هو سليمان بن سراقة البارقي، وسعى إليه بأن زيداً في دار رجلين، فبعث يوسف في طلب زيد ليلاً فلم يوجد عند الرجلين فأتي

بهما إلى يوسف فلما كلمهما استبان له أمر زيد ـــ عليه السلام ـــ، وأمـــر بهمـــا فضربت أعناقهما.

فبلغ الخبر زيداً ـــ عليه السلام ـــ فتخوف أن يؤخذ عليه الطريق، فتعجل الخروج قبل الأجل الذي بينه وبين أهل الأمصار.

فبلغ يوسف بن عمر خروج زيد فبعث إلى الحكم بن الصلت وهو أمير شـــرطته يأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم فيحصرهم فيه، فبعـــث الحكـــم إلى العرفاء والشُرَط والمناكب والمقاتلة فأدخلهم المسجد، ثم نادى مناديه: أيما رجل مـــن العرب والموالي أدركناه في رحبة المسجد فقد برئت منه الذمة ائتوا المسجد الأعظم.

فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد، وطلبوا زيداً ـــ عليه السلام ـــ في دار معـــاوية بن إسحاق الأنصاري فخرج ليلاً، وتلك ليلة الأربعاء لسبع بقـــين من المحرم في ليلة شديدة البرد من دار معاوية بن إسحاق فرفعوا الهرادي فيها النـــيران ونادوا بشعارهم شعار رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ ((يـــا منصـــور أمت)).

فما زالوا كذلك حتى أصبحوا فلما أصبحوا بعث القاسم بن كثير، وسعيد بـــن خثيم ورجل آخر ينادون بشعار زيد ـــ عليه السلام ـــ ليجتمع أصحابـــه وأهـــل بيعته[1].

ولما خرج ـــ عليه السلام ـــ خرج معه القراء والفقهاء وأهل البصائر قدر خمسة آلاف رجل في زي لم ير الناس مثله، وتخلف باقي الناس عنه[2].

---

(١)ـ مقاتل الطالبيين باختصار.

(٢)ـ الشافي (١/١٨٨).

وخرج ــ عليه السلام ــ على برذون أشهب، في قباء أبيـــض، ودرع تحتــه، وعمامة، وبين يدي قربوسه مصحف منشور[١].

ولما رأى الإمام زيد اللواء يخفق على رأسه، والرايات تنشر للجهاد في ســبيل الله بين يديه، قــال: (الحمد لله الذي أكمل لي ديني، أما والله لقد كنت أســتحي أن أقدم على محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ و لم آمر في أمته بمعروف و لم أنه عن منكر[٢]).

ثم قال ــ عليه السلام ــ:

(أيها الناس أعينوني على أنباط أهل الشام، فوالله لا يعينني عليهم أحد إلا جاء يوم القيامة آمناً حتى يجوز الصراط.

ثم قال: نحن الأوصياء والنجباء والعلماء، ونحن خزان علم الله، وورثة وحي الله، وعترة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ، وشيعتنا رعاة الشمس والقمــر، والله لا يقبل الله التوبة إلا منهم، ولا يُخَصّ بالرحمة أحد سواهم[٣]).

وروى الإمام أبو طالب ــ عليه السلام ــ أنه قال: (والله ما وقفت هذا الموقف حتى علمت التأويل والتنزيل والمحكم والمتشابه، والحلال والحرام بين الدفتين[٤]).

وروي عن سعيد بن خثيم[٥]أن زيد بن علي ــ عليه السلام ــ كتب كتائبــه، فلما خفقت راياته رفع يده إلى السماء ثم قال: (الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرّني أني لقيت محمداً ــ صلى الله عليه وآله وســلم ــــ و لم آمــر في أمتــه

---

(١)ــ المصابيح (خ).

(٢)ــ أمالي الإمام أبي طالب (ص١٠٠) بسنده عن أبي الزناد.

(٣)ــ المصابيح (خ).

(٤)ــ أمالي الإمام أبي طالب (ص١٠٠) بسنده عن سهل بن سليمان الرازي عن أبيه.

(٥)ــ أمالي أبي طالب (ص١٠٣)، والمصابيح (خ).

بالمعروف و لم أنههم عن المنكر، والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه أججت لي نار ثم قذفت فيها ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة الله تعالى.

والله لا ينصرني أحدٌ إلا كان في الرفيق الأعلى مع محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ــ عليهم السلام ــ، ويحكم أما ترون هذا القرآن بين أظهركم جاء به محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ونحن بنوه.

يا معشر الفقهاء ويا أهل الحجا، أنا حجة الله عليكم، هذه يدي مع أيديكم على أن نقيم حدود الله ونعمل بكتاب الله ونقسم بينكم فيئكم بالسوية، فاسألوني عن معالم دينكم فإن لم أنبئكم بكل ما سألتم عنه، فولوا من شئتم ممن علمتم أنه أعلم مني.

والله لقد علمت علم أبي علي بن الحسين، وعلم جدي الحسين بن علي، وعلم علي بن أبي طالب ــ عليهم السلام ــ وصي رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وعيبة علمه، وإني لأعلم أهل بيتي، والله ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، ولا انتهكت محرماً منذ عرفت أن الله يؤاخذني به، هلموا فاسألوني).

تفصيلات الوقعة

لما أصبح الإمام زيد بن علي ــ عليه السلام ــ صباح يوم الأربعاء كان جملة من وافاه من أصحابه في تلك الليلة مائتان وثمانية عشر رجلاً، لأن البقية تسللوا وهربوا حتى كان الرجل من أهل الكوفة يخرج إلى أخيه، والمرأة إلى زوجها، والصديق إلى صديقه فيبكي عليه حتى يرده، فأمسى الإمام ــ عليه السلام ــ وقد

رق عسكره وخذّله كثير ممن كان معه، وتفرقوا عنه[١]، فقال ــ عليه السلام ــ: سبحان الله، أين الناس؟!

فقيل له: هم في المسجد الأعظم محصورون، فقال ــ عليه السلام ــ: لا والله ما هــذا لمن بايعنا بعذر، ثم نادى أصحابه: معاشر المسلمين أجيبوا دعوة ابن نبيكــم، ولا تنقضوا بيعتكم.

فلما سمع نصر بن خزيمة النداء أقبل إليه، فلقي عمر بن عبد الرحمــن صــاحب شرطة الحكم بن الصلت في خيله من جهينة في الطريق الذي يخرج إلى مسجد بــني عدي، فقال: يا منصور أمت، فلم يرد عليه عمر شيئاً، فشد نصــر عليــه وعلــى أصحابــه فقتله نصر وانهزم من كان معه، وانضم إلى زيد ــ عليه السلام ــ نحــو من خمسمائة رجل.

ثم أقبل عليهم ــ عليه السلام ــ حتى انتهى إلى جبانة الصيادين وبها خمســمائة من أهل الشام فحمل عليهم في أصحابه فهزمهم.

ثم مضى حتى انتهى إلى الكناسة فحمل على جماعة من أهل الشام فهزمهم، ثــم خرج حتى ظهر إلى الجبانة، ويوسف بن عمر على التل ينظر إلى زيد وأصحابه وهم يكرون، ولو شاء زيد أن يقتل يوسف لقتله.

ثم إن زيداً ــ عليه السلام ــ أخذ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبدالله حتى دخل الكوفة، فقال بعضهم لبعض: ألا ننطلق إلى جبانة كندة فمــا زاد الرجــل أن تكلّم بهذا الكلام إذْ طلع عليهم أهل الشام فلما رأوهم دخلوا زقاقاً فمضوا فيه.

---

(١)ــ الشافي (١/١٨٩).

وتخلّف رجل منهم فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين ثم خرج إليهم فقاتلهم ساعة فصرعوه فجعلوا يضربونه بأسيافهم ثم ضربوا رأسه بعمود حديد فقتلوه، وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه.

فلما رأى زيد ــ عليه السلام ــ خذلان الناس له، قال: (يا نصر بن خزيمة، أتخاف أهل الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية؟)

فقال له نصر: (جعلني الله فداك، أما أنا فوالله لأضربن بسيفي هذا معك حتى أموت).

ثم إنه ــ عليه السلام ــ خرج بمن معه نحو المسجد الأعظم فجعلوا ينادونهم بالخروج، ويدخلون الرايات من طاقات المسجد، وجعل نصر بن خزيمة يناديهم: يا أهل الكوفة أخرجوا من الذلّ إلى العزّ وإلى خير الدنيا والآخرة، فلم ينجح ذلك العمل.

ثم إنها أقبلت جنود أهل الشام من تلقاء الحيرة ــ بلد قرب الكوفة ــ فحمل عليهم ــ عليه السلام ــ كأنه الليث المغضب وحمل أصحابه فقتل من أهل الشام أكثر من ألفي قتيل بين الحيرة والكوفة[1]، وكان قائد جنود يوسف بن عمر هو الريان بن سلمة فرجع أهل الشام تلك الليلة وهم أسوأ شيء ظناً[2].

فلما كان من اليوم الثاني يوم الخميس دعا يوسف بن عمر الريان بن سلمة فأفف به وقال: قبّحك الله من صاحب خيل، ثم دعا العباس بن سعيد المزني فبعثه في أهل الشام إلى زيد بن علي في دار الرزق.

---

(١)ــ أمالي الإمام أبي طالب (١٠٣).

(٢)ــ مقاتل الطالبيين.

فخرج إليهم ــ عليه السلام ــ وفي أحد مجنبتي خيله نصـــر بـــن خزيمـــة، وفي الأخرى معـــاوية بن إسحاق، فلما رآهم العباس نادى: يـــا أهـــل الشـــام الأرض الأرض، فنزل ناس كثير فاقتتلوا قتالاً شديداً في المعركة.

مقتل نصر بن خزيمة، ومعاوية بن إسحاق - رحمة الله عليهما -

وقد كان في أهل الشام رجل من بني عبس يقال له نائل بن فروة، قال ليوسف بن عمر: والله لئن ملأت عيني من نصر بن خزيمة لأقتلنه أو ليقتلني، فقال له يوسف: خذ هذا السيف، فأعطاه سيفاً لا يمر بشيء إلا قطعه، فلما التقى أصحاب زيد وأصحاب العبـــاس المزني، أبصر نائلُ نصر بن خزيمة ؛ فضربه فقـــطع فخذه، وضربه نصـــــر فقتله ؛ ومات نصر رحمة الله عليه.

ثم إن زيداً ــ عليه السلام ــ هزم أهل الشام وقتل منهم أكثر من مائتي رجـــل، فلما جنّ الليل ليل الجمعة كثر القتل والجراح في أصحاب زيد - عليه الســــلام -، فجعل يدعو ويقول:

(اللهم إن هؤلاء يقاتلون عدوك وعدو رسولك ودينك الذي ارتضيته لعبـــادك، فأجزهم أفضل ما جازيت أحداً من عبادك المؤمنين، ثم قال لأصحابه: أحيوا ليلتكم هذه بقراءة القرآن والدعاء والتهجد والتضرع إلى الله تعالى، فلا أعلم والله أنه أمسى على الأرض عصابة أنصح لله ولرسوله وللإسلام منكم[1]).

ورجع أهل الشام فعبأهم يوسف فلما كان صباح الجمعة، خرج إليهم زيد ــــ عليه السلام ــ في أصحابه فشدّ عليهم حتى كشفهم ثم شد على الصف الثاني ثـــم على الصف الثالث، واقتتلوا في ذلك اليوم قتالاً شديداً.

---

(١)ــ أمالي الإمام أبي طالب.

قال سعيد بن خثيم[١]:

وكنا مع زيد في خمسمائة وأهل الشام اثنا عشر ألفاً ـــ وكان بايع زيداً أكثر من اثنا عشر ألفاً فغــدروا به ـــ إذ فصل رجل من أهل الشام من كَلْب على فـرس رائـع، فلم يزل شتماً لفاطمة بنت رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسـلم ـــ فجعل زيد يبكي حتى ابتلت لحيته، وجعل يقول: أما أحد يغضب لفاطمـة بنـت رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ؟ أما أحد يغضب لرسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ؟ أما أحد يغضب لله؟

قال: ثم تحوّل الشامي عن فرسه فركب بغلة، قال: وكان الناس فرقتين نظـارة ومقاتلة، قـال سعيد: فجئتُ إلى مولى فأخذت منه مشملاً كان معه، ثم اسـتترتُ من خلف النظارة ، حتى إذا صرتُ من ورائه ضربتُ عنقه وأنا متمكن منه بالمشمل، فوقع رأسُه بين يدي بغلته، ثم رميتُ جيفته عن السرج، وشدّ أصحابه عليّ حتـى كادوا يزهقونني، وكبّر أصحاب زيد وحملوا عليهم واستنقذوني، فركبتُ فـأتيتُ زيداً فجعل يقبّل بين عينيّ ويقول: أدركتَ والله ثأرنا، أدركتَ والله شرف الدنيـا والآخرة وذخرها، اذهب بالبغلة فقد نفلتكها.

وجَعَلَتْ خيلُ أهل الشام لا تثبت لخيل زيد ـــ عليه السلام ـــ فبعث العباس بن سعد إلى يوسف بن عمر يخبره ما يلقاه من الزيدية، وسأله أن يبعث إليه النشابة.

فبعث إليه سليمان بن كيسان الكلبي في القيقانية - وهم رماة - فجعلوا يرمـون أصحاب زيد ـــ عليه السلام ـــ وقاتل معاوية بن إسحاق ذلك اليوم قتالاً شـديداً، فقُتل بين يدي زيد ـــ عليه السلام ـــ.

---

(١)ـ مقاتل الطالبيين.

مقتله ـ عليه السلام ـ

وثبتَ الإمام ـ عليه السلام ـ في أصحابه، فلما كان جنح الليل وقد أصيب ـ عليه السلام ـ بثلاث عشرة نشابة، إذْ رُمي بسهم فأصاب جانب جبينه الأيسر فخالط دماغه حتى خرج من قفاه، فقال: (الشهادة في الله، والحمد لله الذي رزقنيها)، ثم رجع ورجع أصحابه، وأهل الشام لا يظنون أنهم رجعوا إلا للمساء.

فحُمل ـ عليه السلام ـ إلى دور أرحب وشاكر، وانطلق ناس من أصحابه فجاءوا بطبيب يقال له سفيان.

ثم نادى ـ عليه السلام ـ وقال: ادعوا لي يحيى، فدعوناه، فلما دخل جمع قميصه في كفّه، وجعل يمسح الكرب عن وجه أبيه، وقال: أبشر يا ابن رسول الله، تقدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والحسن والحسين وخديجة وفاطمة وهم عنك راضون.

فقال: صدقتَ يا بني فما في نفسك؟

قال: أن أجاهد القوم والله إلا أن لا أجد أحداً يعينني.

قال: نعم يا بنيّ جاهدهم، فوالله إنك لعلى الحق وهم على الباطل، وإن قتلاك في الجنة وقتلاهم في النار[1].

فلما جيء بالطبيب وأُدخل على زيد ـ عليه السلام ـ قال له الطبيب إنك إن نزعته من رأسك متّ، فقال ـ عليه السلام ـ: الموت أيسر عليّ مما أنا فيه.

قال: فأخذ الكلبتين فانتزعه، فساعة انتزاعه مات ـ صلوات الله عليه ـ.

فلما مات ـ عليه السلام ـ اختلفوا في دفنه، أين يدفنوه؟

فقال بعضهم: نلبسه درعين، ثم نلقيه في الماء.

---

(١)ـ المصابيح لأبي العباس الحسني ـ عليه السلام ـ (خ).

وقال بعضهم: لا بل نحتزّ رأسه، ثم نلقيه بين القتلى.

فقال يحيى بن زيد: لا والله لا يأكل لحم أبي السباع.

وقال بعضهم: نحمله إلى العباسية، فندفنه فيها، فقبلوا رأيه.

فانطلقوا، فحفروا له حفرتين وفيها يومئذ ماء كثير، وغيّروا مجرى الماء، فلما صلّوا عليه ودفنوه أعادوا مجرى الماء، وكان معهم عبد سندي، فدلّ ذلك العبدُ يوسفَ بنَ عمر على موضع القبر، فبعث إليه فاستخرجوه على بعير، ثم أقبلوا نحو القصر وقد شدّ بالحبال وعليه قميص أصفر هروي، فأُلقي من البعير على باب القصر كأنه جبل.

وصُلب جسده الطاهر بالكناسة، وصُلب معه معاوية بن إسحاق، ونصر بن خزيمة، وزياد الهندي.

وكان قتْله ــ عليه السلام ــ يوم الجمعة، الخامس والعشرين من المحرم، سنة مائة واثنتين وعشرين، وله من العمر سبع وأربعون سنة ، وقيل ثلاث وأربعون.

في ذِكْر من خرج مع الإمام زيد بن علي ـ عليه السلام ـ

لما خرج الإمام زيد ــ عليه السلام ــ ودعا الناس إلى بيعته سارع الناس إلى إجابته وبيعته، وكما يقول الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني في كتاب الدعامة في الإمامة:

(إنه لما بهر فضله وتقدمه، وظهر علمه وبراعته، وعرف كماله الذي تقدم به أهلَ عصره وأبناءَ دهره، اجتمع طوائف الناس مع اختلاف آرائهم على مبايعته، فلم يكن الزيدي أحرص عليها من المعتزلي، ولا المعتزلي أسرع إليها من المرجئ، ولا المرجئ من الخارجي، فكانت بيعته ــ عليه السلام ــ مشتملة على فرق الأمة مع اختلافها).

فقد تسارع العلماء والفقهاء، وأهل البصائر، وأهل الدين إلى بيعته - عليه السلام-، وجاهدوا بين يديه، وقتلوا معه ـــ عليه السلام ـــ وسنذكر بعض من خرج معه ـــ عليه السلام ـــ وقتل بين يديه، وبعض الأراجيز التي قيلت في الوقعة التي رواه الإمام المرشد بالله ـــ عليه السلام ـــ في الأمالي الاثنينية وقد حذفنا الأسانيد تخفيفاً:

فرسان زيد ـ عليه السلام ـ

كان من فرسان زيد بن علي ـــ عليه السلام ـــ **نصر بن خزيمة العبسي** وقد تقدم مقتله، وكان من أشجع الناس.

ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري، استشهد بين يدي زيد بن علي ـــ عليه السلام ـــ في المعركة، بعد أن أبلى بلاءً حسناً، وكان على أحد مجنبتي زيد ـــ عليه السلام ـــ.

وفيه وفي نصر يقول الشاعر:

ترى الخيل تبكي أن ترى الخيل لا ترى ... معاويـة الهنـدي فيهـا ولا نصـرا

وعوف بن سالم العبسي، وأخوه بشر بن سالم العبسي، وهو الذي ارتجز وهو يقول:

إن تعرفوني فأنا ابن عَبْسِ ... أشجعُ من ليث حمى عن عرسِ
ليثٌ هِزَبْرُ الشّدقِ حُمْرُ الخلسِ ... يفترس الأعداء أي فَرْسِ
أفدي زيداً بأبي ونفسي ... وطَارِفي وتالِدي وعُرْسي
يا قوم جدّوا في قتال النّحسِ ... فإنهم حقاً شرارُ الإنسِ

ومنهم أيضاً: **حباب بن يزيد بن معتب السلمي**، وهو الذي يقول:

إن تنكروني فأنا حبّاب أذودُ بالسيف عن الأحبابِ
عن عترة التالي للكتابِ نبيّ صِدْق طاهرٍ مُجَابِ
معظم عند العلي الوهابِ خلفتموه يا بني الأوْشَابِ
خلافةً في معشرٍ أُيَّابِ بني بنيه وبني الأصحَابِ
في أهله خلافة الذئابِ فأبشروا بالخزيِ والعِقَابِ

واستشهد حباب رحمة الله عليه مع زيد ــ عليه السلام ــ.

ومنهم: **ربيعة بن جديد**، وهو الذي قام قبل القتال، وقال للإمام زيد عليه السلام:

(والله يا أبا الحسين لأقاتلنّ معك عدوّك، فإن عدوّك عدوّنا، ونحن والله أشدّ عليه حنقاً وعداوة لما ارتكبوا من دمائكم، ومنعوا من حقوقكم، واستأثروا بالأمر دونكم، فنحن لهم مفارقون، ولأعمالهم مبغضون ؛ فانهض بنا إليهم إذا شئت، وعلى الله فليتوكل المتوكلون).

ثم شدّ عليهم وهو يرتجز ويقول:

والله لا أرجعُ حتى أُعْذَرَا أو أقتلَ المرءَ اللئيمَ الكافرا
ما كنتُ يا ابنَ الطاهرين أغْدُرَا أو أسقي الصعدة مني أحمرا
من شيعة الكافرِ أرجي الظفَرا وأنصُرَ المتوّجَ المُطَهَّرَا
ابن رسول الله ذاك الأزهرَا أفضل من هلّلَ ربي الأكبرا

حتى أموت دونَهُ وأُقْبَرَا

وقُتل رحمة الله عليه في جبانة سالم.

ومنهم: **معمر بن خثيم، والصلت بن الحر بن إياس، وسلام بن حرب، وعمروا بن عمران بن مالك الكوفي.**

ومنهم: **سلام بن المنير**، وهو الذي ضاربهم عند دار عمر بن سعد، وهو يقول:

أضربهـــم بالصـــارمِ الخـــذّامِ ... ضـــربَ غـــلامٍ أيمـــا غـــلامِ
ضـــربَ غـــلام مـــاجد قمقْـــامِ ... متـــوجٍ بـــالجودِ والوسَـــامِ
أشـــدُّ شـــدَّ الباســـلِ الضرْغـــامِ ... علـــى عُلـــوجٍ نُـــذّلٍ طُغَـــامِ
من أهـــل كوفـــانَ وأهـــلِ الشـــامِ ... دون التقـــيِّ الســـيدِ الهُمَـــامِ
زيـــدِ الهـــدى والـــبر والإقـــدامِ ... ابـــنِ رســـولِ جـــا إلى الأنـــامِ
بالصدقِ مـــن عنـــد أولي الإنعـــامِ ... لم يحفظـــــوا إلاً ولا ذِمَـــــامِ

ومنهم: **أبو السوداء النهدي**، وكان يكتب بين يدي زيد ــ عليه السلام ــ، وهو الذي يقول:

إنـــي لمـــن نهـــد لفـــي الذوائـــبِ ... أفـــدي زيـــداً بـــأبي وصـــاحِبي
وكلّ مـــا أملـــكُ مـــن مكاســـبي ... أضربُهـــم بـــذي غـــرارٍ قـــاضبِ
ضـــربَ هزبـــرٍ ضيغـــمٍ مواثـــبِ ... أرجو بـــه الحُـــورَ مـــع الكواعـــبِ
مـــن حـــور عـــينٍ لـــذة ثوائـــبِ ... نعَـــمْ ورضـــوانُ العزيـــزِ الواهـــبِ
من عنـــد ربٍّ ذي عـــلاءٍ غـــالبِ ... كـــلُّ عـــتيٍ فـــاجرٍ مُحَـــارِبِ

لآل ذي الحـــق المبـــين الواجـــبِ

واستشهد رحمة الله عليه.

ومنهم: **عمرو بن صالح الأشجعي**، وهو الذي يقول:

أنـــا الغـــلامُ مـــن ذرى غيـــــلان ذو ســـطوات لســـــتُ بــــالهُدان
ولا بِرِعْديِـــــــدٍ ولا بوانِــــــــي نفسي فدى زيد أخــــي الإحســـانِ
أفديــه مــن نوائـــــب الزمـــــانِ أيِّـــــده مـــــــنزلُ القــــــرآنِ
علــى علــوجٍ وبــــني عُبْـــدانِ قـــد كفــروا بـــالله والفرقـــانِ
إختلقــوا إفكـاً مــع البُهتــــانِ أنصـــارُ جبـــارٍ أخـــي عُــــدوانِ
يا ربِّ فاشـــف قلــبَ ذي الإيمــانِ ابـــنِ نــــــبي جـــاءَ بالبيـــانِ
مـــن عنـــد ربٍّ قـــاهرٍ منّــــانِ أفديــــه بـــالعين وبالبَنـــــانِ
ووالـــدي والطفلــــة الصبيــــانِ والله لا أثْـــــني لكـــم عنَـــانِي
ما ابتلَّ مـــن ريـــق اللَّهَـــا لســانِي فأبشـــروا بــــالخزي والهَـــوانِ

يـــا شـــيعةَ الكـــــافر والشـــيطانِ

واستشهد رحمة الله عليه.

من خرج وقتل معه ـ عليه السلام ـ

ومن الذين خرجوا معه ــ عليه السلام ــ واستشهدوا بين يديه: **عبـــدالله بـــن ميمون البجلي**، وهو الذي يقول:

إني امــــرؤٌ مـــن صـــالحي بجيلَـــهْ مـــن عــــترة مــــاجدة نبيلَـــــهْ
قبيلــتي أكـــرم بهـــــا قبيلَــــهْ أنصــرُ خــيرَ النـــاس ذا فضيلَـــــهْ
مــــن وجهُـــهُ يضـــيء كالوذيلَـــهْ ليــــس بـــذي نفـــسٍ لــــه ذليلَـــــهْ
ابـــنُ رســـولٍ جـــاء بالفضيلَــــهْ جـــاء بخــــيرٍ خُطــــةٍ جميلَــــهْ

أنقذنا من حفرة وبيلة يا ويل للحائد عن سبيله

ومنهم: **عامر بن ربيع العذري**، قام إلى زيد بن علي ـــ عليه السلام ـــ، وقال: يا أبا الحسين: أرأيت إن كنا على الحق ألستَ أعظمنا أجراً؟

قال: بلى.

قال: أرأيت إن كنا على الباطل ألست أثقلنا ظهراً؟

قال: بلى، والله الذي لا إله إلا هو يا أخا عذرة، قاتل فإنا والله لعلى أهدى الهدى، وإنهم لعلى أبطل الباطل، ثم سلّ سيفه وهو يقول:

نضرب عن زيدٍ بكل صارمِ ذي رونقٍ يفري شؤونَ الظالِمِ

لست لكم ما كنت بالمسالِمِ يا نصرةَ الكافرِ ذي المآثِمِ

وجندَ عاثٍ ذي شقاةٍ غاشمِ قد استحل قتلَ كلّ واجمِ

وكل من خالف أهلَ العالِمِ أهلَ علي الحَبْرِ ذي المكارمِ

وذي التقى والبرِّ والمُقاومِ أولُ من صلى لربٍّ راحمِ

بعد النبي خيرِ هذا العالَمِ

ثم ضرب بسيفه وقاتل حتى قُتل، رحمة الله عليه.

ومنهم: **أبو فروة الصقيل**، وهو الذي طبع لأصحاب زيد بن علي ـــ عليه السلام ـــ سيوفاً يقال لها الفروية، فصارت لم يضرب بها شيء إلا هتكته لم يرَ مثلها، سميت الزيدية.

وعن جعفر الصادق ــ عليه السلام ــ أنه لما جاءه خبر قتل أبي فروة الصقيل بين يدي زيد بن علي، تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِه مُهَاجِرًا إِلَى اللّٰهِ وَرَسُولِه ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّٰهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، رحم الله أبا فروة.

ومنهم: شهاب بن عبدالله البارقي، وشهاب بن بارق البارقي، وعبدالله بن أبي عثمان البارقي، وحسان بن قائد البارقي، وحسان بن أبي حسان البارقي الخياط، ورجاء بن هند البارقي، وعبد العزيز بن أبي عثمان البارقي، وعبدالله بن أبي عثمان البارقي.

ومنهم: ربيعة بن سمير الكلابي، الذي برز للشامي الذي أقبل على زيد وأصحابه على فرس رائع كريم، وهو يقول:

يا معشر الأوغاد والطَّغامِ ... يا شيعة الأنذالِ والأقْدَامِ

أنتم لئامٌ وبنو لئَامِ

فبرز إليه ربيعة بن سمير الكلابي وهو يقول:

اصبرْ لحاكَ الله يا ابن الكَلْبِ ... للطعنِ من فرساننا والضربِ

وابشرْ بخزي عاجلٍ وسَبِّ ... بعد عذابٍ لك عند الربِّ

ومنهم: زياد بن درهم النهدي، الذي صُلب مع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ.

ومنهم: بنو حمزة الثمالي: حمزة ومنصور وسالم ونوح.

ومنهم: ثلاثة أخوة قتلوا، علي ومحمد وبشر.

ومنهم: ثلاثة أخوة أيضاً محمد وعوف وبشر.

ومنهم: عبد الرحمن بن أبي السوداء النهدي، وعبدالله بن عثمان النهدي، وزياد بن مسلم النهدي، ودرهم النهدي.

ومنهم: علي بن سوار المرهبي، ورجاء بن سوار المرهبي.

ومنهم: أبو عبيدة عباد الأحول الهمداني، ومحمد بن أبي النعمان الصائدي الهمداني.

ومنهم: سلام الجعفي، والحر بن إياس الجعفي.

ومنهم: عمرو بن الزبرقان الأسدي، ويحيى بن الزبرقان الأسدي.

ومنهم: محمد بن الحجاج البجلي.

ومنهم: عبدالله بن سليمان الحضرمي، والقاسم بن كثير الحضرمي، الذي كان أحد الذين ينادون بشعار زيد ـ عليه السلام ـ فارتث وجرح وحمل إلى يوسف بن عمر، فأمر به فضربت عنقه صبراً فرثته أخته بشعر:

عين جودي لقاسم بن كثيرِ ... بدرورٍ من الدموع غزيرِ

أدركته سيوفُ قومٍ لئامٍ ... من أولي الكفرِ والردى والثّبورِ

سوف أبكيكَ ما تغنّى حمامٌ ... فوقَ غصنٍ من الغصونِ نَضِيرِ

ومنهم: أبو حازم، وابنه حازم الزبيري.

ومنهم: حجاج وأبو حجاج.

ومنهم: بشر الجواربي، وحكيم الأزدي، ورجاء بن نافع.

ومنهم: محرز بن جبلة الأشجعي، ومسافر بن حبيب العامري، وقاسم بن عبد الرحمن الصهباني، وفرات بن الحصين السلولي، وعثمان بن عائشة، وعتبة أبو الخياط، ونوح بن منصور.

ومنهم: عيسى بن عتبة أخذ وبه جراح فضربت عنقه صبراً.

ويحيى بن أبي حفص أخذ وبه رمق وضربت عنقه صبراً.

ومنهم: أبو أيوب الأقطع سليمان بن خالد بن دهقان البجلي الهلالي، خرج مع الإمام زيد وجاهد بين يديه وقطعت يده في المعركة ومات بعدها بمدة.

ومنهم : أبو عباد الأحول، وأبو أحيحة الأنصاري، وأبو فرقة رجل من الموالي.

ومنهم: شاكر بن عبدالله الشاكري.

وممن شهد مع الإمام زيد الوقعة من أهل البيت وجاهد معه: ولده الإمام يحيى بن زيد، والإمام المهدي لدين الله محمد بن عبدالله النفس الزكية، وجرح معه في المعركة، وأخوه عبدالله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ــ عليهم السلام ــ وجرح أيضاً، والعباس بن ربيعة من ولد بني عبد المطلب.

ذكر ذلك في المصابيح لأبي العباس الحسني.

دعاته ـ عليه السلام ـ

كان دعاته ــ عليه السلام ــ على ما ذكر ذلك في المصابيح لأبي العباس الحسني ــ رحمة الله عليه ــ:

نصر بن معاوية بن شداد العبسي، وأبو معمر سعيد بن خثيم العامري، وعبدالله بن الزبير الأسدي، ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري.

وذكر أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين زيادة:

منصور بن المعتمر، وذكر أن الإمام زيد ــ عليه السلام ــ قتل وهو غائب لما بعثه يدعو، فصام سنة يرجو أن يكفر الله ذلك عنه لتأخره.

ويزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم، كان من دعاته ــ عليه السلام ــ، وأجابه ناس من أهل الرقة.

وسالم بن أبي الحديد، بعثه زيد ــ عليه السلام ــ إلى زبيد بن الحارث الإمامي من ثقات التابعين ورؤوس محدثي الكوفي، شيعي، عابد، زاهد، المتوفى سنة (١٢٤هـ)، وقيل: (١٢٦هـ)، يدعوه للجهاد معه.

.وعبدة بن كثير الجرمي، والحسن بن سعد الفقيه أرسلهما إلى خراسان.

وعثمان بن عمير أبو اليقظان الفقيه الكوفي أرسله الإمام زيد إلى الأعمش.

وكتب زيد ــ عليه السلام ــ إلى هلال بن خباب بن الأرت وهو قاضي المدائن فأجابه وبايع له أهل المدائن.

بعض المشهورين ببيعة الإمام زيد (ع) من علماء الأمة

وممن بايع الإمام زيد ــ عليه السلام ــ من العلماء والفقهاء والمشهورين: **أبوحنيفة النعمان بن ثابت** ــ رحمه الله تعالى ــ أرسل إليه زياد بن المنذر، والفضيل بن الزبير، فقال: (هو والله صاحب الحق وهو أعلم من نعرفه في هذا الزمان)، وأنفذ إليه ثلاثين ألف درهم، وقال: استعن بها على حرب عدوك، وحث الناس على الخروج معه، وقال: (إن شفيت لأخرجن معه).

ذكر ذلك أبو العباس في المصابيح.

وروى في مقاتل الطالبيين بسنده عن محمد بن جعفر بن محمد، قال: رحم الله أباحنيفة، لقد تحققت مودته لنا في نصرته زيد بن علي.

ومنهم: مسعر بن كدام بن ظُهير أبو سلمة الكوفي، المتوفى سنة (١٥٥هـ).

وسليمان بن مهران الأعمش المتوفى سنة (١٤٨هـ).

والحسن بن عمارة البجلي أبو محمد الكوفي، المتوفى سنة (١٥٣هـ).

وقيس بن الربيع الأسدي أبو محمد الكوفي ، المتوفى سنة (١٦٥هـ) وقيل غير ذلك.

وسلمة بن كهيل الحضرمي أبو يحيى الكوفي ، المتوفى سنة (١٢١هـ).

وهاشم بن البريد أبو علي الكوفي توفي في عشر الستين ومائة هجرية.

والحجاج بن دينار الواسطي، توفي بعد المائة.

وهارون بن سعد العجلي الكوفي أبو محمد الأعور.

وغيرهم من العلماء والفضلاء وأهل الرأي.

الرافضة

قد تبين مما سبق أن الفرق جميعاً على اختلاف آرائها ومذاهبها قد أجمعوا على إمامة زيد بن علي — عليه السلام —، و لم يتخلّف عنه — عليه السلام — إلا طائفة قليلة تركوا نصرته والجهاد معه فسمّاهم — عليه السلام — (الرافضة)؛ كما سيأتي.

وقد اختلف في أسباب تخلّفهم ونكثهم وتركهم للإمام — عليه السلام —.

فقد ذكر الإمام الهادي إلى الحق — عليه السلام — في كتاب معرفة الله سبب تخلّفهم حيث قال — عليه السلام —:

(وإنما فرّق بين زيد وجعفر قوم كانوا بايعوا زيد بن علي، فلما بلغهم أن سلطان الكوفة يطلب من بايع زيداً ويعاقبهم، خافوا على أنفسهم، فخرجوا من بيعة زيد ورفضوه مخافة من هذا السلطان، ثم لم يدروا بم يحتجون على من لامهم، وعاب عليهم فعلهم، فقالوا بالوصية حينئذ، فقالوا: كانت الوصية من علي بن الحسين إلى ابنه محمد، ومن محمد إلى جعفر ؛ ليوهموا به على الناس فضلوا وأضلوا).

وروى في المصابيح عن القاسم بن إبراهيم — عليه السلام — أنه قال:

(لما ظهر زيد بن علي — عليه السلام — إلى نصرة الحق فأجابته الشيعة وكثير من غيرها، وقعد قوم وقالوا: لست الإمام، قال: فمن هو؟

قالوا: ابن أخيك جعفر.

قال لهم: إن قال جعفر إنه الإمام فقد صدق فاكتبوا إليه وسلوه.

قالوا: الطريق مقطوعة ولا نجد رسولاً إلا بأربعين ديناراً.

قال: هذه أربعون ديناراً، فاكتبوا فارسلوا إليه.

فلما كان من الغد أتوا، فقالوا: إنه يداريكم.

قال: ويلكم إمام يداري من غير بأس أو يكتم حقاً أو يخشى في الله أحداً، اختاروا إما أن تقاتلوا معي وتبايعوني على ما بويع عليه علي والحسن والحسين ــ عليهم السلام ــ، أو تعينوني بسلاحكم وتكفّوا عني ألسنتكم.

قالوا: لا نفعل.

قال: الله أكبر، أنتم والله الروافض التي ذكر جدي رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال: ((سيكون من بعدي قوم يرفضون الجهاد مع الأخيار من أهل بيتي، ويقولون ليس عليهم أمر بمعروف ولا نهي عن منكر، يقلدون دينهم، ويتبعون أهوائهم)).

وروى أيضاً أنهم دخلوا على زيد ــ عليه السلام ــ فقالوا: إلى ما تدعونا؟

فقال: إلى كتاب الله، وإحياء السنن، وإطفاء البدع ؛ فإن أجبتم سعدتم، وإن أبيتم فلست عليكم بوكيل.

قالوا: لا يسعنا ذلك، وخرجوا يقولون: سبق الإمام ــ يعنون بذلك جعفر الصادق ــ.

قال الإمام الهادي ــ عليه السلام ــ بعد أن ذكر ما تقدم نقله عنه:

(فلما كان فعلهم على ما ذكرنا، سماهم حينئذ زيد روافض، ورفع يديه فقال: (اللهم اجعل لعنتك ولعنة آبائي وأجدادي ولعنتي على هؤلاء الذين رفضوني، وخرجوا من بيعتي كما رفض أهلُ حَرَوْرَاء علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ حتى حاربوه) فهذا كان خبر من رفض زيد بن علي وخرج من بيعته.

وروي عن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قال لعلي بن أبي طالب: ((يا علي، إنه سيخرج قوم في آخر الزمان لهم نبز يعرفون به يقال لهم الرافضة، فإن أدركتهم فاقتلهم، فإنهم مشركون))؛ فهم لعمري شرّ الخلق والخليقة)، انتهى ما ذكر الهادي ــ عليه السلام ــ.

فهذه رواية أهل البيت ــ عليهم السلام ــ في خبر الرفض.

وروى الطبري في تاريخه: أن طائفة من الرافضة قبل خروج زيد بن علي مرّوا بجعفر بن محمد فقالوا له: إن زيد بن علي فينا يبايع أفترى لنا أن نبايعه؟ فقال لهم: نعم بايعوه، فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا، فجاؤوا فكتموا ما أمرهم به.

وأهل البيت ــ عليهم السلام ــ المتقدمون منهم والمتأخرون يصرّحون بذمهم للرافضة وتخطئتهم والإنكار عليهم، والرد لأقوالهم، والإبطال لشبههم ، وقد أُلِّفت المؤلّفات في خصوص الرد عليهم ونقض شبههم، وإبطال محالاتهم التي يدعون.

بعض كرامات الإمام زيد بن علي ـ عليه السلام ـ

وقد أكرم الله عز وجل الإمام زيد ــ عليه السلام ــ بكرامات كثيرة حال قتله وصلبه وإحراقه.

فمن كراماته ــ عليه السلام ــ حال قتله:

من ذلك: ما رواه الإمام المرشد بالله بسنده عن أبي داود الجفري، قال: (لما قتل زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ جاء طائران أبيضان فسقط واحد على هذا القصر، وواحد على هذا القصر، وقال أحدهما للآخر:

تنعى زيد أو أنعاه ... قاتل زيد لا نجاه

فأجابه الآخر: يا ويحه باع آخرته بدنياه).

ومن ذلك: ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: أن رأس زيد بن علي — عليه السلام — وجه به يوسف بن عمر مع زهرة بن سليم فلما كان بضيعة ابن أم الحكم ضربه الفالج.

ومن ذلك: ما رواه الإمام المرشد بالله أيضاً بسنده عن مخول بن إبراهيم، قال: حدثنا عيسى بن سواده، قال:

(كنتُ بالمدينة عند القبر عند رأس رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — وقد جيء برأس زيد بن علي — عليهما السلام — في رهط من أصحابه، فنصب في مؤخرة المسجد على الرمح، ونودي في أهل المدينة: برئت الذمة من رجل بلغ الحلم لم يحضر المسجد، فحشر الناس الغرباء وغيرهم، فمكثنا سبعة أيام يخرج الوالي محمد بن هشام المخزومي فيقوم الخطباء الذين جاءوا بالرأس فيخطبون فيلعنون علياً والحسين وزيد وأشياعهم، فإذا فرغ قام القبائل عربيّهم وعجميّهم — وكان بنو عثمان أول من قام — فلعنوا، ثم بطون قريش والأنصار وسائر الناس، حتى إذا صلى الظهر انصرف ثم عاد من الغد مثلها سبعة أيام.

فقام رجل من قريش في بعض تلك الأيام، وهو محمد بن صفوان الجمحي، وهو أبو هدى القاضي قاضي أبي جعفر، فقال له محمد بن هشام: اقعد، ثم عاد فقام من غير أن يُدعى، فقال له هشام: اقعد، فقال: إن هذا مقام لا تقدر عليه كل ساعة، قال: فتكلّم فأخذ في خطبته، ثم تناول يلعن علياً وأهل بيته، والحسين بن علي، وزيد بن علي — عليهم السلام — جميعاً ومن كان يحبّهم.

فبينا هو كذلك إذ وضع يده على رأسه، ووقع على الأرض، فظننتُ أن خطبته قد انقطعتْ، فلم أعلم حتى إذا كان من الليل انتشر خبره، فرماه الله عز وجل في رأسه بصداع لا يتمالك من الصداع حتى ذهب بصره في تلك الساعة، وكان

رجل مستند إلى القبر فضرب بيده إليَّ فزعاً، قال: ما رأيتَ؛ اشتقَّ القبر فخرج منه رجل عليه ثياب بيض فاستقبل المنبر وقال: كذبتَ لعنك الله).

ومن ذلك: ما رواه الإمام المرشد بالله (ع) أيضاً بسنده عن الربيع بن حبيب، قال: لما أصيب زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ خرجت إلى المدينة أنا وأبي، وجيء برأس زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ فجعلت قريش يصعدون المنبر يشتمون ويبرأون فجاء شيخ فقال: أما من تبرأ منه وشتمه طلب دنيا ؛ فإني لست أطلب دنيا، فأقبل في شتمه والبراءة منه، قال: فبينا نحن كذلك إذ قال: ما هذه الظلمة التي قد غشيتنا، قال: فما خرج من المسجد إلا أعمى يقاد).

وأما كراماته ــ عليه السلام ــ حال صلبه:

فمن ذلك: ما رواه الإمام المرشد بالله أيضاً بسنده عن إبراهيم بن حازم الأسدي، عن فاطمة امرأة من بني سلامة، قالت: (مررتُ فإذا زيد ــ عليه السلام ــ مصلوب عريان مكشوف العورة، فقلت: سبحان الله أيفعل هذا بابن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فحللتُ خماري عن رأسي ثم لففته فرميتُ به على عورته فاستدار حتى انعقد على عورته في وسطه، وهم ينظرون، فصعدوا فحلّوه، فاسترخت سرته حتى غطّت عورته).

ومن ذلك أيضاً: ما رواه بإسناده عن أبي الصبح سعيد بن ميمون: (أنه رأى زيد بن علي ــ عليه السلام ــ مصلوباً لم يتبقر بطنه ولا تمعّطت لحيته، ولا رأسه، ولا حالت رائحته).

ومن ذلك: ما رواه أيضاً بسنده عن الحسن بن معاوية بن وهب البجلي، قال: حدثني غير واحد لا أحصي من سمعت منه هذا الحديث: (يزعم أن زيداً ــ عليه

السلام ــ كان يُوجه بوجهه ناحية الفرات فيصبح وقد جاءت خشبته ناحية القبلة مراراً، وعلت العنكبوت حتى نسجت على عورته، وقد كانوا صلبوه عرياناً).

ومن ذلك: ما رواه أيضاً بسنده عن سعيد بن خثيم الهلالي، قال: حدثني شبيب بن عرفدة، قال: (قدمنا حجاجاً من مكة فدخلنا الكناس ليلاً، فلما أن كنا بالقرب من خشبة زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ أضاء الليل فلم نزل نسير قريباً من خشبته فنفحت رائحة المسك، فقلت لصاحبي: هكذا توجد رائحة المصلوبين، قال: فهتف بي هاتف وهو يقول: هكذا توجد رائحة أولاد النبيين، الذين يقضون بالحق وبه يعدلون).

ومن ذلك: ما رواه أيضاً بإسناده عن جعفر بن محمد الفزاري، قال: حدثنا جمهور، قال: (رأيت رجلين مقبلين من بني ضبة كل واحد يده في يد صاحبه، حتى جاءا إلى خشبة زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ فضرب أحدهما بيده على الخشبة وهو يقول: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...الآية﴾ [المائدة:٣٣]، قال: فذهب لينحّي يده فانتثرت بالآكلة، ووقع شقّه، فمات إلى النار).

ومن ذلك: ما رواه بإسناده عن جرير بن مغيرة، قال: (نظر رجل إلى زيد بن علي ــ عليه السلام ــ فأشار إليه بإصبعه أو بيده، وقال: هذا الفاسق بن الفاسق، قال: فرجعت إصبعه في كفّه).

ومن ذلك: ما رواه بإسناده عن الزبير بن عدي اليامي، قال: (كنتُ عند خشبة زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ قائماً إذ جاءت امرأة، فقالت كذا بإصبعها على الخشبة ــ يعني طغست بأصبعها على الخشبة ــ) وذكر الحديث المتقدم.

ومن ذلك: ما رواه أيضاً بإسناده عن قاضي نهاوند وهب بن إبراهيم، قال: خرجت إلى مكة فلما كنت في المسجد الحرام إذا رجل والناس مجتمعون عليه يحدثهم فدنوتُ منه فإذا هو يحدّثهم، قال:

(إني كنتُ فيمن يحرس خشبة زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ، قال: فلما كان ليلة نوبتي إني لقاعد بعد العتمة بحذاء الخشبة إذ رأيتُ النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مقبلاً ومعه سراج أو قنديل حتى وقف قدّام خشبة زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ فقال له: يا زيد، فقال: لبيك يا رسول الله، قال: اهبط بإذن الله، فنظرتُ إلى الشُرَط وهي تحلل عنه، قال: قتلتَ مظلوماً، قال: نعم يا رسول الله، قال: شهيد في شهداء كثير، أسقيك، فقال: نعم يا رسول الله، قال: فأعطاه إناء فأخذه وشرب، فقال له: رويت، فقال: نعم يا رسول الله.

قال: فقال له: إرجع بإذن الله، قال: فنظرتُ إليه حتى رجع إلى الخشبة ورأيتُ الشرط ترجع عليه.

قال: ثم التفت إلى معاوية بن إسحاق الأنصاري، فقال له: معاوية، قال: لبيك يارسول الله، قال: اهبط بإذن الله، قال: فنظرت إليه والشرط تحلل عنه حتى نزل فوقف بين يديه، فقال له: معاوية، قال: لبيك يا رسول الله، قال: قتلت فينا، قال: نعم يا رسول الله، قال: فقال: شهيد في شهداء كثير، قال: أسقيك، قال: نعم يارسول الله، قال: فأعطاه الإناء فشرب، قال: فقال: رويت، قال: نعم يا رسول الله، قال: فعد بإذن الله، قال: فنظرت إليه حتى عاد وعادت الشرط عليه كما كانت.

قال: ثم التفت إلى نصر بن خزيمة العبسي، فقال له: نصر، قال: لبيك يا رسول الله، قال: فقال له: اهبط بإذن الله عز وجل.

قال: فنظرت إلى الشرط تحلل عنه حتى نزل، فوقف بين يديه، فقال: نصر: قال: لبيك يا رسول الله، قال: قتلتَ فينا؟ قال: نعم يا رسول الله.

قال: فأعطاه الإناء فشرب، قال: فقال له: رويت؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: عُدْ بإذن الله، قال: فنظرت حتى عاد إلى الخشبة، ورجعت الشرط عليه كما كانت.

قال: فقلتُ: اسقني يا رسول الله، قال: فقال: اخسأ، شرابك وشراب أصحابك الحميم، قال: فقمتُ فأعطيتُ الله عهداً أن لا آخذ لبني أمية ديواناً حتى أموت، وأن أسكن هذا الحرم حتى أموت غفر لي أو عذّبني).

ومن ذلك أيضاً: ما رواه بإسناده عن سعيد بن خثيم، قال: حدثني محمد بن النصر الملائي، وكان من خيار الناس، قال: حدثني مولى لبني والبة من جند بني أمية، قال: كنت فيمن يحرس خشبة زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ وكانوا قد بنوا له إسطوانة من جص وأجزاء حتى بلغت رجليه، وكان رجلاً جميلاً جسيماً.

فإني لأنظر إليه إذ غلبتني عيني، وما أنا بالنائم المستقل إذ نظرت إلى رجال كأن وجوههم الأقمار تلمع من ثيابهم الأبصار، قال: فقال رجل منهم: السلام عليك يا زيد، قال: وعليك السلام يا رسول الله، قال: يا زيد قد قتلت وصلبت، قال: لتكون كلمة الله هي العليا، قال: صدقت يا زيد، أجائع أنت فأطعمك أو ظمآن فأسقيك؟ قال: كلاهما يا رسول الله.

فرأيت رسول الله قد مد يده إليه وفي يده شبه الأترجة يلقمه، ثم رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وفي يده كأس قد بان بها كفّه صلى الله عليه وآله وسلم حتى سقاه.

ثم قال له رجل آخر عن يمين رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: فيم قُتلت وصُلبت؟

قال: لتكون كلمة الله هي العليا.

قال: صدقت يا زيد؛ أبشر؛ فإنك لو تعلم ما أُخفيَ لك، ما لا عــــينٌ رأتْ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قال: فقمتُ إلى دابتي، فأسرجتها ثم ركبتها، ثم أتيتُ أهلي فبعتُ دابتي، وتركتُ ديوان بني أمية.

ومن ذلك: ما رواه بإسناده عن يحيى بن النهدي عن مولى آل الزبير عن أبيـــــه، قال:

(كان لي صديق من أهل الشام نأتيه ونتحدث عنده، ففقدته ما شاء الله، ثم لقيته بين الحرة والكوفة، فسلمت عليه، وقلت له: جفوتنا وليس نراك، فقال: إني تركت ديواني مع هؤلاء القوم ــ يعني بني أمية ــ.

وذلك أني وقفتُ على نوبة حرس خشبة زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ قال: فمكثنا من الليل ما شـــاء الله، قال: فكنت بين النائم واليقظان فنظرت النـــبي ــــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ مقبلاً حتى انتهى إلى خشبة زيد بن علي ــ عليهمـــــا الســـلام ــ فقال له: زيد، قال: لبيك يا رسول الله، قال: قتلوك وصلبوك؟ قـــال: نعم يا رسول الله، قال: فانزل.

قال: فجعل يمسح الغبار عن وجهه، ثم قال: فانتبهت فلم أنم حتى أصبحت، ثم عدت الليلة الثانية، فرأيت مثل ذلك، ثم عدت الليلة الثالثة فرأيـــت مثـــل ذلـــك، فأعطيت الله عهداً أن لا أدخل معهم في شيء واعتزلتهم.

ومن ذلك: ما رواه بإسناده عن جرير بن حازم، قال: رأيت النبي ــ صلـــى الله عليه وآله وسلم ــ مستنداً إلى خشبة زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ وهو يقول: هكذا تصنعون بولدي.

وهو في مقاتل الطالبيين، عن جرير بن حازم بلفظ، وهو يقول للناس: ((أهكـــذا تفعلون بولدي)).

وقد كان الشيعة يأتون إلى خشبة زيد ــ عليه السلام ــ فيصلون عندها ويدعون.

إحراقه ـ عليه السلام ـ

ولم يكتفِ الأمويون وشيعتهم بأن قتلوا زيداً ــ عليه السلام ــ حتى أخرجوه من قبره ونبشوه وصلبوه على جذع رمان، ولم يكتفوا بذلك ولم يتعظوا بما حصلت له ــ عليه السلام ــ من الكرامات الكثيرة حال صلبه، حتى جعلوا لهم حراساً يحرسون خشبة زيد ــ عليه السلام ــ وكان عدد من يحرسها أربعون رجلاً.

وبقي الإمام زيد ــ عليه السلام ــ مصلوباً إلى زمن الوليد بن يزيد، فيكون قد بقي ما يقرب من أربع سنوات ؛ لأن الوليد بن يزيد ولي الأمر سنة (١٢٥هـ) وزيد قتل سنة (١٢٢هـ)، وقيل: إن الذي أحرقه هو هشام بن عبد الملك الأموي.

وكان الذي ولي إحراق زيد ــ عليه السلام ــ بأمر الوليد هو: خراش بن حوشب، وهو الذي جمع الناس للحضور، وجمع الحطب؛ ثم أُنزل زيد ــ عليه السلام ــ من خشبته؛ وأُلقي في النار حتى أحرقوه، حتى روي أن الناس إنما كانوا ينظرون من بعيد لشدّة النار.

فلما أحرقوه جاءوا بالمنوطاب وضُرب بها حتى صار رماداً سحيقاً، ثم قُسّم قسمين ، فقسم ذُري في البحر، وقسم بعثوا به في مناديل إلى وجوه الناس، ودُفع إلى كل رجل قبضة يذريها حتى أفنوه.

فإنا لله وإنا إليه راجعون من هذه الفعلة الشنعاء، التي **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا**.

ولعن الله هشاماً ومن أعانه على قتل زيد أو نبشه أو صلبه أو إحراقه.

الرأس الشريف

وأما رأسه الشريف فإنهم لما احتزوه وجّهوا به إلى هشام بن عبد الملك، فنصبه على باب مدينة دمشق، ثم بعث به إلى مصر، فطيف به فيها، ثم نُصب على المنبر بالجامع بمصر سنة (١٢٢هـ)، فسرقه أهل مصر، ودفنوه في موضع، وبنو عليه مسجداً.

إلى أن ظهرت في سنة (٥٢٥هـ) في زمن الأفضل بن أمير الجيوش؛ الذي رُوي أنه لما بلغته حكاية رأس زيد بن علي ـ عليه السلام ـ أمر بكشف المسجد، وكان وسط الأكوام، ولم يبقَ من معالمه إلا محراب، فوجد فيه الرأس الشريف، ذكر ذلك أحمد بن علي المقريزي الشافعي، في الجزء الثالث من كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار.

وقال في الكتاب المذكور:

(قال محمد بن الصيرفي: حدثني الشريف فخر الدين أبو الفتوح ناصر الزيدي خطيب مصر وكان من جملة من حضر الكشف، قال: فلما خرج هذا العضو رأيته وهو هامة وافرة، وفي الجبهة أثرٌ في سعة الدرهم، فضُمّخ وعُطّر، وحُمل إلى دار حتى عُمر هذا المشهد -أي مشهد زين العابدين- وكان وجدانه يوم الأحد تاسع وعشرين شهر ربيع الأول سنة (٥٢٥هـ)).

وقال أيضاً: (وهذا المشهد يتبرّك الناس بزيارته، ويقصدونه، لا سيما في يوم عاشوراء، والعامة يسمونه زين العابدين، وهو وهم، وإنما زين العابدين أبوه، وليس قبره بمصر بل قبره بالبقيع).

والناس في هذا الزمان يطلقون عليه اسم:(مسجد رأس الإمام الحسين عليه السلام)، وهو وهم أيضاً، لأن رأس الحسين ـ عليه السلام ـ قُبر بالبقيع.

انتقام الله من هشام بن عبد الملك

روى في الأمالي الإثنينية بسنده عن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ــ عليهم السلام ــ قال: سمعت أبي يقول:

(اللهم إن هشاماً رضي بصلب زيد فاسلبه ملكه، وإن يوسف أحرق زيداً فسلّط عليه من لا يرحمه، اللهم أحرق هشاماً في حياته إن شئت، وإلا فأحرقه بعد موته).

قال عبيد الله: فرأيت هشاماً محرقاً، ويوسف بن عمر مقطعاً، على كل باب من دمشق منه عضو، فقلت: يا أبتاه وافقت ليلة القدر، قال: لا، بل صُمْتُ ثلاثة أيام من رجب، وثلاثة أيام من شعبان، ورمضان، أصوم الأربعاء والخميس والجمعة ــ يعني من كل شهر ــ ثم أدعوا الله عليهما من صلاة العصر يوم الجمعة حتى أصلي المغرب.

وقد انتقم الله من هشام في أيام الدولة العباسية، قال ابن حجر الهيثمي في شرح الهمزية:

(فلما كان زمن السفاح أول خلفاء بني العباس، وهو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، أمر بامرأة هشام المذكور؛ فشُدِخ رأسها بالعُمُد، وأمر بقطع يديها ورجليها، وقتلها قصاصاً في أم ولد أو زوجة كانت لزيد ــ رضي الله عنه ــ قتلوها.

ثم أمر بهشام فنُبش من قبره، فوجد بحاله، لأنه طُلي بالعنبر لئلاّ يتغيّر، فأقاموه وجلدوه حتى تناثر لحمه، وحرّقوه بالنار، وفعلوا به كما فُعل بزيد بن علي ــ رضي الله عنه ــ جزاءً وفاقاً).

انتقام الله من يوسف بن عمر

وأما يوسف بن عمر: فقد روى في الأمالي عن حمزة بن المغيرة، قال: (كنت بدمشق حين قُتل يوسف بن عمر، فجعل في رجله حبل من مسد، وجعل الصبيان يجرّونه، وقد قُطع رأسه، وكان قصيراً، فكانت المرأة تمرّ به فتقول: لأيّ شيء قُتل هذا الصبي).

إنتقام الله من خراش بن حوشب

وروى أيضاً عن هشام بن محمد، قال:

(أُخذ خراش بن حوشب الذي أحرق زيداً ـ عليه السلام ـ وشهاب بن حوشب الذي نَبش زيداً ـ عليه السلام ـ، فأمر أبو العباس أن يُضرب كل واحد منهم ألف سوط، وتشقّ بطونهما، وتُطرح في أجوافهما الكلاب، وأن يُحرقا بالنار، ففُعل ذلك بهما).

فسبحان من لا يعجل ، وتعالى من لا يهمل، فانظر أيها المطلع كادت الدنيا أن تكون دار جزاء، فقد فُعِلَ بهؤلاء الجبابرة كما فعلوا بالعترة الطاهرة ، بل أشد مما فعلوا بهم ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

وكان هلاك بني أمية وزوال ملكهم بسبب قتل زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ.. ولله الحمد أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً.

خاتمة

السلام على زيد بن علي يوم وُلِدَ ويوم قُتل ويوم نُبش ويوم صُلب ويوم أُحرق ويوم ذُرّ في الفرات، ورحمة الله على روحه الزكية الطاهرة التي جدّدت الدين،

وفتحت الجهاد، وسلام الله ورحمته على الشهداء الذين قُتلوا معه ؛ ولعنة الله على قاتله وباغضه، والمعين عليه، والموالي لقاتليه وباغضيه، والحمد لله.

وفي ختام هذه المقدمة نقول:

اللهم إنّا نسألك أن تجعل الأعمال خالصةً لوجهك الكريم، وأن ترزقنا حبّ محمد وآله، وأن توفقنا لما تحبّ وترضى، وتثبتنا على الحق والهدى، وتجنبنا طرق الشرّ والردى، إنك على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي

الثلاثاء/ ٩/ صفر/ ١٤٢٢هـ

كتب الإمام زيد بن علي(ع)

١- كتاب الإيمان.

٢- كتاب تثبيت الإمامة.

٣- كتاب تثبيت الوصية.

٤- كتاب الرد على المجبرة.

٥- كتاب الصفوة.

٦- كتاب مدح القلّة وذمّ الكثرة.

٧- كتاب مقتل عثمان بن عفان.

كـتاب الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

[سند الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين.

قال الشيخ الفاضل، شيخ المسلمين، وفخر الزيدية الأكرمين، أحمد بن الحسن الرصاص (قدس الله روحه) في كتابه (الكاشف لبصائر الأكياس عن مذاهب القدرية الأرجاس) حاكياً لرسالة مولانا ومولى المؤمنين، حبيب رسول رب العالمين، الإمام الأعظم، الشهيد الأكرم، هادي الورى إلى الطريق الأقوم، أبي الحسين، زيد بن علي بن الحسين بن علي ــ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ــ (في الرد على المرجئة) ما لفظه:

وسنورد دفع أهاضيب، ودرر شآبيب من آيات ظاهرة، في المنع من تسمية الفاسق مؤمناً، في فصل نذكره هاهنا، في عقب هذه الجملة مرفوعاً بسنده إلى إمامنا أبي الحسين زيد بن علي ــ صلوات الله عليه، الذي زعم أنا منتحلون غير مذهبه، وسالكون غير شعبه، كذب بل نحن أشياعه وهو إمامنا، فاخساً صاغراً، ومت بغيظك، وسنرد في زمرة المصطفين محيطين به إحاطة الهالة بالقمر، والأكمام بالثمر، فنكرع من الحوض الريان، والمشرع الطفحان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

روينا من طريق الفقيه العالم بهاء الدين علي بن أحمد بن الحسين المعروف بـ(الأكوع) رحمه الله تعالى، قال: أخبرنا السيد الشريف العالم علي بن مهذب

العلوي، قال: أخبرنا الشيخ العالم أبو العباس أحمد بن يحيى بن نافة المقري، قال: أخبرنا محمد بن علي بن ميمون النَّرسيّ إجازة، أخبرنا الشريف أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي رضي الله تعالى عنه، قال: أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن أبي داره الضبي إجازة، وحدثني والدي عنه، قال: حدثنا أبو العباس إسحاق بن محمد بن مروان بن زياد الغزال، وحدثنا أبي محمد بن مروان، قال: حدثنا إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، عن **الإمام أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين** هذه الرسالة التي ردّ بها على أهل الإرجاء والحشو.

بسم الله الرحمن الرحيم

[وصية الإمام زيد في التمسك بالقرآن]

من رجل من المسلمين، إلى من قرأ هذا الكتاب من المؤمنين المسلمين، سلام الله تعالى عليكم، فإني أحمد الله تعالى إليكم الذي لا إله إلاهو وإليه المصير.

وأوصيكم بتقوى الله تعالى وطاعته، فإن تقوى الله رأس كل حكمة وجماعه، فـ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[آل عمران: ١٠٢].

وأوصيكم أن تتخذوا كتاب الله قائداً وإماماً، وأن تكونوا له تبعاً فيما أحببتم وكرهتم، وأن تتهموا أنفسكم ورأيكم فيما لا يوافق القرآن، فإن القرآن شفاءٌ لمن استشفى به، ونورٌ لمن اقتدى به، ونورٌ لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، من عمل به رَشَدَ، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فَلَجَ، ومن خالفه كَفَر، فيه نبأُ مَنْ قبلكم، وخبرُ معادكم، وإليه منتهى أمركم، وإياكم ومشتبهات الأمور وبدعها، فإن كل بدعة ضلالة.

[أولاً: الرد على المرجئة]

أما بعد..

فإن ناساً تكلموا في هذا القرآن بغير علم، وإن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[آل عمران: ٧]، فالمتشابهات هُنَّ المنسوخات، والمحكمات هُنَّ الناسخات.

[بعثة الأنبياء واستحقاق الإيمان بتصديقهم]

وإن الله تبارك وتعالى بعث نوحاً إلى قومه ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[نوح: ٣]، ودعاهم إلى الله وحده لا شريك له، ﴿[وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ] إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[الشورى: ١٣].

ثم بعث الأنبياء عليهم السلام، إلى قومهم على شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله؛ فمن كان منهم مخلصاً، ومات على ذلك أدخله الله الجنة بذلك، وإن الله ليس بظلام للعبيد، و لم يكن الله ليعذب عبداً حتى يكتب عليه العمل، وينهاه عن المعاصي التي أوجب الله لمن عمل بها النار.

فلما استجاب لكلِّ نبيٍّ مَن استجاب له من قومه من المؤمنين، جعل لكل نبي شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً، والشِّرعة: السُّنَّة، فقال لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ

﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾[النساء: ١٦٣]، فأمر كل نبي أن يأخذ بالسُّنَّة والسبيل.

فكان من السُّنة والسبيل التي أمر اللّه سبحانه وتعالى بها قوم[1] موسى، أن جعل عليهم السَّبت، فكان مَنْ عَظَّم السبت و لم يستحله - يفعل ذلك من خشية اللّه - أدخله اللّه الجنة بذلك، ومن استَخَفَّ بحقه، واستَحَلَّ فيه ما حَرَّم اللّه سبحانه وتعالى من العمل الذي نهاه عنه؛ أدخله اللّه النار، حتى ابتلاهم اللّه بالحيتان التي كانت تأتيهم يوم سبتهم شرعاً[2].

فلما اصطادوا الحيتان يوم السبت واستحلوا أكله غَضِبَ اللّه سبحانه عليهم بذلك، من غير أن يكونوا أشركوا بالرّحمن، ولا شكوا في شيء مما أُنزِل على موسى صلى اللّه عليه وسلم، فقال اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[البقرة: ٦٥].

وبعث اللّه سبحانه عيسى عليه السلام بشهادة أن لا إله إلا اللّه والإقرار بما جاء به من عند الله، وجعل له شِرْعَةً ومِنْهَاجاً، فَهَدَمَ السَّبتَ[3] ـــ الذي كان بنو إسرائيل يعظّمونه قبل ذلك ـــ وعامةُ ما كانوا عليه من السُّنة والسَّبيل، فأُمِرُوا أن يتبعوا سُنّة عيسى عليه السلام وسبيله، فمن اتَّبع سُنّة عيسى عليه السلام وسبيله أدخله اللّه الجنة، ومن ثبت على السبيل الذي جاء به موسى و لم يتبع عيسى عليه السلام أدخله اللّه النّار؛ وإن كان مؤمناً بما جاء به الأنبياء عليهم السلام لا يشرك بالله شيئاً. فلم يزل من اتّبع عيسى عليه السلام مهتدياً ما عمل بسنة عيسى عليه السلام وسبيله مِنْ بعده.

---

(١) - ما بين القوسين زيادة.

(٢) ـــ اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(١٦٣)﴾.

(٣) ـــ هدم السبت: أي بطل حكمه.

[بداية بعثة النبي (ص)]

ثم بعث اللّه تعالى محمداً صلى اللّه عليه وآله وسلم، ثم أمر محمداً ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ أن يدعو الناس إلى اللّه وحده، وأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ـــ وهو بمكة عشر سنين، ـــ فمن اتبع محمداً صلى اللّه عليه وآله وسلم ودينه أدخله اللّه سبحانه الجنة، و لم يكن كُتب عليهم القتال، ولا الصلاة، ولا الزكاة، ولا حجّ البيت، ولا صيام شهر رمضان، فلم يكن أحد يموت ممّن يؤمن بمحمد صلى اللّه عليه وآله وسلم مخلصاً لا يشرك بالله شيئاً إلا أدخله اللّه سبحانه الجنة، ولا يعذب اللّه تعالى أحداً ـــ ممن اتبع محمداً صلى اللّه عليه وآله وسلم وهو بمكة ـــ إلا من يشرك بالرّحمن.

وتصديق ذلك ـــ أنه لم يكن ليُدْخل اللّه تعالى النارَ ممن اتبع محمداً صلى اللّه عليه وآله وسلم وهو بمكة، مَنْ يقول: لا إله إلا اللّه مخلصاً لا يشرك بالله شيئاً ـــ أن اللّه تبارك وتعالى أنزل عليه وهو بمكة في سورة بني إسرائيل: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا(٣٧)كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا(٣٨)ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾[الإسراء: ٢٣ ـــ ٣٩].

ففي هؤلاء الآيات وأشباههن مما أنزل بمكة لم يَعد اللّه النار في شيء مما نهى عنه من هذه الذنوب، حتى بلغ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾[الإسراء: ٣٩].

[بعض آيات الوعيد الخاصة بالمشركين]

ثم أنزل في سورة (المدثر): ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ(٣٨)إِلَّا أَصْحَابَ

الْيَمِينِ(٣٩)فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ(٤٠)عَنِ الْمُجْرِمِينَ(٤١)مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(٤٢)قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(٤٣)وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(٤٤)وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ(٤٥)وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(٤٦)حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ(٤٧)فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[المدثر: ٣٨ــ ٤٨]، فهؤلاء مشركون ليس فيهم أحد من أهل القبلة.

وأنزل في (تبارك): ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ(٨)قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ(٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:٨ ــ ١٠]، فهؤلاء مشركون ليس فيهم أحد من أهل القبلة.

وأنزل أيضاً في (الصافات): ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ(٣٣)إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ(٣٤)إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ(٣٥)وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٣ــ٣٦]، فهؤلاء مشركون ليس فيهم أحد من أهل القبلة.

وأنزل في (الليل إذا يغشى): ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى(١٤)لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى(١٥)الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[الليل: ١٤ ــ ١٦]، [فهؤلاء ليس فيهم أحد من أهل القبلة(١)].

وأنزل في (إذا السماء انشقت): ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ(١٠)فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا(١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا(١٢)إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا(١٣)إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤)بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾[الانشقاق: ١٠ ــ ١٥]، [فهؤلاء ليس فيهم أحد من أهل القبلة(٢)].

---

(١) ــ ما بين القوسين زيادة.

(٢)ــ ما بين القوسين زيادة.

وقال في(الواقعة): ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ(٩٢)فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ(٩٣)وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ(٩٤)إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ(٩٥)فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٩٢ـ٩٦]، فليس في هؤلاء أحد من أهل القبلة.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ(١٩)إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ(٢٠)فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(٢١)فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(٢٢)قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ(٢٣)كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ(٢٤)وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ(٢٥)وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ(٢٦)يَالَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ(٢٧)مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ(٢٨)هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ(٢٩)خُذُوهُ فَغُلُّوهُ(٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ(٣١)ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ(٣٢)إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ(٣٣)وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ(٣٤)فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ(٣٥)وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ(٣٦)لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾[الحاقة: ١٩ ـ ٣٧]، فهؤلاء ليس فيهم أحد من أهل القبلة.

وأنزل تعالى في (طسم الشعراء): ﴿وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ(٩١)وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ(٩٢)مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ(٩٣)فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ(٩٤)وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ(٩٥)قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ(٩٦)تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(٩٧)إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ(٩٩)فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ(١٠٠)وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ(١٠١)فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٩١ـ١٠٢]، فهؤلاء مشركون ليس فيهم أحد من أهل القبلة.

وهي[1] خاصة بقوم محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المشركين، ليس منها اليهود ولا النصارى.

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ(٩٤)﴾ [الشعراء]. فالذين كبكبوا هم: الآلهة ﴿وَالْغَاوُونَ﴾: هم المشركون. ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ(٩٥)﴾ [الشعراء]: ذريته من الشياطين. ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ(٩٩)﴾ [الشعراء] هم: المشركون الذين ضلوا قبلهم واقتدوا بسنّتهم.

وتصديق أن ذلك في قوم محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة قوله الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ(١٠٥)﴾[الشعراء]، ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء: ١٧٦]، فليس في هؤلاء اليهود الذين قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾[التوبة: ٣٠]، ولا النصارى الذين قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[التوبة: ٣٠]، تبارك الله وتعالى علواً كبيراً، وسيدخل الله تعالى اليهود والنصارى النار، ولكن يذكر كل قوم بأعمالهم.

وتصديق قولهم: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾[الشعراء: ٩٩]، قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٣٨].

فهؤلاء الآيات في أشباههن فيما نزل بمكة أنه تعالى لم يدخل النار إلا مشركاً.

[بعض آيات الوعيد لأهل القبلة]

حتى إذا أمر الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج من مكة والهجرة إلى المدينة، كتب عليهم القتال.

---

(١) ـــ الآيات المتقدمة.

فلما قدم النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم المدينة بُنيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا اللّه، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان.

وأنزل اللّه تبارك وتعالى على رسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم في الزاني: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[النور: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا(٦٨)يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[الفرقان: ٦٨ ــ ٦٩].

وقال تعالى: في قتل النفس التي حرم اللّه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٩٣]، ولا يلعن اللّهُ مؤمناً.

وأنزل تبارك وتعالى في مال اليتيم ــ فيمن يأكله ظلماً ــ:﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[النساء: ١٠]، والذي يأكل في بطنه ناراً يُبْعَثُ يوم القيامة ملتهبةً في بَطْنه حتى تخرج اللهب منْ فيه، يعرفه المسلمون بأكله مال اليتيم.

وأنزل تبارك وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ(١)الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[المطففين: ١ ــ ٣]...إلى آخر القصة، ولم يجعل لأحد الويل حتى يوجب له النار.

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[مريم: ٣٧].

وقال تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[الرعد: ٢٩].

وأنزل في نقض العهد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[آل عمران: ٧٧]. الخَلاَق: النَّصيب، فمن لم يكن له نصيب في

الآخرة فكيف [يسمى مؤمناً[(١)] في الدنيا؟!]

[فقل] لأهل البدع والباطل: أرأيتم لو أن رجلاً دفع إلى رجل عشرة آلاف درهم كانت ليتيم في حجره، فسأله أن يردها إليه، فجحده فيها و لم تكن له عليه بيّنة، فاستحلفه فحلف له بالله يمينَ صبْرٍ، ما دفع إليه شيئاً، وماله عليه حقّ، قليل ولا كثير، أكان ممن اشترى بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً؟ وإن الله تعالى قال: ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[النساء: ٧٧]، فلو أنه كان ممن اتقى الله تعالى و لم يشتر بعهد الله وأيمانه ثمناً قليلا لم يَخُنْ أمانته، فإن الله قال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب: ٧٢]. فمن لم يود أمانته فيها كان منافقاً وكان كافراً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[النساء: ١٠٧].وقال عز وجل: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[يوسف: ٥٢].

ولا يتوب الله إلا على من تاب إليه، ولا يرضى عمن اتبع سخطه، إنما يرضى الله تعالى عمن أرضاه واتبع رضوانه، ومن استغنى عن الله و لم يتب إليه استغنى الله عنه، ولو قال بلسانه: تُبتُ إلى الله، وخان أمانته، وأكل مال اليتيم، و لم يرده إلى أهله كان منافقاً، يَخْدَع نفسه.

[الأدلة على أن مرتكب الكبيرة لا يسمى مؤمناً]

وأنزل الله تبارك وتعالى في المدينة: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(١)الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ

(١)ـــ ما بين القوسين زيادة تتم الفائدة؛ لأن في النسخ بياض. وهذا ظن.

عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النور: ١ ــ ٢].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨]، فلو كان مؤمنا[١] لكان النبي بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً.

وقال عز وجل: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[النور:٣] فلم يُسَمِّ الزاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنة.

وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، فإن تاب يتوب اللّه عليه[٢])).

---

(١) — يعني فلو كان الزاني مؤمناً لكان النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ به رؤوفاً رحيماً، والله قد قال لنبيه في الزاني: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور:٢]، فهذا دليل على خروج الزاني من أن يسمى مؤمناً.

(٢) ــ رواه الإمام الناصر الأطروش في البساط ٦٥، وأخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي (١/٣٠ــ ٣٢ــ ٣٦) عن أبي هريرة بزيادة: (ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو يؤمن والتوبة معروضة)، وأخرجه الإمام أبو طالب في الأمالي عن أبي سعيد الخدري ص٤٠٤ في الطبعة الأولى في الباب الخمسون بلفظ: (لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن) قيل: يا رسول الله، كيف يصنع إذا واقع شيئاً من ذلك ؟ قال: (إن راجع التوبة راجع الإيمان، وإن لم يتب لم يكن مؤمناً). وأخرجه البخاري (٨/٢٩٠ــ ٢٩٣)، ومسلم في كتاب الإيمان باب نقص الإيمان بالمعاصي (٤١/٢ــ ١٠٠)، وأبو داود (١٢٢/٤) برقم (٤٦٨٩)، والترمذي (١٧/٥) برقم (٢٦٢٥)، والنسائي (٣١٣/٨)، وأحمد (٣٧٦/٢) والبيهقي (١٨٦/١) وابن ماجه (١٢٩٩/١) برقم (٣٩٣٦) والطبراني في الكبير (٣٤٦/١٢) وأبو نعيم (١٦٤/٣) وعبد الرزاق (١١٤/٧) والدارمي (١١٥/٢) وأبو يعلى (١٨٨/١١) رقم (٦٢٩٩) وأبو عوانة (١٩/١) وابن حبان (٤١٤/١) رقم (١٨٦) والحميدي (٤٧٨/٢) رقم (١١٢٨).

وأنزل الله عز وجل في القذف: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(٤)إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النور:٤-٥]، فبرأه الله ــ مادام مقيماً على الفرية ــ من اسم الإيمان.

وقال تعالى:﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾[السجدة: ١٨]، فصار منافقاً؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[التوبة: ٦٧]، فصار من أولياء إبليس، قال الله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[الكهف: ٥٠].

وأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٢٣)يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٣ ــ ٢٤].

وأنزل الله تعالى في المَرَح(١): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨]، والمختال: المُتجبِّر، والفَخورُ في كفره.

فسل أهل البدع والباطل كيف يكون رجلٌ لعنه الله في الدنيا ويلقى الله ملعوناً في الآخرة، يرجون أن يكون له عند الله تعالى نصيب، ويشكون فيه أنه ليس من أهل النار؟

وسلهم هل يشهد اللسان واليد والرجل على مؤمن؟ إنما يشهدن على من حَقَّتْ عليه كلمةُ العذاب، فأما المؤمن فهو يُعْطَى كتابه بيمينه، قال تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[الإسراء: ٧١].

---

(١)ــ يريد قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[لقمان: ١٨]، قال الإمام زيد ــ عليه السلام ــ في تفسير الغريب (٢٥١) ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾، يعني بطراً وكبراً.

وسورة (النور) أنزلت بعد سورة (النساء)، وتصديق ذلك في سورة النساء:﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٥].

والسبيل الذي قال الله تعالى [هو]: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(١)الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النور:١ ــ ٢].

وأنزل الله تبارك وتعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء:٤٨].

ثم أنزل تعالى بعدها: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٩٣].

[العمل الصالح شرط في الإيمان]

ثم أنزل تعالى بعدها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[النساء: ١٢٢].

ثم أنزل تعالى بعدها: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[النساء: ١٢٤].

ثم أنزل تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء:١٢٥].

فأبى الله أن يقبل العمل الصالح إلا بالإيمان، ولا يقبل الإيمان إلا بالعمل الصالح،

فقال عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر: ١٠]، وأبى الله أن يقبل الإسلام إلا بالإحسان، ولا يقبل الإحسان إلا بالإسلام.

ثم أنزل عز وجل: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[النساء: ٣١]. فكل كبيرة ما(١) وعد الله تعالى عليها النار.

ثم أنزل تعالى بعد ذلك: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٩٣].

وقال الله عز وجل: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ(٢٢)أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد:٢٢،٢٣]، وحين تَوَلَّى الذين أفسدوا في الأرض تَوَلَّوْا عن طاعة الله تعالى وقطع الرحم، فإن لقي أخاه من المسلمين ضرب عنقه وأخذ ماله.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠]، فإذا قتله برىء من أخوته وصار خصمه.

وتصديق ذلك: لو أن أخوين لأب وأم قتل أحدهما صاحبه لم يرثه الذي بينهما من الميراث.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا(٢٩)وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[النساء: ٢٩ ـ ٣٠].

(١) - إما أن نكون (ما) هاهنا زائدة، أو يريد الإمام زيد عليه السلام بهذه الجملة تعريف الكبيرة بأنها: ما توعد الله عليها بالنار، فتكون (ما) هنا اسم موصول بمعنى التي، أو تكون (ما) نكرة بمعنى أي كبيرة كانت، والله أعلم.

فسلهم حين أصلاه اللّه تعالى النار أخرجه من رحمته إلى غضبه؟

فإنهم سيقولون: نعم.

فقل: هل أخرجه اللّه وهو في عداوته، أو في ولايته؟

فإن قالوا: هو في عداوته فقد صَدَقُوا. وإن قالوا: يعذبه اللّه تعالى وهو في ولايته فقد كذبوا وافتروا على اللّه الكذب؛ لأن اللّه سبحانه وتعالى قضى على نفسه أنه ولي كل مؤمن؛ وأن إبليس قال لربه: ﴿فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(٧٩)قَالَ فَإِنَّكَ مِنْ الْمُنظَرِينَ(٨٠)إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ(٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٨٢)إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾[ص: ٧٩ ــ ٨٣]، فهل من ذرية آدم أحدٌ لم يغوه إبليس إلا عباد اللّه المخلصين؟

قل: فمن أي الفريقين هذا الذي أكل المال وسَفَكَ الدّم الحرام؟ ممن أغواه إبليس؟ أو من عباد اللّه المخلصين؟ فإنه لا بد له أن يكون من أحد الفريقين، فإن قالوا: لا ندري من أي الفريقين. لُبّسَ عليهم دينهم، وشكوا في قول ربهم، وعمي عليهم أمرهم الذي ينتحلون؛ لأنه إنما سَفَكَ الدّم وقَطَع الرّحم، وأكل المال بطاعته إبليس وغوايته.

وقال اللّه تعالى:﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[لقمان: ٣٢]، والختّار: الغَدّار. ومن غدر بميثاقه كفر، قال اللّه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾[الرعد: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الأنفال: ٢٧]، فمن خان أمانته خان اللّه ورسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم.

وتصديق ذلك أن اللّه تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران: ١٦١]، أفيأتي بالغل يوم القيامة، فيلقيه في النار،

ويدخل الجنة؟ فما أرى إذاً الغَلّ الذي جاء به ـــ يحمله يوم القيامة ـــ ضَرّه شيئاً إن كان كما يقولون: ((إذا قال: لا إله إلا اللّه دخل الجنة)). أليس القول حقيقة من العمل.

وقال عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. فأصل القول العمل.

وقال اللّه تعالى: لمحمد صلى اللّه عليه وآله سلم: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[النساء: ١٠٧]. إنما أنزلت هذه الآية في أهل القبلة الذين خاصموا عن الرجل الذي خان الدرع من اليهودي[1]، وهو الذي أنزلت فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨] ولو مات خائناً قبل أن يشرك بالله شيئاً أدخله اللّه تعالى النار، إن اللّه تعالى لا يدخل الجنة إلا من يحب.

وموجبات العذاب نزلن بعد الآيات[2] التي نزلت في (سورة بني إسرائيل) التي

---

(١)ـــ قال الزمخشري في الكشاف (٥٩٥/١) في تفسير سورة النساء آية ١٠٧: روي أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعاً من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه، وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها، وما له بها علم، فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فأخذوها، فقال: دفعها إليّ طعمة وشهد له ناس من اليهود، فقالت بني ظفر: انطلقوا بنا الى رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك وافتضح، وبرىء اليهودي، فهَمّ رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ أن يفعل وأن يعاقب اليهودي، وقيل: هَمّ أن يقطع يده اتفاقاً. انتهى.

(٢)ـــ الآيات هي قول الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا(٣١)وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا(٣٢)وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ

ذكر فيهن: القتل والعهد والزناء وأكل مال اليتيم، وأشباه ذلك من الكبائر التي لم يكن الله وعد عليها النار، حتى بلغ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾[الإسراء: ٣٩]، فأوجب لمن عمل بهولاء الآيات النار، الذين لم يكن أوجب عليهم النار في سورة بني إسرائيل بمكة(١).

فإن الله تعالى لايقبل العمل إلا من المتقين، وكيف يكون من المتقين من أقام على الزنا والقتل، وأكل مال اليتيم، ونقض العهد والميثاق، والفساد في الأرض، والإقامة على المعاصي؟

وإن التقوى ليس هو قولاً بغير عمل، إنما التقوى: الإيمان والعمل بحقيقة الإيمان، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢]، وقد سماهم الله تبارك وتعالى مؤمنين حين أسلموا وأخبتوا وصدقوا بما جاء به نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، من أمرهم بالتقوى

كَانَ مَنْصُورًا(٣٣)وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا(٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا(٣٥)وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا(٣٦)وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا(٣٧)كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا(٣٨)﴾، يريد الإمام زيد ــ عليه السلام ــ أن الله عز وجل لم يتوعد بالنار في أي هذه الكبائر، وإنما حذر منها، وتوعد بالنار على الشرك بالله فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا(٣٩)﴾ [الإسراء]، وهذه الآيات من سورة الإسراء وسورة الإسراء مكية باتفاق بين القراء والمفسرين.

(١)ــ معنى ذلك: أن الله عز وجل إنما كلف عباده في بداية الدعوة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فمن فعل ذلك استحق الجنة، و لم يكن قد أوجب النار على شيء من الكبائر، وإنما النار للمشركين، فلما زادت التكاليف وشرعت الشرائع حكم الله بالنار على من فعل الكبائر.

والعمل، فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[محمد: ٣٣] وقال تعالى للمؤمنين: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[الأنبياء: ١٠٣].

[أدلة سمعية ومناقشة على وعيد أهل الكبائر]

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: ٢٧٥]. فإن زعموا أن هذا مشرك فقد كذبوا، لأن الله تعالى يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(٢٧٨)فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[البقرة: ٢٧٩]، فصار حربَ الله حين أقام على الربا من غير شرك بالرحمن، ولا شك فيما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

إن الله تبارك وتعالى أمر الناس بالتقوى فمن اتقى مات مسلماً، ومن لم يتق مات وهو كافر وإن كان يدعي الإسلام.

تصديق ذلك قوله تعالى في (المائدة) ـــ وهي آخر القرآن هي و(براءة) وهي ناسخة ـــ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(٢٨)إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ(٢٩)فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا

أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ] ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[المائدة: ٢٧ ــ ٣٢]، فإذا قَتَلَ قتيلاً بغير نفس أو فساد في الأرض كان مسرفاً، قال الله عز وجل:﴿ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾[غافر: ٤٣].

فسلهم كيف يغفر الله تعالى لعبد لقي الله وفي عنقه مثل دماء المسلمين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وجميع بني آدم كل برٍّ منهم وفاجر؟ لم يتب إلى الله تعالى ، و لم يزدد إلا فساداً في الأرض وسفك الدم، فكيف يرضى الله تعالى عمن أسخطه واستغنى عنه، فإن الله الغني عن العباد وهم الفقراء وهو الغني الحميد.

فسل أهل البدع والباطل عن ابني آدم: من أهل الدعوة كانا أو مشركين؟ [فإن زعموا أنهما من أهل الدعوة فقد صدقوا. وإن زعموا أنهما مشركان فقد كذبوا(١)].

وتصديق ذلك أنهما قربا قرباناً لله فَتُقُبِّل من أحدهما و لم يُتَقَبَّل من الآخر، و لم يكن آدم صلى الله عليه ليأمر ابنيه الذين خرجا من صلبه أن يكونا على غير ملته، و لم يكن إبليس نصب وثناً يومئذ دون الرحمن، إنما نصب إبليس الأوثان للناس بعد ما كثر الناس ومات العلماء منهم، فخدعهم إبليس عن أنفسهم، و لم يجعل سبحانه ابن آدم ــ حين قتل أخاه ــ من أهل النار بالشِّرك، ولكنه أضله بقتله أخاه ليكون للسعيد موعظة.

وسلهم هل يشهدون أن ابن آدم الذي قتل أخاه من أهل النار؟ فإن قالوا: نعم.

(١)ــ ما بين القوسين غير موجود في النسخ المعتمد عليها، وإنها زيادة لتمام المعنى الآتي بعدها.

فقد صدقوا.

وإن قالوا: لا ندري، شكّوا في قول اللّه عز وجل، لا يدرون هل ينجز اللّه وعده أم لا؟ فأي أرض أو سماء تسع رجلاً يشهد على ابن آدم الذي اصطفاه اللّه تعالى على خلقه، وسجدت له الملائكة كلهم أجمعون، أنه من أهل النار، ولا يشهدون على أخوين يدعيان الإسلام من أهل زمانهم هذا، لعل أبويهما كانا يدعيان الإسلام، أو كانا يهوديين أو نصرانيين أو مجوسيين، قَتَلَ أحدهما أخاه؟! فسلهم عنهما.ألا يشهدون أن القاتل في النار؟

وقضاءُ اللّه جل وعلا في العباد واحد، ما نهى مَنْ قبلنا عن ذنب ـــ أوجب لمن عمل به النار؛ فعملوا به فأدخلهم به النار ـــ إلا عذب من عمل منا بذنب قد نهى اللّه عنه، فأوجب اللّه تعالى لمن عمل به النار.

وسلهم عن (داود) صلى اللّه عليه وسلم حين قال اللّه تعالى: **﴿يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾**[ص: ٢٦].

وقال تعالى لمحمد صلى اللّه عليه وآله وسلم: **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾** [النساء: ١١٣]، فكانت الأنبياء عليهم السلام لو اتبعوا الهوى ضلوا عن سبيل اللّه تعالى.

ولو أن عربياً أو مولى أو نبطياً ممن يدعي الإسلامي استعمله الأمير فقتل الأنفس، وقضى بغير الحق، واتبع الهوى، قلتم: ما ندري لعل اللّه يغفر له، إنه من أهل الدعوة!!

أيشهدون على (داود) صلى اللّه عليه وسلم أنه لو اتبع الهوى ضل عن سبيل اللّه ـــ ومن ضل عن سبيل اللّه له عذاب شديد ـــ ولا يشهدون على هؤلاء ـــ الذين

استعملهم الأمير فاتبعوا الهوى ــ أنهم ضلوا؟! كما يشهدون على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم!! أو يشكون فيما أنزل اللّه في شأن (داود) عليه السلام أنه لو اتبع الهوى كان يضله عن سبيل اللّه أم لا؟! فإن أقروا أنهم ليس لهم بتفسيرها علم، شكوا فيما وعد اللّه أهل معصيته في ستة آلاف ومائتين من القرآن، واستمسكوا بآية ليس لهم بتفسيرها علم، فقالوا فيها ما ليس لهم به علم.

[معنى المشيئة في قول الله تعالى:﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، والأدلة على ذلك]

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨].

ثم أنزل بعدها: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٩٣].

فبينت كل آية فيما أنزلت أنها من وعد اللّه إن اللّه لا يخلف الميعاد، وهي سديدة وليست لهم بحجة، هي بينة لمن شفاه اللّه تعالى بالقرآن.

ثم أنزل من بعدها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[النساء: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[النساء: ١٢٣].

ثم أنزل تعالى من بعده: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[النساء: ١٢٤] فأبى اللّه أن يقبل العمل الصالح إلا بالإيمان، ولا يقبل الإيمان إلا بالعمل الصالح.

ثم أنزل تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء:١٢٥] فأبى الله تعالى أن يقبل الإسلام إلا بالإحسان، والإحسان إلا بالإسلام، والإيمان والعمل الصالح كالروح في الجسد إذا فرّق بينهما هلكا، وإذا اجتمعا عاشا.

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فلو أراد الله أن يغفر لأهل القبلة، أنزل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ولم يستثن لمن يشاء.

وسأبين لمن ضل عن هذه الآية كيف تفسيرها: إن قول الله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ الذين يشاء لهم المغفرة الذين أنزل فيهم: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[النساء: ٣١].

فمن وعد اللهُ من أهل القبلة النارَ بكبيرة أتاها فإن الله تعالىقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[الرعد: ٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[مريم:٦١]، وقال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[ق: ٢٩].

فسلهم عن أصحاب الموجبات هل وعدهم الله تعالى النار عليها أم لا؟ فإن شهدوا أن الله تعالى قد وعدهم النار عليها، فقل: أتشهدون أن الله سبحانه وتعالى سينجز وعده، أم في شك أنتم لا تدرون هل ينجز الله وعده أم لا؟.

وسلهم عمن شهد الله عليه والملائكة، فإن الله عز وجل قال: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[النساء: ١٦٦] فارضوا بما شهد الله به واشهدوا عليه ولا ترتابوا، فإن الله جل وعلا قال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[النساء: ١٢٢].

فمن حدثكم حديثاً بخلاف القرآن فلا تصدقوه واتهموه، وليكن قول الله عز

وجل أشفى لقلوبكم من قولهم: إن أصحاب الموجبات في المشيئة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾[المائدة: ١٨] فمن يشاء أن يغفر له من هؤلاء يترك اليهودية والنصرانية، وكذلك من شاء أن يغفر له من أهل القبلة يترك الموجبات لا يعمل بها، فإن عمل بشيء منها ثم تاب إلى الله تعالى قبل أن يموت فإن الله تعالى قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فمن مات مؤمناً دخل قبره مؤمناً، وبعثه الله تعالى يوم القيامة مؤمناً.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا(١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٥ــ١٤٦].

وقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ١٤٤].

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا(٤٦)وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[الأحزاب:٤٥ــ٤٧].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[الحديد: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٧١)وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: ٧١ ـــ ٧٢].

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا(٤١)وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا(٤٣)تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١ـــ ٤٤]، فالمؤمنون عند الله بهذه المنزلة عليهم الصلاة وحق عليه رحمتهم.

ومن زعم[1] أن الله تعالى: يعذب المؤمنين؛ فإن الله جعل النار للكافرين. قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[الحج: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[التوبة: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[الإسراء: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الحجر: ٤٣].

وإنها لا تحيط بمؤمن.

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[الحديد: ٢٨].

(١) – إبطال قول من يقول من المرجئة إن الله يعذب المؤمنين بذنوب الفراعنة، ويثيب الفراعنة بطاعات المؤمنين.

[حقيقة الإيمان وشروطه]

والإيمان: إيمانان: إيمان تصديق، وإيمان عمل وتقوى.

وحقيقة الإيمان: العمل، قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[محمد: ٢] وكان إيمانهم بما نزل على محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم العمل بطاعة اللّه وطاعة رسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم.

وقال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة: ٦٢]، فسماهم الذين آمنوا، ثم قال تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢)﴾[البقرة]، وقال تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ(٣٢)مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَانَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[ق: ٣٢ ـ ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[الحديد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: ٢٥٧].

وإنما الإيمان اسم حق من أسماء اللّه، والإسلام كذلك، والله هو المؤمن، وهو السلام، ولا يحرق اللّه بالنار من لقي اللّه تعالى واسم الإيمان له ثابت.

وقال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ٦٨].

وقال تعالى:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى

لَهُمْ﴾[محمد:١١].

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم: ٨].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[آل عمران: ١٩٢]. فبرأ اللّه المؤمنين يوم القيامة من الخزي والذل والخوف.

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[النحل: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[غافر: ٥١].

وقال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

فمن زعم أن اللّه تعالى يسود وجه المؤمن ويرهقه ذلة لم يشفه اللّه بالقرآن، فإن اللّه تعالى قال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ(١٠٦)وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[آل عمران: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ(٣٨)ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ(٣٩)وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ(٤٠)تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ(٤١)أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾[عبس: ٣٨ــ٤٢].

[الفرق بين جزاء المؤمن والكافر]

فسل من خاصمك من أهل البدع والباطل: أرأيتم هذا المؤمن الذي تزعمون أن اللّه تعالى سيدخله النار، ما لونه في النار، وما طعامه، وما شرابه، وما حليته، وما اسمه، وما منزله في النار؟ فإن اللّه قد بين منازل أهل النار فقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ

كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ(١٩)يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ(٢٠)وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[الحج:١٩ــ٢١].

فسلهم عن هؤلاء الذين أدخلهم اللّه تعالى النار من أهل القبلة هل تُقَطَّع لهم ثياب من نار ويصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد؟ أم لهم إذا أدخلهم اللّه النار من الطعام الذي أطعمه اللّه أهل الجنة، والشراب الذي سقى اللّه تعالى أهل الجنة؟ والمساكن، والفُرُش، والأزواج، واللباس، والنمارق، والسرر المصفوفة، والآنية من الذهب والفضة، والكرامة التي أنزل اللّه تعالى بها أهل الجنة؟! فإنه ليس بينهما منزلة. فإن اللّه تعالى يقول: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[الرعد: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[التوبة: ٤٩]، وإنها لا تحيط بمؤمن﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه:٦١].

فإنهم سيخاصمونك بآية أنزلها اللّه تعالى في القرآن، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات: ٩].

فسلهم عن الفئة التي بغت وأبت أن تفيء إلى أمر اللّه [وأمر الله بقتالها[١]]، في أمر من خرجت حين خرجت، [في أمر الشيطان أو في[٢]] أمر اللّه تعالى؟ فإن قالوا: في أمر الشيطان صدقوا. وإن قالوا في أمر اللّه كذبوا، إنما في أمر اللّه الذين يقاتلون في طاعة اللّه، وهم أولياء اللّه، وإنما في أمر الشيطان من يقاتل في طاعة

(١) – ما بين القوسين زيادة.

(٢)ــ ما بين القوسين زيادة للتتم الفائدة.

الشيطان، فإن الله تعالى قال لقوم استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[المجادلة: ١٩]، فالفئة التي قتالها إبتغاء مرضات الله هي من حزب الله، والفئة الباغية هي من حزب الشيطان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة: ٢٢].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[النساء: ٧٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة: ١٩٠]، ومن لم يحبه الله أكبه في النار، وبرىء من ولاية الله.

قال الله عز وجل ثناؤه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[الأعراف: ٣٢] فخلصت الطيبات من الرزق، والزينة في الجنة لمن لقي الله تعالى مؤمناً يوم القيامة.

وقال الله تعالى لـ(يونس): ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنبياء: ٨٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ(١٠٢)ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ

حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس: ١٠٢ ــ ١٠٣].

وقال الله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[الأنبياء: ١٠٣].

فمن زعم أن المؤمنين يخافون أو يعذبون يوم القيامة، ركب هواه وهوى غيره من السفهاء من الناس، والحجة غير القرآن(١).

[استحقاق أهل القبلة العذاب بالكبائر]

ومن زعم منهم أنه من صلى إلى القبلة أدخله الله تعالى الجنة على كل أمر يعمل به من معاصي الله، استخف بحق القرآن، ولم يشفه القرآن، وغره أماني الشيطان فإن الله تعالى قال لقوم: ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[الحديد: ١٤] والغرور: هو الشيطان.

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[الإسراء: ٨٢]

وإنهم يحتجون بهذه الآية التي في سورة البقرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(١٣٦)فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٣٦ ــ ١٣٧]، فمن آمن بهذه الآية فقد اهتدى كما قال الله تعالى، ولا يخرجه من الهدى إلاّ المعاصي التي أوجب الله تعالى عليها النار، ولعن الذين يعملون بها.

---

(١) – أي وحجته التي يحتج بها في زعمه وقوله غير القرآن، بل يردها القرآن، وكل قول خالف القرآن وجب رده ومخالفته.

وأنزل الله في سورة (التوبة): ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[التوبة: ١١٥].

وقال تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام: ١٥٨].

فسل أهل البدع عن من لم ينفعه إيمانه و لم يكسب في إيمانه خيراً، أيرجون له الجنة، أم هم في شك فيه أنه من أصحاب النار؟ قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[يوسف: ١١١]، فالمؤمن مهتد مرحوم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الحج:٥٤]، فمن هداه الله إلى صراط مستقيم كان منزله عند الله الجنة.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ(٩)دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[يونس:٩ــ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾[الطور: ٢١].

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[المنافقون: ٩].

فسماهم الله تعالى في أول الآية مؤمنين، وسماهم في آخرها ــ إذا ألهتهم أموالهم عن الذكر: خاسرين، بغير جحود بالله ولا شك فيما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال آدم (صلى الله عليه) حين أكل هو وزوجه من الشجرة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا

أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣].

فسلهم أيشكون في الخاسرين أن اللّه تعالى يدخلهم النار؟

[الإيمان هو التصديق والعمل]

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾[الممتحنة: ١٠] فسماهن مؤمنات بالتصديق، وثنا لهن إيماناً بالعمل.

والعمل حقيقة، قال اللّه تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[الممتحنة: ١٢].

فسل أهل البدع والباطل لو أن امرأة منهن قالت: يا رسول اللّه أشهد أن هذا الذي تبايعني عليه حَقٌ من اللّه تعالى، غير أني لا أصبر عن الزنا والسرقة، أكان النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم يبايعها، ويستغفر لها؟! أكانت تُنَزَّل منزلة المؤمنات؟! فيحق على نبي اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم الإستغفار لها.

وسلهم عن امرأة بايعت وأقرت بما جاء به النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ثم ذهبت في السرّ فزنت ، وقتلت ولدها، ثم ماتت في نفَاسها ذلك، فبلغ نبيُ اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم أنها فعلته، أكانت ممن أمر اللّه تعالى نبيه صلى اللّه عليه وآله وسلم أن يستغفر لها، فقال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد:١٩]؟!

فإن قالوا: قد ثبت لها الاستغفار.

قيل لهم: فلو أن رجلا قتل نفساً مؤمنة وقد فرض اللّه تعالى عليه الدية، وتحرير

رقبة مؤمنة، فَدُلّ على امرأة يشتريها ليعتقها، فوجدها قد زنت وقتلت ولدها فجاء يستفتيكم: تجوز عنه برقبة مؤمنة، التي أوجب اللّه تعالى عليه أم لا؟ فإن قالوا: لا تجوز برقبة مؤمنة. كان لهم دينان: دينٌ في السرّ، ودين في العلانية.

وقال اللّه تعالى لمحمد صلى اللّه عليه وآله وسلم في المشركين: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:١١].

فسلهم عن مشرك تاب من الشرك، وصَدَّق بما جاء به محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، ولم يقم الصلاة، ولم يؤت الزكاة، أهو أخوهم في الدّين، أم لا؟ فإن قالوا: نعم، هو أخونا. لم يكونوا من الذين قال اللّه تعالى: ﴿وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[التوبة:١١]، وإن قالوا: لا ندري. شكوا فيما أنزل على محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم وارتابوا.

وقال اللّه تعالى وتقدس: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة: ٥] فمن لم يُقِمِ الصلاة ويؤتي الزكاة ولم يحج البيت أَهَدَم الدين القيمة أم ثبت على الدين القيمة بالإقرار وتَرْكِ العمل؟ فإن قالوا: هو على الدين القيمة وقد ترك الصلاة والزكاة وحج البيت. خالفوا ما أنزل اللّه تعالى، وجحدوا كتابه واتبعوا أهواءهم، وكانوا في لبس من دينهم.

فإنهم يقولون فيما يقولون: إن اللّه تعالى قال في كتابه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾[التوبة: ٣٦]، فإنهم يقولون: الشهور من الدين، فقل: أرأيتكم لو أن رجلاً عَدّ السَّنة إحدى عشر شهراً وترك شهراً، وقال أشهد إنه حق من اللّه تعالى، غير أني لا أعدها إلا إحدى عشر شهراً،

فأخر شهر رمضان فجعله شوالاً، وجعل الحج في ذي القعدة، أترك دين اللّه تعالى، أم هو مقيم على دين اللّه بالإقرار، وقد خالف بالعمل؟

وقد قال اللّه تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(١٢)يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ(١٣)يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[الحديد: ١٢ ــ ١٤] وذلك أن الشيطان أوردهم في طاعته ومعصية اللّه تبارك وتعالى، ومنّاهم المغفرة بغير توبة إلى اللّه تبارك وتعالى فقال اللّه تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[الحديد: ١٥].

فكان الذين أُرْسِل إليهم محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم ثلاثة أصناف: مؤمناً ومؤمنةً، ومنافقاً ومنافقةً، والذين كفروا ــ أهل الأوثان، على غير دين محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، فمن لم يكن اسمه يوم القيامة من أهل الدعوة مؤمناً كان منافقاً، ومن لم يكن اسمه منافقاً، كان من الذين كفروا، ولا يدخل اللّه النار أحداً من أهل الدعوة حتى يلزمه اسم النفاق، فإذا سيق الذين كفروا إلى النار، وسيق الذين اتقوا إلى الجنة، ذهبت الأسماء كلها إلا الإسمان اللذان خلق اللّه تعالى عليهما الناس.

وقال اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[الزمر: ٧١]، قال تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[الرعد: ٣٥].

وقال جل وعلا لمحمد صلى اللّه عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا(١)لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ

صراطًا مُستَقيمًا(٢)وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصرًا عَزِيزًا(٣)هُوَ الَّذي أَنزَلَ السَّكِينَةَ في قُلُوب الْمُؤْمنينَ ليَزْدَادُوا إيمَانًا مَعَ إيمَانهمْ وَللَّه جُنُودُ السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَكَانَ اللَّهُ عَليمًا حَكيمًا(٤) ليُدْخلَ الْمُؤْمنينَ وَالْمُؤْمنَات جَنَّات تَجْري من تَحْتهَا الْأَنْهَارُ خَالدينَ فيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتهمْ وَكَانَ ذَلكَ عندَ اللَّه فَوْزًا عَظيمًا﴾ [الفتح: ١ـ٥].

فقل لأهل البدع والباطل أليس تشهدون أن اللّه سبحانه وتعالى قد غفر لمحمد صلى اللّه عليه وآله وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فإنهم سيقولون: بلى. فقل لهم: فكيف لا تشهدون أن اللّه تبارك وتعالى يدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ، وقول اللّه تبارك وتعالى حق، كما غفر لمحمد صلى اللّه عليه وآله وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أوجب اللّه تبارك وتعالى للمؤمنين الجنة، وقال اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ منْ عنْد غَيْر اللَّه لَوَجَدُوا فيه اخْتلَافًا كَثيرًا﴾ [النساء:٨٢].

وقال اللّه تعالى: ﴿وَمَا أُمرُوا إلَّا ليَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلصينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلكَ دينُ الْقَيِّمَة﴾[البينة: ٥].

فسلهم أيشهدون أن الصلاة والزكاة والحج وصيام شهر رمضان من الدين؟ فإن قالوا: نعم. قل: أتشهدون أن من تركهن ترك الدين؟ فإن قالوا: ليست الصلاة والزكاة من الدين. فقل لهم: ﴿إنَّ الدِّينَ عنْدَ اللَّه الْإسْلَامُ﴾[آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغ غَيْرَ الْإسْلَام دينًا فَلَنْ يُقْبَلَ منْهُ وَهُوَ في الْآخرَة منَ الْخَاسرينَ﴾[آل عمران: ٨٥].

فإنهم سيقولون: بلى.

فقل: فأنا أشهد أن الصلاة والزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان من الإسلام، وهنّ دعالم الإسلام وعليهن بُنيَ الإسلام، وعلى شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن

محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما تقولون أصدقت أم كذبت؟ أم لا تدرون أصادق أنا أم كاذب؟ فإذاً أنتم في شك مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ(٢٠٤)وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ(٢٠٥)وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ(٢٠٦)وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[البقرة: ٢٠٤ ــ ٢٠٧].

فسلهم عن رجل نهى عن الفساد فلما نهاه غيره عن الفساد أخذته العزة بالإثم فقاتله فشرى هذا نفسه فقاتله، فأيهما البار وأيهما الفاجر؟ فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ(١٣)وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[الانفطار:١٣ــ١٤].

فإن قالوا: إن هذا حين قال له: اتق الله أخذته العزة بالإثم كان مشركاً ، فقد كذبوا، لأن المؤمنين لا يعجبون من قول المشركين، قد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، وإنما اطمئنان المؤمن إلى من ذكر الله تبارك وتعالى وخبّر بتلاوته للقرآن.

فسلهم عن هذا الذي أخذته العزة بالإثم، أسلْمٌ هو لله أم حرب؟ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[المائدة: ٣٣].

فسلهم عن رجل من أهل القبلة قطع الطريق على المسلمين فقتل وأخذ المال، فظهر المسلمون عليه فصلبوه، أيشهدون أن صلبهم له خزي في الدنيا؟ فإن قالوا:

نعم، فقل: أفتشهدون أن له في الآخرة عذاب عظيم؟ فإن قالوا: لا ندري، فإنما آمنوا بأول الآية وكفروا بآخرها. فإن قالوا: لا ندري ــ يعني أخزيٌّ هو أولا خزي ــ شكّوا فيما أنزل اللّه تبارك وتعالى.

وقد أنزل تعالى في كتابه في فاتحة الكتاب:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦].

فسلهم عن الصراط المستقيم، هو الدين المستقيم، أم لا؟ فإنهم سيقولون هو الدين المستقيم.

وأنزل اللّه تبارك وتعالى على نبيه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥١ــ ١٥٣]، فهذه الوصية أمن دين اللّه تبارك وتعالى هي أم من غير دين اللّه؟.

فسلهم عمن انتهك هذه المحارم التي نهى اللّه تبارك وتعالى عنها، أهي من السُّبل التي اتبعوها: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام: ١٥٣]. فإن قالوا: نعم. فقد صدقوا، وإن قالوا: لا. فقد كذبوا، وإن قالوا: لا ندري. فقد شكوا فيما أنزل اللّه تبارك وتعالى.

وقال اللّه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٣٤)يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٤ـ٣٥]، و لم يقل تبارك وتعالى ذوقوا ما كنتم تشركون.

[أنواع الكفر]

والكفر على أنواع ستة: كفر الشرك بالرحمن. وكفر لمن لم يحكم بما أنزل اللّه. وكفر لمن قتل النفس التي حرم اللّه بغير حق. إن اللّه تعالى لا يلعن مؤمناً، وقد لعن القاتل وغضب عليه وأعد له عذاباً عظيماً.

وقال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾[الأحزاب: ٦٤]. وقال تبارك وتعالى للمؤمنين: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا(٤٣)تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٣ ــ ٤٤]، فمن كان مؤمناً فهذه منزلته.

ويكون كافراً بالنعيم. قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم: ٧].

وكفر باللّه[١]، وقد قال يعقوب صلى اللّه عليه وسلم لبنيه عليهم السلام: ﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[يوسف: ٨٧]، وما خشي يعقوب على بنيه أن يشركوا بالرحمن وهم ممن اصطفاه اللّه تبارك وتعالى واختاره، ولكنه أمرهم أن لا يقطعوا رجاءهم من اللّه تبارك وتعالى أن يريهم يوسف عليه السلام وأخاه.

وقول[٢] سليمان عليه السلام حين رأى العرش مستقراً عنده: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ

(١)ــ المراد به قطع الرجاء من الله تعالى.

(٢)ــ يعني أن من أنواع الكفر عدم الشكر لله عز وجل.

رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[النمل: ٤٠]، وإنما يعني بذلك شكر ما أعطاه الله تبارك وتعالى حين رأى العَرْش مستقراً عنده، وما كان سليمان عليه السلام يخشى من نفسه أن يشرك بالرحمن، ولكن كان يخشى أن لا يبتلي الله من نفسه قدر شكر ما أعطاه.

[تبيين أهل الحق باتباع الدليل]

وإن هؤلاء إنما فارقونا عند شهادتنا على أهل الموجبات التي أحل الله تعالى أصحابَها النارَ، والقَتَلَة، والزُّناة، وشُرَّاب الخمر، والذين يعملون عمل قوم لوط، والذين يسعون في الأرض فساداً، ويسفكون الدماء، والذين يأكلون الربا، إنا شهدنا عليهم بما أنزل الله فيهم من النقمة والعذاب وتبرأنا منهم، فَفَارَقَنَا أهلُ البدع والباطل منهم، وغضبوا لهم وشهدوا أن إيمانهم ثابت عند الله تعالى ـ كإيمان جبريل وميكائيل والملائكة المقربين صلوات الله وسلامه عليهم، وأدخلوهم في ولايتهم حين تبرأنا منهم.

فلا يحل لمؤمن يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر يُقْرأ عليه هذا الكتاب إلا أقام الشهادة لله الحق ، أنحن أولى بالحق بتبرئنا ممن سخط الله عليه وأوجب له العقاب، أم هؤلاء الذين أدخلوهم في دينهم وتولوهم فلم يتبرأوا منهم؟

وأني لم أجد لهم مثلاً إلا امرأة كان لها ابن عَاقٌ، فاستعدت عليه ملك قومها، فأرسل معها شرطياً، وقال: ائتني به لأضربنه ضرباً شديداً أُسِيْلُ دَمَه. فلما أيقنت بالشر لابنها خرجت من عند الملك، فقالت لأول شاب لقيته لا تعرفه ولا تدري من هو: هذا إبني. فأخذه الشرطي فذهب به إلى الملك، فلما دخل الشاب على الملك قال للملك: والله ما هذه بأمي ولا أعرفها ولا أدري أي الخلق هي، فقالت المرأة: ألا تَبيّن عقوقه؟ إنه تبرأ مني. فاشتد غضب الملك عليه فجلده حتى سَيّل دمه، وحمل

المرأة على عنقه ، ثم قـال للشرطي: إذهب به فطف به في الناس، وقل له ينـادي على نفسه: من رآني فلا يعق والدته، فجعل الشاب ينادي من رآني فلا يعق والدته، وينادي: من لم تكن له أم فليأت الملك حتى يجعل له أماً.

فمن كان من الفساق الذين انتهكوا محارم اللّه كلها فليأت أهل البدع والباطل فإنهم سيشهدون له أن ليس أحد ـ من الملائكة المقربين والنبيين ـ أفضل إيماناً منه عند اللّه.

فإنهم قد ضعفوا دين اللّه، وخالفوا دين الله تعالى، وخالفوا قوله، وقالوا على اللّه غير الحق ، وجادلوا عن أهل المعاصي والخَوَنة، وقد نهى اللّه تبارك وتعالى نبيه صلى اللّه عليه وآله وسلم أن يُجَادِل عن الذين يختانون أنفسهم إن اللّه لا يحب من كـان خواناً أثيماً.

فزعموا أن هؤلاء مؤمنين، فعادونا من أجل هؤلاء، وأدخلوهم في ولاية المؤمنين، فمن يعقل يعلم أنا أولى بالحق منهم، بالحب للمسلمين عامة، إلا أهل الفسوق منهم، الذين أوجب اللّه تبارك وتعالى في كتابه لهم النار، فهي لهم.

فسلهم هل يدخل الجنة إلا من يحب اللّه؟ أو يشكون فيمن لا يحبه اللّه تعالى، لا يدرون أيدخل الجنة أم النار؟ وقد قال اللّه تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران:٢٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٤٦)وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ(٤٧)وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[النور: ٤٦ ـ ٤٨].

فسلهم عن خمسة رهط من أهل القبلة، وافقوا عشرة رهط من تجار المسلمين،

فأرادوا أن يأخذ أموالهم، فلم يستطيعوا، فذهب الخمسة إلى عشرة من الأكراد فوالوهم ، فشاركوهم على قتال المسلمين فيأخذوا أموالهم، فدعاهم المسلمون إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى كتابه الكريم وإلى أن يكونوا معهم على قتال الأكراد، فأبوا عليهم وقاتلوا ـ مع الأكراد ـ المسلمين حتى قتلوهم وأخذوا أموالهم فاقتسموها هم والأكراد.

فسلهم عن هؤلاء الخمسة الرهط حين تولوا عن طاعة الله تعالى، وقتلوا المسلمين مع الأكراد، أمن المؤمنين هم، أم هم [ليسوا] من الله في شيء؟

فإن قالوا: نعم، كانوا من الذين سعوا في آيات الله معاجزين، والمعاجزون: المشاقون؛ لأنهم تركوا قول الله تبارك وتعالى وأخذوا بالظن والشبهات.

[الإيمان الثابت والبرآءة من الفساق]

واعلم أنه من كان له إيمان عند الله ثابت مثل إيمان النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كان من رفقائهم، إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء: ٦٩].

ولكن أهل البدع خصمهم أهل الحق بالقرآن حتى لبسوا عليهم أمرهم، وَظَهَرُوا عليهم بكتاب الله تعالى.

وإن أهل البدع والباطل إذا ذكر لهم فاسق من أهل القبلة ممن يعمل بالمعاصي التي أوجب الله تعالى بها النار، فشهد عليه المسلمون أنه إذا أدخله الله النار كان كافراً، وبرئ أن يكون مؤمناً؛ يقولون: فإن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ(١)لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(٢)وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٣)وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ(٤)وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٥)لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون: ١-٦]،

فإنهم سيقولون لك أتبرأ مما كان يعبدُ هؤلاء الذين من أهل القبلة إذا أدخلهم اللّه تعالى النـار؟ فقل: إني لا أتبرأ من الذي كانوا يعبدونه، ولكني أتبرأ مـن عملهـم الذي أدخلهم اللّه تعالى به النار.

وإنما نزلت (قل يا أيها الكافرون) في أصحاب عبادة الأوثان، في اللات والعـزى ومناة الثالثة الأخرى، فنهى اللّه محمداً صلى اللّه عليه وآله وسلم أن يعبدها، وأمره أن يعبد اللّه وحده ولا يشرك به شيئاً.

وقال إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه: ﴿**قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ(٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ(٧٦)فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾[الشعراء: ٧٥ ــ ٧٧] فبرىء من عبادة أوثانهم و لم يتبرأ من ربه حين عبدوه، ولكنه تولى اللّه تبارك وتعالى وأطاعه.

وقال إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه: ﴿**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ(٢٦)إِلَّا الَّـذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**﴾[الزخرف: ٢٦ ــ ٢٧]، وقال أصحاب الكهـف: ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ**﴾[الكهف: ١٦] فاعتزلوا قومهم في عبادة الأوثان، و لم يعتزلوهم في عبادة ربهم.

وقال جل وعلا: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾[يوسف: ١٠٦] فلا نَبرأ من إيمان المشركين بالله، ونبرأ من شركهم بالله.

فكما لم ينفع المشركين [عمل] مع شركهم بالله، كذلك لم ينفع عمل من كـان من أهل القبلة يدعي الإسلام يأتي الكبائر التي نهى اللّه تبارك وتعالى عنها، فـأحبط اللّه إيمانه حين لم يقبل منه عملاً، فإنه إذا عمل بالكبائر لم يكن من المتقين.

وقال اللّه تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[القصص: ٨٣].

وقال اللّه تعالى:﴿ **تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا**﴾[مريم:٦٣].

وقال تعالى لمن حج بيته: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[البقرة:٢٠٣] فلم يتقبل الله تبارك وتعالى حجاً ولا عملاً إلا من المتقين.

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأعراف: ١٦٩].

ومن قرأ القرآنَ فزعم أن الله تبارك وتعالى يغفر له أو لأحد من أهل القبلة كبيرةً من الموجبات أتاها بغير توبة، وأن الله تبارك وتعالى يُدْخِلُه الجنة بغير عمل يرضى به الله تعالى، فقد افترى على الله عز وجل، وقال غير الحق، وشك في قول الله تعالى، واعتلج الحق والباطل في قلبه، فلم يدر أيهما يتبع، فهو في لبس من دينه يتردد في ضلاله.

[الإيمان الذي يستحق صاحبه دخول الجنة]

وإن أهل البدع والباطل سيقولون لك إن خاصمتهم: أتشهد على نفسك بأنك مؤمن؟ — يريدون بذلك عيبك. فإذا سألوك، فقل: نعم.

فإنهم سيقولون لك: إنك قد شهدت على نفسك أنك من أهل الجنة، وأنك تقول: إن الله تبارك وتعالى لا يدخل مؤمناً النار.

فإذا سألوك عن نفسك، فقل: أنا مؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين والكتاب، وأنا مستكمل الإيمان بالقول والصفة.

والإيمان حقيقته: العمل، فمن لم يُتِمَّ الإيمان بالعمل بطل قوله وصفته، وكان من أهل النار.

فإنهم سيسألونك عن نفسك، فقل: هو أعلم بمن اتقى. وأنا أحد رجلين: إما أن أكون أعمل فيما بيني وبين ربي بالخيرات، فما كنت لأحدثكم بعملي، وإما أن أكون رجلا مذنباً فيما بيني وبين ربي، فما كنت لأهتك ستر الله علَيَّ، ولكن سلوني عن غيري ممن هو مستكمل الإيمان بالقول والصفة والعمل الصالح، فأشهد لكم أنه من أهل الجنة، ولكن سأردُّ عليكم قولكم فتضيق عليكم الأرض بما رحبت ولا يكون لكم بد من الجحود.

فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٢)الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(٣)أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[الأنفال: ٢ ــ ٤] فإنهم يقرون بالآية الأولى ويشهدون على أنفسهم، ويجحدون بالآية الأخرى، يقولون: لا ندري. لا يشهدون على أنفسهم أن لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم. فإذا هم قد دحضت حجتهم والتبس عليهم أمرهم، ذلك بأن الله يقذف ﴿بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١٨].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٧٧]، فقل: أتشهدون أن الله تعالى سينجز وعده في هؤلاء ويدخلهم جنات النعيم، فإنهم سيقولون: نعم.

وسلهم عن رجال قالوا: آمنا بالله والملائكة والكتاب والنبيين، يشهد أنه حق من

اللّه تعالى، وهم يسعون في الأرض الفساد، ويقتلون النفس التي حرّم اللّه تبارك وتعالى بغير الحق، ويأخذون الأموال، ويزنون، ويشربون الخمور، ويضيعون الصلوات الخمس، ويتبعون الشهوات. فقل لهم: أتشهدون أن هؤلاء سيلقون غيّاً، أو تشهَدون أنهم من الأبرار الذين صدقوا وهم من المتقين؟!

فإن قالوا: هم من الذين يلقون غيّاً، فقد صدقوا على اللّه تعالى، وإن قالوا: هم من الأبرار الذين صدقوا وهم من المتقين، فقد كذبوا على اللّه تعالى، وبدلوا قوله. وإن اللّه تعالى يقول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[يونس: ٣٢].

وقال جل ثناؤه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ(٢٨)كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[ص: ٢٨ ــ ٢٩] فمن كان له قلبٌ ــ نفعه اللّه تعالى وجهه في دينه، ونفعته موعظة ربه ــ لم يكن في صدره حَرَجٌ أن يشهد على ما شهد اللّه تعالى عليه، أن يقول مثل الذين قال اللّه تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٧٧]، ويشهدون على هؤلاء الذين سماهم اللّه تعالى المفسدين في الأرض، وسماهم الفجار إنهم كفار، قال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ(١٣)وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[الانفطار: ١٣ ــ ١٤] فمن جعله اللّه تعالى في الجحيم كان من الكافرين، فليعتبر أولوا الأبصار في قولنا وقولهم.

إنهم يزعمون أنهم يرجون لكل صاحب كبيرة ــ قد أوجب اللّه تعالى بها النار الجنة ، وقنّطهم الشيطان من رحمة اللّه تعالى، وآيسهم من روح اللّه، أنهم إن شهدوا بما سمى اللّه تعالى لأصحاب الموجبات أدخلهم اللّه تعالى النار، فإن غفر اللّه تعالى لأصحاب الموجبات كما يقولون، فهؤلاء ــ الذين شهدوا بما شهد اللّه تعالى ــ حقٌ أن يُغفَر لهم، إن اللّه تبارك وتعالى عدل لا يحيف في القضاء.

ويزعمون أنهم هم المهتدون والمصيبون في رأيهم.

فسلهم عن رجل دعوه إلى رأيهم فاتَّبعهُم فواخوه في دينهم، فقال لهم: يا أخوتاه إني أريـد أن أغزوا في سبيل الله تعالى فشيعوني، فخـرج غازيـاً في سـبيل الله وخرجوا معه، فسار قليلاً ثم نزل فقدم سفرة له فأكلوا منها، ثم إنه سـلم عليهـم وسلموا عليه، وودعهم ودعوا له بحسن الصحبة والكلاءة في السفر، فسار حتى إذا كانت صلاة الأولى قام فأذن للصلاة، فإذا هو برجل قد أقبل إليه، فقال: أنا أشـهد أن لا إله إلا الله وأن محمـداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأشهد عليـك أن شهادتك هذه كاذبة، وأنك كافر، وأن ذبيحتك علـي حـرام، وأن دمـك لي حـلال، ثم تقدم إليه فضرب عنقه، وأخذ ماله لنفسه، فبلغكـم ذلـك والقـاتل والمقتول من أهل القبلة، وأهل الشعار، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُـونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠]، فأخبروني حين قتله وأخذ ماله أعدوه هو والمخاصم لـه يوم القيامة، أم هو أخوه في الجنة على سرر متقابلين؟!

فما شهادتكم على رجل قتل أخاكم في دينكم وحرّم ذبيحتكم التي أكلتم معـه منها، فأخبروني أفي براءة منكم القاتل والمقتول، أم وفي ولاية، أم أحدهما في ولايـة والآخر في براءة؟ فإن قالوا: نبرأ إلى الله من القاتل. فقولوا: ما اسم القاتل، أكافر هو أم مؤمن؟ فإن قالوا: هو مؤمن. فقولوا: إنكم برئتم ممن تولاه الله تعالى، فإن اللـه تبارك وتعالى قال: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ٦٨]. وإن قالوا: كلاهما في ولاية منا، عَمُوا وصَمُّوا عن الحق، وكان صاحبهم المتقي المقتول والقـاتل الفـاجر عندهم سواء، واستخفوا بحق الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًـا عَمَّـا يَعْمَـلُ الظَّالِمُونَ﴾[إبراهيم: ٤٢].

وسلهم عن رجل قُتِلَ ابنُه، فأخذ قاتل ابنه فجاء بأربعة يشهدون عليه بالله أنه قتل ابنه، فجاء بهم إلى قاض من قضاة المسلمين فشهد الأربعة عنده أنه قتله، فسأل عنهم فوجدهم عدولاً مسلمين، فقال القاضي للرجل: ظَفِرَتْ يداك، خُـذْ مـن القـاتل

كفيلاً، وأرجع يومك هذا فأتمر بينك وبين نفسك، إن شئتَ دفعنا إليـــك عـــدوّك فتقتله بابنك، وإن شئتَ أخذتَ الدية، وإن شئتَ تصدّقتَ بها على القاتل.

فرجع الرجل وقد أخـــذ منه كفيلاً بهذا، فقال للشهود الأربعة: بم حكم القاضي بيني وبين صاحبي؟

قال الأربعة الشهود: نشهد أنه قد حكم بما أنزل اللّه تعالى.

فلما أن أمسوا ذهب القاتل في ليله إلى القاضي، فقال: إن عندي إثني عشر ألفاً قد عرضتها عليه فأبى أن يقبلها مني، فهل لك أن آتيك بها فتبرئ كفيلي وتخلي سبيلي وتبطل شهادة الشهود؟

قال له القاضي: نعم، ائتني بها.

فجاءه بها، فلما أن أصبحوا جاء أبو المقتول بالشهود والقـــاتل والكفيـــل إلى القاضي ، فقال القاضي لأبي المقتول: إذهب فإنه لاحق لك إن شهودك شهودُ زورٍ، وبرّأ القاتل والكفيل من كفالته.

فرجع أبو المقتول والشهود، فقال أبو المقتول للشهود: إنكم شهدتم أمس أنه قـــد حكم بما أنزل اللّه تعالى فما شهادتكم اليوم عليه حين غَـــيَّر حكمه الذي حكم به أمس؟

قال اثنان من الشهود الأربعة: إنه اليوم لم يحكم بما أنزل اللّه تعالى، فهو: كـــافر، قال اللّه تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَـــافِرُونَ﴾[المـــائدة: ٤٤].

وقال الاثنان اللذان شهدا أنه من المؤمنين: امرأتاهما طالقتان إن لم يكـــن مـــن المؤمنين.

فقل لأهل البدع والباطل أرأيتم إن ابتليتم فَجُعِل أحدكم قـــاضي المســـلمين، فجاءتا امرأتا الرجلين الذين شهدا على القاضي إنه من الكافرين، فقالتا: إن رأيتنـــا

حلالاً فارددنا إليهما، وإن رأيتنا حراماً ففرّق بيننا وبين أزواجنا، وقالتا المرأتان اللتان طلقهما زوجاهما ــ إن لم يكن القاضي من المؤمنين: ونحن إن كنتَ ترانا حلالاً فردنا إلى أزواجنا، وإن كنت ترانا حراماً ففرّق بيننا، فعند هذا القضاء تدحض حجتهم، ويضمحلّ باطلهم، ويعمى عليهم أمرهم.

فسلوا الله تعالى الهدى والبصائر والعمل والفقه في دينه، فإنكم قد أصبحتم على ريبة من أمركم يا أهل البدع.

وسلهم عن رجل ركب فرسه وتقلّد سيفه ثم ذهب فقطع الطريق على المسلمين، فقتل المؤمنين وأخذ أموالهم، وأخذ بالربا، وشرب الخمر، وقذف المحصنة، وترك الصلاة، فإذا قيل له: أرأيتك هذا الذي تعمل حلالاً هو أم حراماً؟ فيقول: لا، بل حرام من الله تعالى.

فسلهم: أهو ممن يشفع له محمد صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة؟ فإن قالوا: لاندري، شكوا فيما أنزل الله تبارك وتعالى.

وإن قالوا: نعم، كذبوا على الله تعالى؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾[الأنبياء: ٢٨].

وسلهم عن هذا الرجل أكافر هو بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، أم مؤمن بالله تعالى ورسوله؟ فإنهم سيقولون: هو مؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فقل: فإن الله تعالى يقول: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾[الحديد: ٢١].

فإن قالوا: لاندري، شكّوا فيما أنزل الله تعالى، ولم تطمئن قلوبهم إلى قول الله تعالى: إنه سينجز وعده.

وقلْ لهم: لكني أشهد أنه كافر بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا أقول إن كُفْرَه كُفْر شكّ فيما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن أقول

كفر بأمر اللّه تعالى وأمر رسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم، ففسق عن أمر ربه، فكان كفره كفر إبليس حين أبى أن يسجد لآدم صلى اللّه عليه، وهو مُصَدِّقٌ بالله تعالى يعلم أن اللّه تعالى هو الواحد القهار، ويعلم حين قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[الأعراف: ١٢]، وقال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٢] وقال : ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٦٢] فَصَدَّق بأمر ربه تبارك وتعالى كلّه لم يجحد شيئاً منه، غير أنه عصى معصية لم يتب إلى اللّه تعالى منها، فلعنه وغضب عليه وجعله من الكافرين بغير جحود بالله تعالى.

[تسمية أهل النفاق وصفاتم وجزاءهم]

وسلهم عن المنافقين: ما يسمونهم، أكفار أم مشركون؟ فإنهم سيقول لك: مشركون، فتراهم قد جحدوا ما أنزل اللّه تعالى وخالفوا قول اللّه تعالى؟

قال اللّه تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[التوبة:٥٦].

وقال اللّه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا(١٤٢)مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾[النساء: ١٤٢ ـ ١٤٣] فأبى اللّه تعالى أن يجعلهم من المؤمنين، وأبى أن يجعلهم من المشركين، وأخبر أهل البدع والباطل وشهدوا أنهم مشركون، ليقيموا بذلك خصومهم، فلا أحد من أهل القبلة أشد مخالفة لكتاب اللّه تعالى منهم.

فإنهم سيقولون: فَلِمَ يرث بعضهم بعضاً؟

فقل: ذلك بأنه كانت تجري عليهم أحكام محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، وقد

أعلم الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وعرّفه طائفة من المنافقين فقال: ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[محمد: ٣٠]، وكان المسلمون يأكلون ذبائح المنافقين، ويصلونهم ميراثهم، وتعتد نسائهم، ويرث أبناؤهم للذكر مثل حظ الانثيين. وقد أخبر الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنهم كفار، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ(٣)وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ(٤)وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾[المنافقون: ٣ ــ ٥]، فقد عرفوهم إذ دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليستغفر لهم فأبوا، فلم يأمره الله تبارك وتعالى بقتالهم، ولم يقطع ميراثهم، ولم يحرم نكاحهم ولا ذبائحهم، من أجل أنهم من أهل الدعوة.

وقال الله تعالى في سورة (الفتح): ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[الفتح: ٦].

وقال في سورة (الأحزاب): ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٣]، ففصل الله اسم الشرك عن النفاق، واسم النفاق عن الشرك، وقضى على نفسه أنه يتوب على كل مؤمن ومؤمنة، فأنّى تؤفك عقولهم عن قول الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾[التوبة: ٢٨]، فقد غزوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحجوا معه بعد ما نزلت هذه الآية، وكان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم أطوع خلق الله

تعالى لربه تبارك وتعالى، فلو كانوا مشركين لم يعص الله تعالى، فيدخلون معه بعد المسجد الحرام، ولأنهم لم يسمهم الله عز وجل: مشركين، وجرت عليهم أحكام محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقل لهم: أتعلمون أن الله تبارك وتعالى أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [التوبة: ٨٤]، فهذه الآية نزلت في (عبد الله بن أُبي بن سلول) المنافق، وكان عبد الله رأس المنافقين، ليس يمتري فيه أحد ممن يقرأ القرآن أو سمع العلم.

وسلهم هل ورِثَهُ ولده للذكر مثل حظ الأنثيين أم لا؟ وورثته امرأته الثمن، واعتدت منه أربعة أشهر وعشراً، فإنها لو كانت تحت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم تزد على هذا.

فسلهم عن رجلين أخوين لأب وأم كان لأحدهما ابن وكلاهما يدعيان الإسلام وكلاهما أخوان، فوثب الذي له ابن على الذي ليس له ابن فقتله وبقي الذي له ابن. فورث الابن عمه، و لم يرث الأخ أخاه فسلهم لم ورث ابن الأخ عمه؟

فإن قالوا: لا ندري.

فقل: لكني أدري لأن الأخ قتل أخاه، فانقطع الميراث الذي بينهما فلم يرث أخاه، فلو كانا مؤمنين كليهما القاتل والمقتول ورثه.

وسلهم عن الذين قالوا: ﴿**مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**﴾[الأحزاب: ١٢]، أمشركين كانوا؟ فإن هؤلاء قد أعلنوا قولهم، فلوا كانوا مشركين ضربت أعناقهم، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ**﴾[التوبة: ٥]، فإن قالوا: نعم هم مشركون. فإنه حق على المسلمين أن يضربوا أعناقهم، ولكني أراهم قد عرفوا الله وعرفوا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالقول بألسنتهم، وجحدوا

قول الله تعالى، وما جاء به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وسلهم عن الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣]، قل: هل عرفهم رسول الله صلى الله عليه وآله سلم حين استأذنوه أم لا؟ فإنهم لا يستطيعون إلا أن يقولوا: لم يأمر بقتلهم ونفيهم.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾[الأحزاب: ١٤]، والفتنة: أن يكفروا. وقال الله عز وجل: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

فيعمد أهل البدع والباطل إلى كل رجل ــ من أهل قبلتنا ــ يعمل بالصفة التي سمّاها الله تعالى من أعمال المنافقين فيزكونه من اسم النفاق ويدخلونه في اسم المؤمنين ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٧١]، فخالفوا قول الله تعالى في المنافقين والمؤمنين.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[النساء: ١٤٥]، فلو كان المنافقون مشركين لم يكونوا تحت أرجل المشركين في جهنم.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ(٢٢)مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[الصافات: ٢٢ - ٢٣]، وأزواجهم هم: المشركين الذين كانوا قبلهم، فلو كان المنافقون مشركين لم يحشروا مع المؤمنين الذين ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ

جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[الحديد:١٢] فألحقهم بالذين كفروا، فسيقوا إلى جهنم زمراً.

[مناقشة في تسمية بعض أهل الكبائر]

وسل أهل البدع والباطل عن رجل قال: أنا أشهد أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم حق، قد حرم الله لحم الخنزير وهو محرم على المؤمنين ولكن أشتهيه، فأمر بخنزير فذبح وأكل لحمه، حتى أكل خنازير، فكان آخر ذبيحة منها ذهب ليأكل منها، فدخل عظم من عظامه في حلقه فقتله في مجلسه ذلك.

فسلهم عن هذا الرجل أهو كافر أو مؤمن؟ فإن قالوا: مؤمن من المؤمنين. تبين حمقهم وضلالهم.

وإن قالوا: كافرٌ؛ فدعهم وباطلهم الذي ينتحلون، وطعام الخنزير ليس هو من طعام الأبرار ولكنه من طعام الكفار الذين كفروا بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وسلهم عن رجل يقطع الطريق على المسلمين فجعل يَلْقَى كل يوم رجلاً من المسلمين فيقتله ويأخذ ماله، حتى قَتَلَ مائة نفس، فكان مع آخر من قتله لحم في سفرته، فجلس القاتل فأكل منه، فدخل في حلقه عظم من ذلك اللحم فقتله في مجلسه ذلك.

فسلهم أمؤمن هو أم كافر؟ فإن قالوا لك: كافر. اضمحل باطلهم عنهم.

وإن قالوا: مؤمن. فقل: لو أنكم حضرتموه حين مات أكنتم قائمين على قبره ومصلين عليه؟ فإن قالوا: لا. فقل لهم: شككتم في دينكم والتبس عليكم أمركم، وارتبتم في رأيكم ، وإن قالوا لك: نصلي عليه. فقل لهم: أهو من المؤمنين الذين كان رسول الله أمر بالاستغفار لهم؟ فإن قالوا: نعم. فقل: كذبتم على ربكم تبارك وتعالى

وعلى نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم، إن هذا حرب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن الله تعالى ليأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يستغفر ويصلي على حربه.

وقد كانت الخمر حلالاً للمسلمين، فلما حرمها الله تعالى وجعلها مع الميسر والأنصاب والأزلام، جعلها رجساً من عمل الشيطان، فشكا المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: كيف بآبائنا وأمهاتنا وإخواننا الذين قتلوا وماتوا وهذه الرجس في بطونهم؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[المائدة: ٩٣]، فلم يبرأ الذين هلكوا من الأمم إلا من كان على هذه الصفة.

فهذا ميثاق الله على عباده واثقهم به، وبهذا يدخل الله تبارك وتعالى عباده الجنة، ولا يدخلهم بالفسق، ولا بالعمل الذي لعن الله تبارك وتعالى مَنْ عمله وغضب عليه.

وأهل البدع يزعمون: أن الإيمان قول وإقرار بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس الإيمان العمل، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم المدينة صلى إما ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، لم يتم فيهما إستقبال البيت الحرام، فلما صرف الله القبلة إلى البيت الحرام، وجد المسلمون في أنفسهم من صلاتهم قبل ذلك، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[البقرة: ١٤٣] يعني بهذه الآية: الصلاة، فسمى صلاتهم: إيماناً.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ [وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ(٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاء

تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:٨٤ ــ ٨٦]، فأخذ اللّه الميثاق على بني إسرائيل في التوراة: ولا تقتلوا أنفسكم. إنما يعني بأنفسهم أهل ملتهم، وألا يأتيهم أسير من بني إسرائيل أو عبد أو وليدة إلا شروه إن بِيْعَ، فأعتقوه.

فكان بين الأوس والخزرج في الجاهلية حرب شديد وقتل شهير، وكانت بنو قريظة من اليهود، والنضير من اليهود، حلفاء الأوس والخزرج؛ بنو قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء للخزرج، فكانت الأوس والخزرج إذا سارت بينهما القتال، جاء حلفاء الفريق كلاهما من اليهود، فقاتلوا مع حلفائهم خشية أن يستضعف حلفاؤهم، وبنوا الأوس والخزرج مشركون ليسوا على دين اليهود، فيقتل اليهود بعضهم بعضاً ويخرج اليهود بعضهم بعضاً من ديارهم، فإذا تخارجوا بينهم، وسكن القتال أتي بالعبد والوليدة من بني إسرائيل ليباع، أرسل الفريقان ــ الذين اقتتلوا قَبْلُ ــ بعضُهُم إلى بعض: اجمعوا فداء هذا الأسير حتى نعتقه، فإذا قيل لهم: لم تعتقونه ؟ قالوا: إن اللّه تعالى أمرنا بذلك. فيقال لهم: أليس؟ قد حرم اللّه تعالى دماء بعضكم على بعض في التوراة ، كما أمركم بشراء هذا الأسير؟ قالوا: بلى وكنا نخاف أن يستضعف حلفاؤنا.

فأقروا بأنه حق من اللّه تبارك وتعالى، فلم ينفعهم الإقرار حين لم يعملوا شيئاً، وجعلهم مؤمنين بإشترائهم الأسرى، وجعلهم كفاراً بسفك دمائهم وإخراج بعضهم بعضاً من ديارهم، وهم يهود كفار بالله وبرسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم،

فجعلوا مؤمنون بالآية التي عملوا بها من اشتراء الأسرى، وغضب الله تعالى عليهم بسفكهم الدماء، حتى ردوا إلى أشد العذاب، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُـــومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر: ٤٦].

[تم بحمد الله كتاب الإيمان]

كــتاب تثبيت الإمامة

بسم الله الرحمن الرحيم

[سند الكتاب]

قال الإمام الحسن بن بدر الدين في (أنوار اليقين) ما لفظه: قال الــــرواة: هـــذه الرسالة للإمام الرضي، والحسام المشرفي، أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بـــــن علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعلى جميع النبيين والمرسلين.

حدثنا القاضي الأجل يحيى بن عطية، قال حدثنا الفقيه الأجل حَـــبْر المــدارس وصدر المجالس حسام الدين زين الموحدين حميد بن أحمد أدام الله علوه، بعضه إجازة وبعضه سماعاً ، قال: حدثنا الفقيه الأجل العالم الزاهد العابد بهاء الدين علي بن أحمد بن الحسين بن مبارك الاكوع رضوان الله عليه، قال: حدثنا الشيخ الأجـــل العـــالم الفاضل الصالح أبو علي سعيد بن صالح السُّمانة الكوفي الزيدي أيده الله تعالى بمكـــة حرسها الله تعالى بظهور الحق وأهله، قال: حدثنا الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزيدي [قال: حدثنا الشيخ أبو علي الحسن بن علي] بن مُلاَعِب الأســـدي المُفَسِّر ، قال: أخبرنا السيد الشريف تاج الدين أبو البركات عمر بن إبراهيم بن حمزة العلوي الحسني إجازة ، قال: أخبرنا السيد الشريف العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي رضي الله تعالى عنه، قال: أخبرنا أبي رضي اللّـــه عنه، قال: حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن سعيد الرَّقي قراءة عليه سنة ســــت وخمسين وثلاثمائة ، قال: حدثنا محمد بن علي بن خَلَف العَطَّار، قال: حدثنا محمد بن مروان القطان، عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه،

عن السدي، أن أبا الحسين زيد بن علي قال:

[في بيان الحجة]

هذا قولُ مَنْ خاف مقام ربه واختار لنفسه ولدينه، وأطاع اللّه ورسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم، واجتنب الشكّ واعتزل الظنّ، والدّعوَى، والأهواء، والشُّبُهَات، والراي، والقياس، وأخذ عند ذلك بالحق من طاعة اللّه وطاعة رسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم : بالحُجّة البالغة، والثِّقَة واليقين، فاحتج بذلك على من خالفه بخلاف الحق، ويرى الواجبَ: ما جاء به الرسول صلى اللّه عليه وعلى أهل بيته وسلم، وأصحابه البدريين من كتاب الله وسنة نبيئه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وما اجتمعت عليه الأمة بعد الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم، منْ كِتَاب اللّه تعالى وسُنّة نبيه صلى اللّه عليه وعلى أهل بيته وسلم، وتركنا ما قالت الأمّةُ برأيها، فليس ما قالت الأمّةُ برأيها فاختلفت فيه بثقة ولا يقين ولا حُجّة[١]، لأن الرأي قد يخطئ ويصيب، وما كان[٢] يخطئ مرة ويصيب مرة فليس بحجة ولا يقين ولا ثقة.

وذلك أن الأمة اجتمعت على أن النبي – صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم – وأصحابه البدريين اجتمعوا يوم بدر، حيث شاورهم النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في أسرى أهل بدر، فاتفق رأيهم ورأي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أن يقبلوا الفداء من الأسارى، وكان ذلك الرأي من النبي صلى اللّه عليه وآله وأصحابه البدريين صواباً، وقد كان خطأً عند اللّه عز وجل، حتى نزّل على نبيه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٦٧)لَوْلَا

(١) ــ في نسخة أنوار اليقين: (فاختلفت فيه بلا فقه ولا يقين ولا حجة).

(٢) ــ في نسخة أنوار اليقين: فما كان.

كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٦٨)فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٧ ـ ٦٩].

فالذي[1] يخطئ مرة ويصيب مرة فليس ما يخطيء ويصيب بيقين ولا حجة ولا ثقة؛ ولكن الحجة عند اللّه الطاعة لله ولرسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم، وما اجتمعت عليه الأمة بعد الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم[2].

وقد بين اللّه تبارك وتعالى في كتابه فقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]، والآخذون بما جاء به الرسول صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم من كتاب اللّه والسنّة، مطيعون لله وللرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم، مستوجبون من اللّه تعالى الكرامة والرضوان، والتاركون لذلك عاصون لله ولرسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم مستوجبون من اللّه تعالى العذاب.

[اختلاف الأمة في تعيين الخليفة]

أما بعد..

فإنا قوم لم ندرك النبي صلى اللّه عليه وعلى أهل بيته وسلم، ولا أحداً من أصحابه الذين اختلفوا بينهم[3] فنعلم كيف كان الخلاف بينهم، ونعلم أي الفريقين أولى بالحق والصدق؛ فنتابعهم ونتولاهم ونكون معهم، كما قال اللّه تعالى في كتابه:

---

(١) في أنوار اليقين: والذي.

(٢) في أنوار اليقين: ولكن الحجة علينا عند الله تعالى لله ولرسوله، وما أجمعت عليه الأمة بعد الرسول مما جاء به الرسول، وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) لا خلاف أن الإمام زيد (ع) أدرك بعض الصحابة كجابر بن عبدالله الأنصاري، وأبا الطفيل عامر بن واثلة، وغيرهما، فمراده بهذا الكلام أنه لم يدرك أحداً من الصحابة الذين وقع بينهم اختلاف.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩]، ونعلـــم أي الفريقين أولى بالكذب والضلال، فنَتَجَنَّبهم كما أمر اللّه تعالى، فهذا غالب عنا ـــــ يعني أمرهم ـــ وكنا كما قال اللّه تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَـــا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّـــمْعَ وَالْأَبْصَـــارَ وَالْـــأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُـــمْ تَشْـــكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]، حتى إذا أدركنا العقل طلبنا معرفة الدين من أهل الحق والصدق[1]، فوجدنا الناس مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض، وقد يجمعهـــم في حـــال اختلافهـــم فريقان.

فريق قالوا: إن الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم مضى و لم يَسْـــتَخْلِفْ أحـــداً بعينه، وإنه جعل ذلك إلينا معاشر المسلمين، نَخْتَارُ لأنفسنا رجلاً فنستعمله علينـــــا، فاخترنا أبا بكر.

وفرقة قالوا: إن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم استخلف علياً فجعله خليفة وإماماً نَسْتَبِينُ به بَعْدَهُ. فصارت كل فرقة منهم مُدَّعِيَةً تدعي الحق.

فلما رأينا ذلك أوقفنا الفريقين جميعاً، حتى نستبين ذلك، ونعرف المُحِـــقَّ مـــن المبطل.

ثم سألنا الفريقين جميعاً: كيف كان النبي صلى اللّه عليه وعلى أهل بيته وســـــلم يقضي بين الخصمين والفريقين إذا احتمعوا إليه؟

فاجتمع الفريقان جميعاً على أن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وســـــلم لم يكـــن يقضي بين الفريقين إذا احتمـــعوا إلاّ بالبَيِّنَة العُدُول من غير أهل الدعوى، ممـــن لا يَجُرُّ إلى نفسه.

فَقَبِلْنَا منهم حين اجتمعوا عليه، وشهدنا أنه الحق، وأن من خالف حكـــم النـــبي

(١) ـــ في أنوار اليقين: طلبنا معرفة الدين وأهله من الحق والصدق.

صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم فقد جَارَ وَظَلَم.

[دعوى كل فريق على صحة قوله]

ثم سألنا الذين زعموا أن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم استخلف علي بن أبي طالب ــ صلوات اللّه عليه وسلامه ــ ومضى: هل لكم بينة عُدُولٌ من غيركم على ما ادَّعيتم فنصدقكم ونقضي لكم؟

قالوا: لا نجد بينةً عدولاً من غيرنا.

ثم سألنا الذين زعموا أن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم مضى و لم يستخلف أحداً ــ أو أنه جعل ذلك إليهم ليختاروا لأنفسهم، فاختاروا أبا بكر ــ: هل[1] لكم بيِّنة عُدُولٌ من غيركم فنُصَدِّقَكُم ونقضي لكم؟

قالوا: لا نجد بينة عدولاً من غيرنا.

فَلَمَّا لم يجد الفريقان البينةَ العدول من غيرهم على ما ادعوا أوقفناهم حتى نعلم المُحقَّ من المُبْطِل.

[احتياج الناس إلى وال]

ثم سألنا الفريقين جميعاً هل للناس بُدّ من والٍ يصلي بهم، ويقيم أعيادهم، ويَجْبِي زكاتهم، ويعطيها فقراءهم، ويأخذ غنائمهم[2] ويقسمها، ويقضي بينهم، ويأخذ لضعيفهم من قويهم، ويقيم حدودهم؟

فاجتمع الفريقان على أنه لابد من والٍ يقوم فيهم بالحق، ويعمل فيهم بالسُّنن. فقبلنا منهم، وشهدنا أنه الحق، وأنه لابد للناس من والٍ يقوم فيهم بالحق، ويعمل

(١) ــ في أنوار اليقين: فهل.

(٢) ــ سقط من أنوار اليقين: ويأخذ غنائمهم.

فيهم بالسُّنن.

ثم سألنا الفريقين هل للناس أن يتبرعوا[1] بتولية رجل يجعلونه إماماً وخليفة عليهم قَبْلَ أن ينظروا في كتاب اللّه عز وجل والسُّنّة؟ فإن وجدوا الكتاب والسنة يدلّان على تولية رجل باسمه [وبفضله يولونه عليهم، لفضله عليهم في الكتاب والسنة.

فاجتمع الفريقان على أن ليس للأمة أن يَتَبَرَّعوا بولاية رجل يختارونه ويجعلونه عليهم والياً، يحكم بينهم، دون أن ينظروا في كتاب اللّه عز وجل والسُّنة، فإن وجدوا الكتاب والسنة يدلان على تولية رجل باسمه وفضله ولّوه عليهم، وإن لم يجدوا الكتاب والسنة يدلان على تولية رجل باسمه وفضله[2]] كانت لهم الشورى بعد ذلك بما وافق الكتاب والسنة. فلما أجمعوا على ذلك قَبِلْنَا منهم، وشهدنا أنه ليس للأمة أن يتبرعوا بتولية والٍ على أن يجعلوه الخليفة والإمام دون أن ينظروا في الكتاب والسنة.

ثم سألنا الفريقين عن الإسلام الذي أمر اللّه تعالى به خَلْقَه، ماهو؟

فاجتمعوا على أن الإسلام: شهادة أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم، والإقرار بما جاء به نبيهم صلى اللّه عليه وعلى أهل بيته وسلم، وصلاة الخَمْس، وصوم شهر رمضان، والحج إلى بيت اللّه الحرام من استطاع إليه سبيلاً، والعمل بهذا القرآن أن يحل حلاله، ويحرم حرامه والعمل بما فيه.

---

(١) – التبرع: الاختيار بدون سؤال.

(٢) – في أنوار اليقين: فإن وجدوا الكتاب والسنة يدلان على تولية رجل باسمه وفعله ولّوه عليهم، وإن لم يجدوا الكتاب والسنة يدلان على رجل باسمه وفعله كانت لهم الشورى بعد ذلك، وما بين القوسين زيادة من نسخ أخرى.

فقبلنا منهم حيث اجتمعوا عليه، وشهدنا أنه الحق.

[خيرة الله من خلقه]

ثم سألنا الفريقين جميعاً: هل لله خِيرةٌ مِنْ خَلْقِه اختارهم واصطفاهم؟

فاجتمع الفريقان على أن لله تعالى خيرةً من خلقه اختارهم واصطفاهم.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

فقالوا: قول الله تبارك وتعالى: **﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾** [القصص:٦٨].

فقبلنا منهم حيث اجتمعوا على ذلك، وشهدنا بأن لله تعالى خِيرة من خَلْقه.

ثم سألناهم: مَنْ خيرة الله سبحانه من خلقه؟

فقالوا: المتقون.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

فقالوا: قول الله عز وجل: **﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** [الحجرات: ١٣]، وفي قراءة ابن مسعود: **﴿إنّ خيركم عندَ الله أتقاكم﴾**.

فقبلنا حيث اجتمعوا، وشهدنا أنه الحق، وأن خيرة الله من خلقه المتقون.

ثم سألنا الفريقين هل لله خيرة من المتقين؟

فقالوا: نعم.

فقلنا: من هم؟

فقالوا: المجاهدون في سبيل الله.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

فقالوا: قول الله تبارك وتعالى: **﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا

عَظِيمًا(٩٥)دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:٩٥ــ٩٦].

فقبلنا منهم، وشهدنا أن خيرةَ اللّه من المتقين المجاهدون في سبيل اللّه من المتقين.

ثم سألنا الفريقين: هل لله خيرة من المجاهدين في سبيل اللّه؟

قالوا: نعم.

فقلنا: من هم؟

فقالوا: السابقون ــ من المهاجرين ــ إلى الجهاد.

فقلنا: مابرهانكم عليه؟

فقالوا: قول اللّه تبارك وتعالى: **﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** [الحديد: ١٠].

فقبلنا ذلك منهم، وشهدنا أن خيرة اللّه من المهاجرين المجاهدون السابقون إلى الجهاد.

ثم سألنا الفريقين: هل لله خيرة من السابقين إلى الجهاد؟

قالوا: نعم، أكثرهم عملاً في الجهاد، وأكثرهم ضرباً وطعناً وقتالاً في سبيل اللّه.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

قالوا: قول اللّه تبارك وتعالى: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾**[الزلزلة: ٧]، وقوله تعالى: **﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [المزمل: ٢٠].

فقبلنا منهم، وشهدنا أن خيرته من السابقين إلى الجهاد أكثرهم عملاً في الجهاد، وأبذلهم لمهجته لله، وأكثرهم قتالاً لعدوه.

[تفضيل علي ـ عليه السلام ـ على أبي بكر]

ثم سألنا الفريقين عن هذين الرجلين الذين اختلفت فيهما هذه الأمة ـــ علي بن أبي طالب، وأبي بكر بن أبي قحافة ـــ أيهما كان أكثر عملاً في الجهاد في سبيل الله، وأكثر ضرباً وطعناً وصبراً وقتالا، ومَنَعَةً، ويخاف منه من خالف الحق[1]؟

فاجتمع الفريقان على أن علي بن أبي طالب أكثرهم عملاً في الجهاد في سبيل الله.

فلما اجتمع على ذلك الفريقان قبلنا منهم، وشهدنا أن عَليٌّ بن أبي طالب ـــ صلوات الله عليه ـــ خيرٌ من أبي بكر، بما دل عليه الكتاب والسنة ـــ فيما اجتمعوا عليه ـــ من فضله في كتاب الله الذي لا خلاف فيه.

فَدَلَّ ما أجمعت عليه الأمة على أن خيرة الله المتقون، وأن خيرة الله سبحانه وتعالى من المتقين المجاهدون في سبيل الله، وأن خيرة الله من المجاهدين السابقون إلى الجهاد، وأن خيرة الله من السابقين أكثرهم عملاً في الجهاد.

واجتمعت الأمة على أن خيرة الله من السابقين إلى الجهاد البدريون، وأن خيرة البدريين المجاهدين هذان الرجلان اللذان اختلفت فيهما الأمة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأبو بكر بن أبي قحافة.

فلم يَزَل الفريقان يُصَدِّق بعضهم بعضاً ويدل بعضهم على بعض، حتى دلوا على خيْرة هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما اجتمعت عليه الأمة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

[خير المتقين]

ثم سألنا الفريقين حيث اجتمعوا على أن خيرة الله هم المتقون ـــ فسألنا من هم؟

(١) ـ في النسخ: وخوفاً منه من خالف الحق في سبيل الله، ولعل ما أثبت هو الأصح.

فقالوا: هم الخاشئون.

فقلنا: ما برهانكم عليه؟

فقالوا: قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ(٣١)هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ(٣٢)مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَانَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[ق:٣١ ــ ٣٣]. وقوله: ﴿وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ(٤٨)الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٨ ــ ٤٩].

فقبلنا منهم، وشهدنا أن المتقين هم الخاشئون.

ثم سألنا الفريقين عن الخاشئين؟

فقالوا: العلماء.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

فقالوا: قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

فقبلنا منهم، وشهدنا أن الخاشئين هم العلماء.

[من هو أعلم الناس؟]

ثم سألنا الفريقين عن أعلم الناس من هو؟

فقالوا: أعمل الناس بالعدل، وأهداهم إلى الحق وأحقهم أن يكون متبوعاً حاكماً ولا يكون تابعاً.

فقلنا: ما برهانكم عليه؟

فقالوا: قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنْ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، فجعل الحكومة لأهل العدل وأهل العلم.

[من هو أعمل الناس؟]

ثم سألنا الفريقين عن أعمل الناس بالعدل من هو؟

فقالوا: أدل الناس على العدل.

ثم سألنا عن أدل الناس على العدل من هو؟

قالوا: أهدى الناس إلى الحق، وأحق الناس أن يكون متبوعاً ولا يكون تابعاً.

فقلنا: ما برهانكم عليه؟

قالوا: قول اللّه تبارك وتعالى: **﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** [يونس: ٣٥][1].

فَدَلَّ ما اجمعت عليه الأمة من كتاب اللّه الذي لا اختلاف فيه على أن علي بن أبي طالب صلوات اللّه وسلامه عليه خير هذه الأمة، وأنه أتقى الأمة، وأنه إذا صار أتقى الأمة صار أخشاها، لأنه صار أعلم الأمة، وإذا صار أعلم الأمة، صار أدَلّ الأمة على العدل، وإذا صار أدل الأمة على العدل، صار أهدى الأمة إلى الحق، وصار أحق الأمّة أن يكون متبوعاً ولا يكون تابعاً، وأن يكون حاكماً ولا يكون محكوماً عليه، لأن اللّه تبارك وتعالى قال في كتابه: **﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** [يونس: ٣٥].

هذا ما أجمعت عليه الأمة بعد نبيها صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم، أجمعت على أن نبي الله صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم مضى وخلف فينا كتاب اللّه تعالى الذي أُنزل عليه، وأمرنا أن نعمل بما فيه، وبلّغنا عن النبي صلى الله عليه وعلى أهل بيته

(١) ـــ روى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١/٢٦٥ رقم (٣٦١) من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: اختصم قوم إلى النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم فأمر بعض أصحابه فحكم بينهم فلم يرضوا به فأمر علياً فحكم بينهم فرضوا به. فقال لهم بعض المنافقين: حكم عليكم فلان فلم ترضوا به وحكم عليكم علياً فرضيتم بئس القوم أنتم. فأنزل اللّه الآية المذكورة.

وسلم ذلك، فقال في الكتاب: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، وقال: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

[الدليل على صحة ما تقدم من الكتاب]

واجتمعت الأمة على أنه لابد لهم من والٍ يجمعهم ويدبر أمورهم.

واجتمعت على أنه لا يحل لهم أن يعملوا عملاً، أو يقولوا: اقرأ علينا هذا القرآن ــ فيمضوا لما يأمرهم به القرآن الذي يعرفه صغيرهم وكبيرهم ــ حتى إذا بلغ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص:٦٨]، فيقول: اثبتها[1] واعزلها.

فإنا نجد اللّه تبارك وتعالى خلق الخلق، فاختار خيرةً من الخلق ما ليس لنا أن نختار غيرهم.

ثم يقولون إقرأ حتى ننظر مَنْ خيرَتُهُ من خلقه الذين اختارهم، فيقرأ حتى إذا بلغ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، فيقولون: قد فَسَّرْتَ لنا هذه الآيةُ وقد دلّتنا على أن خيرة اللّه من خلقه المتقون.

ثم يقولُ: اقرأ حتى نعلم مَن المتقون. فيقرأ حتى إذا بلغ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ(٣١)هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ(٣٢)مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَانَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣١ ــ ٣٣]، فيقولون: قد دلت هذه الآية على أن المتقين هم الخاشئون.

ثم يقولون: اقرأ حتى إذا بلغ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:

(١) ــ اثبتها: أي اسقطها.

ن/ ثم يقولون.

٢٨]، فيقولون: قد دلتنا هذه الآية على أن الخاشئين هم العلماء.

ثم قالوا: اقرأ حتى نعلم أي العلماء خيرٌ وأفضل أم غيرهم؟ فيقرأ، حتى إذا بلغ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩] فيقولون: قد دلّتنا هذه الآية على أن العلماء أفضل وخير من غيرهم.

ثم يقولون: اقرأ، حتى إذا بلغ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١] فيقولون: قد فسّرتْ لنا هذه الآية ودلّتنا على أن اللّه تبارك وتعالى قد اختار أهل العلم وفضلهم ورفعهم فوق الذين آمنوا درجات.

[أعلم أصحاب رسول الله (ص)]

وأجمعت الأمة على أن الفقهاء العلماء من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم - الذين كان أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يأخذون عنهم أبواب صلواتهم، وزكواتهم، وطلاقهم، وسننهم، وفرائضهم، ومشاعرهم - فقالوا: علي بن أبي طالب[1]، وعبدالله بن العباس[2]، وعبدالله بن مسعود[3]

---

(١) ــ علي بن أبي طالب ــ عبد مناف ــ بن عبدالمطلب بن هاشم، ولد ــ عليه السلام ــ قبل البعثة بثلاث عشرة عاماً على أصح الأقوال في السابع من شهر أيلول ــ في الثالث عشر من شهر رجب.

ولدت به أمه في جوف الكعبة، أخذه رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ورباه في حجره، فلما بعث ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كان أول من آمن به وصدقه وصلى معه إذ بعث رسول الله يوم الاثنين وصلى علي ــ عليه السلام ــ يوم الثلاثاء بعد خديجة ــ عليها السلام ــ وشهد جميع غزوات رسول الله وكان حامل رايته فيها جميعها الا في غزوة تبوك فإنه خلفه رسول الله على المدينة وقال له: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)).

وزيد بن ثابت الأنصاري[١]، وقالت طائفة: وعمر بن الخطاب[٢].

وهو زوج ابنة المصطفى فاطمة الزهراء، وأبو سبطي رسول الله الحسن والحسين ــ عليهم السلام، وكان أعلم الصحابة وأقضاهم، قال ابن عباس: لقد أوتي علي تسعة أعشار العلم، وشاركهم في العاشر، وهو أفضل الصحابة لا يوازى فضله أحد، وهو أشجعهم ما برز له فارس إلا قتله، وهو صاحب المقامات المشهورة في قتل الأبطال في بدر وحنين والخندق وأحد وغيرها.

وهو وصي رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم، والإمام بعده، وخليفته على أمته، والقائم بأمر الله، أخذت عليه ولايته ظلماً، وصرفت عنه حقداً وبغياً، حتى علمت الأمة أن حاجتها إليه، وأنه لا يصلح أمرها إلا به فاجتمع إليه المسلمون وبايعوه طائعين في ١٨ من ذي الحجة سنة (٣٥هـ) وجاهد الناكثين طلحة والزبير وعائشة وأتباعهم سنة (٣٦هـ) في معركة الجمل، والقاسطين معاوية وعمرو بن العاص وأتباعهم سنة (٣٧هـ) في معركة صفين، والمارقين وهم الخوارج في النهروان، ثم أقام بالكوفة إلى أن ضربه أشقى الأولين والآخرين عبد الرحمن بن ملجم في (١٩) من شهر رمضان، واستشهد ــ عليه السلام ــ (٢١) من شهر رمضان سنة (٤٠هـ).

(٢) ــ عبدالله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، ابن عم رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاثة أعوام، ودعا له رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وقال: ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))، من أصاغر الصحابة وأعلمهم وأفقههم، وكان يلقب بالبحر لسعة علمه، ويقال له: حبر الأمة، وكان أحد شيعة أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ شهد معه معاركه (الجمل ــ وصفين ــ والنهروان) وتوفي بالطائف سنة (٦٨هـ)، (انظر لوامع الأنوار الجزء الثالث، ففيه ترجمة موسعة مفيدة).

(٣) ــ عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الأنصاري الهذلي حليف بني زهرة، أسلم قديماً قبل إسلام عمر بن الخطاب، قيل كان سادس من أسلم، كان من علماء الصحابة وقرائهم، شهد بدراً وما بعدها، كان من المفضلين لعلي ــ عليه السلام ــ ومن محبيه وشيعته، قال: (قرأت القرآن على عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وأتممته على خير الخلق بعده، علي بن أبي طالب) ضربه عثمان في ولايته لما دفن أبو ذر الغفاري بالربذة، وتوفي بالمدينة سنة (٣٢هـ)، وأوصى إلى عمار أن يصلي عليه ويدفنه ليلاً، وكان عمره بضع وستون سنة.

(١) ــ زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة، استصغره النبي ــ صلى الله عليه

فسألنا الأمة: من أولى الفقهاء العلماء بالتقدم بالصلوة إذا حضروا، فاجتمعوا على أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: ((يؤمكم أقرؤكم لكتاب اللّه عز وجل))، فاجتمعوا على أن الأربعة أولى بالتقدم من عمر.

ثم سألنا الأمة: أي الأربعة كان أقرأ لكتاب اللّه وأفقههم في دين اللّه؟

فاختلفوا فيهم، فأوقفناهم حتى نعلم.

ثم سألنا الأمة: أي الأمة أولى بالإمامة؟

فاجتمعت الأمة على أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: ((الأئمة من قريش)).

فسقط اثنان من الأربعة: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت الأنصاري، إذ هما لم يصلحا للإمامة؛ لأنهما ليسا من قريش، وبقي علي بن أبي طالب صلوات اللّه عليه، وعبد الله بن عباس مسلمين فقيهين عالمين قرشيين.

فسألنا الأمة: إذا كانا عالمين فقيهين قرشيين أيهما أولى بالإمامة؟

فاجتمعت الأمة على: أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: ((إذا كان فقيهين عالمين فأكبرهما وأقدمهما في الهجرة))[1]، فسقط عبد الله بن عباس، وحَصَل علي

وآله وسلم — يوم بدر فرده، وشهد ما بعدها، و لم يشهد شيئاً من حروب علي — عليه السلام، قال ابن عبد البر: وكان مع ذلك يفضلّ علياً ويظهر حبه، توفي بالمدينة سنة(٥٤هـ)، وكان من أهل القضاء والفتوى.

(٢) — عمر بن الخطاب بن نفيل، القرشي، أبو حفص، أسلم بعد خروج مهاجرة الحبشة على يدي أخته فاطمة، قال: (لولا علي لهلك عمر) وقال: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن) توفي (٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣ هـ) وعمره (٦٣سنة).

(١) — عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري قال قال رسول اللّه (ص): يؤم القوم أقرأهم لكتاب اللّه، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأكبرهم سناً.

بن أبي طالب صلوات اللّه وسلامه عليه، وصار أحق الناس بالإمامة بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم.

وهذا ما اجمعت عليه الأمة بعد نبيها صلى اللّه عليه وآله وسلم.

ثم اجتمعوا على أن لله خيره من خلقه اختارهم واصطفاهم، وجعلهم أدلاء على الفرائض والحكم على خلقه.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

قالوا: قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ(٣٣)ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران:٣٣،٣٤].

فاجتمعوا على أن الأمة المسلمة خلقها اللّه من ذرية إسماعيل بن إبراهيم خاصة، وأنهم آل إبراهيم خاصة المصطفين الذين اختارهم اللّه واصطفاهم على العالمين.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

قالوا: قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(١٢٧)رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ

---

[١] أخرجه مسلم في المساجد باب من أحق بالإمامة (٤٦٥/١) رقم (٦٧٣/٢٩٠)، وأبو داود في كتاب الصلاة (١٥٦/١) رقم (٥٨٤)، والنسائي ٧٦/٢، والترمذي في كتاب الصلاة (٤٥٨/١) رقم(٢٣٥ و٢٧٧٢)، وابن ماجة رقم (٩٨٠)، وابن خزيمة رقم (١٥٠٧)، واحمد في المستدرك (٣٢١/٥) رقم (٢٢٤٠٣)، والطبراني في الكبير ٦٠٩/١٧ ـ ٦١٢، وابن حبان رقم (٢١٢٧ و٢١٣٣ و٢١٤٤)، والطبراني في الأوسط (١٨٩/٣) برقم (٤٢٨٢) والحاكم ٢٤٣/١، والدار قطني ٢٨٠/١، وأبو عوانة ٣٥/٢، والبيهقي في السنن ٩٠/٣ ـ ٩١، وأبو داود الطيالسي رقم (٦١٨)، والطحاوي في معاني الآثار ٣٩٦/١، وعبدالرزاق رقم (٣٨٠٨)، والحميدي رقم (٤٥٧)، وابن الجارود رقم (٣٠٨).

ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ ــ ١٢٩].

فقبلنا منهم، وشهدنا أن الأمة المسلمة خلقها الله تبارك وتعالى من ذرية إسماعيل خاصة وأنهم آل إبراهيم الذين اصطفاهم الله على العالمين، وأنهم أهل البيت الذين رفع الله منهم الأئمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل، وبعث فيهم الرسول.

فصار النبي ــ الذي بعث الله عز وجل ــ محمداً عليه وعلى آله الصلاة والسلام، وصار أولئك ذرية إبراهيم حقاً يقيناً، لأن الأمة اجتمعت على أن إبراهيم المصطفى، وذرية إبراهيم الذين على دين إبراهيم.

واجتمعت الأمة على: أن بني هاشم هم الذين استجابوا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصدقوه، فتلى عليهم آياته كما تلى عليهم الكتاب والحكمة وزكاهم.

واجتمعت الأمة على: أنهم فيها أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيداً، فجعل الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم شهيداً بما أنزل عليهم من تلاوة الكتاب وتعليمه إياهم الكتاب، وكما قال إبراهيم وإسماعيل: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] ولم يقولا: اجعل الأمة مسلمة من ذريتنا ومن غير ذريتنا، ولكنهما أفردا الأمة المسلمة، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ خاصة، ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾، ولم يقولا: وابعث من غيرهم رسولاً، ولكنهما قالا: ومن ذريتنا، وابعث فيهم رسولا منهم، فصار الرسول من أنفسهم شهيداً عليهم بما انتهى إليهم من الكتاب، وصاروا شهداء على الناس بما يكون على الناس من علم الكتاب والحكمة.

وقال الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٧٧)وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا

جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الـدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِـنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَـأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْـمَ النَّصِـيرُ﴾ [الحج: ٧٧ ــ ٧٨].

وهذا ما اجتمع عليه كل بارٍ وفاجرٍ، وكل مؤمنٍ وكافرٍ. اجتمعوا على أن الميت إذا مات فأهل بيته أولى بميراثه.

واجتمعت الأمة على: أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة، فأقام في قومه عشر سنين كما حكم الله عليه، وجادلهم بالتي هي أحسـن، فسموه: مجنوناً، وكذاباً، وكاهناً، وساحراً، فأقام مع المشركين وهم في شركهم حتى انقضت الأيام والسنون، ثم أمره الله عز وجل أن ينصر هجرته وأن يشهر سيفه، وأن يصير إلى حيث يقاتل من خالفه في طاعته، حتى يدخل في طاعته، وأن يقيم الحدود، وأن يأخذ للضعيف من الشديد، فلم يزل ناصراً هجرته، وشاهراً سيفه، يقاتل مـن خالفه، ويقيم الحدود حتى لحق بالله عز وجل.

واجتمعت الأمة على: أن النبوة لا تورث، فقبلنا منهم وشـهدنا أن النبـوة لا تورث.

وسألنا الأمة: إنفاذُ الذي جاء من عند الله بالسنن، وإقامة الحدود، ويدفع إلى كل ذي حق حقه نبوةٌ؟ فكان من عمل بها فهو نبي؟ فقالوا: لا، ولكن النبوة: الإخبار عن الله والسبيل بالكتاب والسنة.

فهذا بيان لمن تفكر فيه ولم يعطف الحق إلى هواه، ورضي بالحياة الدنيا واطمـأن إليها. والسلام.

انتهى والحمد لله على كل حال وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين أمين.

[تم بحمد الله تعالى كتاب تثبيت الإمامة]

كتاب تثبيت الوصية

بسم الله الرحمن الرحيم

[سند الكتاب]

[قال العلامة الشهيد حُميد بن أحمد المحلي]: أخبرنا الشريف أبو علي محمد بن المهدي بن معد بن حمزة العلوي الحسني قراءة عليه، قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن محمد بن عيرة الحارثي الكوفي، قال: أخبرنا الشريف أبو الطاهر الحسن بن علي بن مَعيّة العلوي الحسني، قال: أخبرنا السيد الشريف العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن العلوي الحسني إجازة، قال: أخبرنا أبو الحسن ابن النّجّار، ومحمد الأسدي، وعبد الله بن مجالد البجلي قراءة عليهم، قالوا: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ إجازة، قال: أخبرنا جعفر بن عبد الله المحمّدي، قال: حدثنا الحسن بن الحسين، قال:حدثنا خالد بن مختار الثّمالي، قال:

[إثبات وصية النبي(ص)]

قال الإمام الشهيد أبو الحسين زيد بن علي عليه السّلام:

سلوا النّاس: هل أوصى رسول اللّه وصلى اللّه عليه وآله وسلم، أو لم يوص؟

فإن قالوا: لم يوص، أو لاندري أوصى أو لم يوص.

فقولوا: إنّ في القرآن دليلاً على أنه قد أوصى، بقول اللّه تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦]. وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ

خَيْرًا الْـوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[البقرة: ١٨٠]. وقال: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[النساء: ١١]. وقال: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٣].

وقد ذَكَر الناس عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ــ لا يختلفون فيه: أنه كان يبعث السّرايا فيوصيهم، وقد بعث جعفراً [١]، وزيداً [٢]، وعبد الله بن رواحة [٣] فأوصى: إن حدث بفلانٍ ففلانٌ، أو حَدَثَ بفلانٍ ففلانٌ.

فيكون يؤمّر رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في حياته ويوصي بهم، ويدع أهله وذريته والأمة جمعاء لا يوصي بهم أحداً! أفأمركم رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم بالفضل وترك أن يأخذ به؟! وهو أحسن الناس بالأخذ بالفضل؛ وإنما عُرِف الفضل به.

فهذا مما يستدل به على أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قد أوصى ولم يُضِع أمر أمته.

---

(١) ــ جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، أبو عبدالله، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة بأمر رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم، ورجع يوم فتح خيبر، بعثه رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ إلى مؤتة وأمره على الجيش، وقتل في تلك المعركة شهيداً سنة (٨هـ) وهو جعفر الطيار. طبقات الزيدية ــ خ ــ لوامع الأنوار (٦٦/٣).

(٢) ــ زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي، مولى رسول اللّه (ص)، أسلم بعد علي ــ عليه السلام ــ وشهد بدراً، وهو حب رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الثاني من الأمراء في مؤتة، وقتل بها شهيداً سنة (٨هـ). الطبقات ــ خ ــ لوامع الأنوار (٨٤/٣).

(٣) ــ عبدالله بن رواحة بن ثعلبة أبو رواحة الحارثي الأنصاري، أحد النقباء، شهد بدراً وما بعدها، وكان أحد النجباء الصادقين، وثالث الأمراء في غزوة مؤتة وبها استشهد سنة (٨هـ). لوامع الأنوار (١٢٠/٣).

فإن قالوا: قد أوصى رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ولكن لا ندري إلى من أوصى، فإن في القرآن ما يستدلُّ بـه على وَصيِّه، لأن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم كان خير الناس وأعلم الناس؛ فينبغي أن يكون وصيه من بعده خيرهم وأعلمهم، وأطوعهم لأمره، وأنفذهم لوصيته، وأوثقهم عنده.

[من هو وصي رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ]

وقد بيّن اللّه تبارك وتعالى الفضل في كتابه؛ فأفْضَلُهم عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم من فضّله اللّه في كتابه، وهو وصيّه؛ لأن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم لم يكن ليختار غير الذي اختاره اللّه، فهلمّوا فلننظر في كتاب اللّه مَنْ أهل صفوته[1]، وأهل خيرته؟

فإن اللّه تبارك وتعالى يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[القصص: ٦٨].

وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ(١٠)أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[الواقعة: ١٠ ـ ١١][2].

(١) – وقد بين ذلك الإمام زيد عليه السلام في كتابه المسمى (كتاب الصفوة).

(٢) ـ روى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل (٢/٢١٦) رقم (٩٢٨) بإسناده عن السدي في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]، قال: (نزلت في علي). ورواه أيضاً برقم (٩٣٠) بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس (أنها نزلت في علي).

وأخرج الحاكم الحسكاني أيضاً (٢/٢١٣) رقم (٩٢٤) عن الحسين بن الحسن الأشقر عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: (السباق ثلاثة: سبق يوشع بن نون إلى موسى، وسبق صاحب ياسين إلى عيسى، وسبق علي إلى النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم).

وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/٩٣) رقم (١١٥٢) مرفوعاً.

وأخرجه ابن المغازلي الشافعي أيضاً بسنده عن ابن عباس موقوفاً ص١٩٧ رقم (٣٦٥)، وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس موقوفاً، ورواه الهيثمي (٩/١٠٢) وقال رواه الطبراني.

وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾[الحشر: ١٠].

فجعل الله للسابق بالإيمان والجهاد فضيلةً؛ فالفضل في السّابقين دون الناس، وأول السّابقين أفضل السابقين لما سبق به السّابقين، لأن الله عز وجلّ فضّل السابقين على التّابعين، وقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدّاعي على بصيرة. وكان أول من اتبعه علياً عليه السلام[(١)] وكان الدّاعي من بعده على بصيرة[(٢)]؛ لأنه أول من اتبعه،

ورواه أيضاً الحاكم الحسكاني رقم (٩٢٥) من طريق عبدالله بن محمد التستري بسنده عن ابن عباس عن النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم.

ورواه أيضاً الحاكم الحسكاني رقم (٩٢٦) عن ابن عباس، موقوفاً.

وقال الحاكم الحسكاني: رواه أيضاً شعيب بن الضحاك، عن سفيان، وشعيب بن صالح المدائني، عن سفيان في العتيق.

ورواه أيضاً الضحاك عن ابن عباس مسنداً، قال: سألت رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ عن قول الله: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ قال: حدثني جبريل بتفسيرها قال: ذاك علي وشيعته إلى الجنة. ذكره الحاكم الحسكاني رقم (٩٢٧).

وروى الحديث المتقدم أيضاً الحاكم الحسكاني رقم(٩٣٠) من طريق عبدالله بن واقد عن أبي قتادة الحراني، عن أيوب بن نهيك، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس موقوفاً.

ورواه أيضاً الخوارزمي في الفصل الرابع من المناقب، ورواه ابن البطريق يحيى بن الحسين في العمدة.

(١)ــ الأخبار الدالة على أن علياً ــ عليه السلام ــ أول من آمن كثيرة شهيرة؛ فمنها:

ما رواه ابن المغازلي الشافعي ص(٢٧) رقم (٢٠) بسنده عن سلمة بن كهيل عن حبة العرني عن علي ـــ عليه السلام ـــ أنه قال: أنا أول من أسلم. ورواه أيضاً رقم (٢١) من طريق أخرى عن سلمة بـــن كهيل.

ورواه أيضاً محمد بن سليمان الكوفي في المناقب (٢٧٥/١) رقم (١٨٨) عن شعبة عن سلمة بن كهيل، ورواه أيضاً النسائي في الخصائص ص٥ بلفظ: (أنا أول من صلى مع رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنها: ما رواه محمد بن سلميان الكوفي (٢٥٩/١) رقم (١٧١) بسنده عن أنس بن مالك، ورواه أيضاً الحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين عن أنس ص١٣٢قال: بعث النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق من سبع طرق عن أنس (٥٠/١ـــ ٥١ـــ ٥٢)، بعضها بلفـظ: ((بعث))، وبعضها بلفظ: ((استنبئ))، ورواه عن أنس ابن أبي الحديد في شرح النهج (١٣/ ١٥٨) بلفظ: ((استنبئ النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم...إلخ)).

ومنها: ما رواه أيضاً محمد بن سليمان الكوفي (٢٧٨/١) رقم (١٩٢) عن علي ـــ عليه السلام ـــ قال: (بعث النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء)، ورواه أيضاً أبو يعلـــى الموصلي في مسند علي ـــ عليه السلام ـــ من كتاب المسند (٣٤٨/١) الطبعة الأولى رقم (١٨٦) عن علي ـــ عليه السلام، ورواه أيضاً ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة علي ـــ عليـــه الســـلام ـــ (٥٢/١) عن علي ـــ عليه السلام.

ومنها: ما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب بهامش الإصابة (٣٢/٣) قال: (استنبئ النبي ـــ صلـــى الله عليه وآله وسلم ـــ يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء)، ورواه ابن أبي الحديد (٣٢٤/٤).

ومنها: ما رواه الحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين عن أبي رافع ص١٣٢ قال: (صلى النبي ـــ صلـــى الله عليه وآله وسلم ـــ يوم الاثنين وصلى عليٌ يوم الثلاثاء)، وروى نحوه عن أبي رافع، محمد بن ســـليمان الكوفي في المناقب (٢٦٢/١) رقم (١٧٤)، ورواه ابن عساكر من طريقين (٤٨/١) رقم (٧٠ـــ ٧١).

ومنها: ما رواه محمد بن سليمان الكوفي أيضاً من ثلاث طرق (٢٦٣/١) رقـــم (١٧٥) و (٢٩٤/١) رقم (٢١٦) (٢١٧) عن سلمـــان الفارسي ـــ رضي الله عنه ـــ قال: (أول هذه الأمـــة وروداً علـــى نبيها أولها إسلاماً علي بن أبي طـــالب). ورواه أيضاً الحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين روايـــة عـــن الناصر ص١٣٢، ورواه أيضاً ابن المغازلي الشافعي ص٢٧ رقم(٢٢) عن سلمان، ورواه ابن عبد البر في

الاستيعاب بهامش الإصابة (٣/٢٧ــ ٢٨) من طريقين أحدهما موقوفة والأخرى مرفوعة، وقال: رفعه أولى لأن مثله لا يدرك بالرأي، ثم أسند رواية المرفوع، وأرسل الموقوف، ثم قال بعد كلام له: ولا شك أن علياً عندنا أولهما إسلاماً، وذكره عنه أيضاً ورجحه ابن أبي الحديد في شرح النهج (٤/٣٢٠)، ورواه عن سلمان أيضاً ابن عساكر من ثلاث طرق (١/٨٤ــ ٨٦) رقم (١١٥ــ ١١٦ــ ١١٨).

وروى محمد بن سليمان الكوفي (١/٢٨٠) رقم (١٩٥) الحديث المتقدم عن أبي ذر مرفوعاً، ورواه أيضاً مرفوعاً عن سلمان (١/٢٨٥) رقم (٢٠١).

ومنها: ما رواه محمد بن سليمان الكوفي (١/٢٨٢) رقم (١٩٧) عن زيد بن أرقم قال: (أول من أسلم علي)، ورواه ابن المغازلي الشافعي ص٢١ رقم (١٨) عن زيد بن أرقم بلفظ: (أول من صلى مع رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ علي بن أبي طالب)، ورواه أيضاً ابن عبد البر في الاستيعاب بهامش الإصابة (٣/٣٢)، ورواه الطبري في تاريخه من طريقين عن زيد بن أرقم (٢/٢٢٧) منشورات مؤسسة الأعلمي أحدهما بلفظ: أسلم، والأخرى بلفظ: صلى.

ورواه أيضاً النسائي في خصائص أمير المؤمنين علي ــ عليه السلام ــ من ثلاث طرق عن زيد بن أرقم (ص٦٠٥)، والأحاديث والأخبار الواردة في أن علياً ــ عليه السلام ــ أول من أسلم وآمن وصلى مع رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كثيرة لا يسع المقام حصرها وإيرادها، وقد رواها جمع غفير من الصحابة والتابعين، وقد تقدم بعض من روايات الصحابة، ومنهم أيضاً: أبو أيوب الأنصاري، وعفيف بن عبدالله الكندي، وداود بن بلال أبو ليلى، وعبد الرحمن بن عوف، ويعلى بن مرة، وأبي بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، وبريدة الأسلمي، ونعمان بن جبلة التنوخي، وسلمة بن الأكوع، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وخباب بن الأرت، وسعد بن أبي وقاص، والبراء بن عازب، وعبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وطارق بن شهاب، وأسماء بنت عميس، وليلى الغفارية، ومعاذة العدوية، وأبو رجاء العطاردي عمران بن ملحان، وأبي مجلز، وغيرهم.

وقد روى ابن عساكر أحاديث إيمان علي ــ عليه السلام ــ من سبعين طريقاً من رقم (٧٠ إلى ١٤٠) (ج١/ ٤٨ــ ١٠٥) بعضها موقوفة وبعضها مرفوعة؛ فالأحاديث قد زادت على حد التواتر.

ومن غير الصحابة: الحسن بن أبي الحسن البصري، وعامر الشعبي، وجابر بن زيد أبو الشعثاء، ومحمد بن المنكدر، ومحمد بن كعب القرظي، وربيعة الرأي، ومجاهد بن جبر المكي، وابن إسحاق وغيرهم،

وأَوْلَى أنْ يكون وصيّه.

ولا ينبغي أن يكون الداعي من بعده على بصيرة إلا من يعلم جميع ما جاء بـــــه، وهل أحد من الناس يزعم أنه يعلم علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا علي عليه السلام(١)؟

وقد نظمت فيه الأشعار، من كثير من الشعار، من المهاجرين والأنصار، والتابعين وتابعيهم من الأخيار، لا يسع المقام ولا يسمح بإيرادها.

وقد أورد أكثرها الأميني في كتاب الغدير في الجزء الثالث.

(٢)ـ الداعي على بصيرة هو علي ـ عليه السلام ـ كما ذكر ذلك فرات بن إبراهيـــم الكـــوفي في تفسيره في تفسير سورة يوسف رقم (٢٢٥) (ص٧٠) بسنده عن سالم الحذاء عن زيد بن علـــي ـــ عليهما السلام ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨]، من أهـــل بيتي لا يزال الرجل بعـــد الرجـــل يدعو إلى ما أدعوا إليه)) وذكر هذا الخبر أيضاً الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل (٢٨٦/١) رقـــم (٣٩٣).

وروى فرات الكوفي أيضاً عن نجم عن أبي جعفر الباقر، قال: (سألته عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَـــذِهِ سَبِيلِي...إلخ الآية﴾ قال: (ومن اتبعني) علي بن أبي طالب)، وذكره الحاكم الحسكاني رقم (٣٩١)، ومثله ذكره فرات بسنده عن عمر بن حميد عن أبي جعفر، ورواه الحاكم الحسكاني رقم (٣٩٢).

(١)ـ الأحاديث والأخبار المروية التي تدل على أن علياً ـ عليه السلام ـ أعلم الناس بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أحاديث كثيرة وشهيرة:

فمنها: قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)) رواه الإمام الهادي إلى الحـــق ـ عليه السلام، ورواه الإمام المنصور بالله ـ عليه السلام ـ في الشافي من عشر طرق، عن علـــي - عليه السلام - من ثلاث طرق، وعن جابر بن عبدالله الأنصاري من طريقين، وعن ابن عبـــاس مـــن خمس طرق، الشافي (٢٣٢/٣).

ورواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الاثنينية من طرق كثيرة ـ خ ـ ورواه صاحب المحيط بالإمامة ـ خ ـ ورواه أيضاً الحاكم في المستدرك (١٢٦/٣) وقال: حديث صحيح الإسناد، ورواه أيضـــاً مـــن

وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا(١)﴾

طريق أخرى (١٢٧/٣)، ورواه ابن المغازلي الشافعي من عدة طرق؛ فمن جابر بن عبدالله الأنصاري من طريقين (ص٧١) و(ص٧٢) رقم (١٢٥) وعن علي ــ عليه السلام ــ من طريقين (ص٧٢) رقم (١٢٢) و(ص٧٣) رقم (١٢٦) وعن ابن عباس من ثلاث طرق (ص٧١) رقم (١٢١) و(ص٧٢) رقم (١٢٣) ورقم (١٢٤)، وروى نحوه أيضاً محمد بن سليمان الكوفي المناقب (٥٥٨/٢) رقم (١٠٧١).

* ورواه ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين علي ــ عليه السلام ــ (٤٦٤/٢) رقم (٩٩١) عن علي (٩٩٢) عن ابن عباس، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣٤٨/٤) و(١٧٢/٧) و(٤٨/١١ــ ٤٩) عن ابن عباس، ورواه ابن الأثير في أسد الغابة (٢٢/٤١) عن ابن عباس، ورواه المتقي في كنز العمال (٦١٤/١١) رقم (٣٢٩٧٩) و(١٤٨/١٣) رقم (٣٦٤٦٣) عن ابن عباس.

ورواه الطبراني في الكبير (١١ــ ٦٥ــ ٦٦) رقم (١١٠٦١) عن ابن عباس، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٤/٩) عن ابن عباس، وقال: أخرجه الطبراني، ورواه ابن عدي في الكامل (١٩٥/١) عن جابر بن عبدالله الأنصاري.

ورواه السيوطي في الجامع الصغير (١٦١/١) رقم (٢٧٠٥) عن ابن عباس، ورواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل (٣٣٤/١) رقم (٤٥٩) (٢٧٢/٢) رقم (١٠٠٩) عن علي ــ عليه السلام ــ وغيرهم كثير.

وهناك أحاديث غير هذا لا يمكن استيعاب حصرها في هذا الموضع.

(١)ــ تظافرت الأخبار والروايات أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ دعا علياً ــ عليه السلام ــ وفاطمة والحسن والحسين وجللهم بكساء وقال: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)) حين نزلت هذه الآية، وقد رواها الجم الغفير من أهل البيت ــ عليهم السلام ــ وشيعتهم، ومن المحدثين والمفسرين أيضاً بروايات وطرق كثيرة عن عدة وافرة من الصحابة منهم:

أمير المؤمنين ــ عليه السلام، والحسن السبط، وفاطمة الزهراء، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن جعفر، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأم سلمة ــ رضي الله عنها، وابنها عمر بن أبي سلمة، وعائشة، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وأبو سعيد الخدري، وواثلة بن الأسقع، وأبو

[الأحزاب: ٣٣].

ثم فرض مودتهم فقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣] يقول: أن تودوني في قرابتي[1].

الحمراء مولى رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد رواه الجم الغفير فممن رواه: الإمام أبو طالب في الأمالي (١١٢، ١٣٠)، والإمام المرشد بــالله في الأمالي الخميسية (١٤٨/١) والإمام الناصر الأطروش، وصاحب المحيط بالإمامة علي بن الحسين الزيدي ــ خ، ومحمد بن منصور المرادي، ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب (١٣٢/١ــ ١٤٨ ــــ ١٥٧) رقم (٧٣ــ ٨٣ــ ٩٢) وأيضاً رواه (٢/ ١٣٢ــ ١٥١ــ ١٥٩ــ ١٦١) رقم (٦١٧ــــ ٦٢٧ــــ ٦٣٥ــ ٦٣٨) والحاكم الجشمي في شواهد التنزيل (٢/ من ص١١ الى ص٩٢) (من رقـــم ٦٣٧ الى ٧٧٤) بأكثر من مائة طريق.

ورواه الثعلبي في تفسيره (١٣٩/٣) والحموي صاحب فرائد السمطين (٣٦٧/١)، والترمذي في المناقب (٦٩٠/٥) رقم (٣٨٧١) وقال: حديث حسن، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣٣١/٦) رقم (٢٦٦٠٦) والطبراني في الكبير (٥٣/٣ــ ٥٤) رقم (٢٦٦٦) وفي الأوسط أيضاً (٦١٥/١) رقم (٢٢٦٠) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦٣/٢) رقم (٦٥٠) ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، والطبري في تفسير هذه الآية، والحاكم النيسابوري في كتاب معرفة الصحابة في باب مناقب أهل البيت (١٤٧/٣) والهيثمي في مجمع الزائد (١٦٧/٩) ومسلم في صحيحه، والبخاري في باب الكنى ص٢٥ رقم (٢٠٥). ورواه البزار، وأبو يعلى الموصلي في مسنده، وابن عدي في الكامل (٣٨٦/١)، وغيرهم كثـــير؛ فقـــد رواه الموالف والمخالف وبلغ حد التواتر، بل زاد على حد التواتر، ولله الحمد.

[1]ــ لما نزلت قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ [الشورى: ٢٣] قالوا: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال: ((علي وفاطمة وولداهمـــا)) رواه الجم الغفير.

رواه الإمام المرشد بالله في الخميسية (١٤٨/١) وابن المغازلي الشافعي في المناقب (١٩١) رقم (٣٥٢) ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب (١٣١/١) رقم (٧٢)، ورواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل من ثمان طرق (١٣٠/٢ــ ١٤٦) رقم (٨٢٢ــ ٨٤٣) وذكر له شواهد، ورواه ابن البطريق في العمدة

ثم فرض لهم الخُمُس فيما غَنِم المسلمون من شيء: سهمه تعالى، وسهم رسوله دون المؤمنين، فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾[الأنفال: ٤١].

فعرفنا أن الفضل والخِيْرة لأهل هذا البيت، الذي فضّله الله على جميع البيوت، لأنهم جمعوا السّبق والتّطهير، فينبغي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيرهم، لأنه خير الناس، وأفضلهم عند الله، وينبغي أن يكونوا قادة الناس إلى يوم القيامة؛ لأن الله عز وجلّ يقول: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[يونس: ٣٥]. وقال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ[1]﴾[الرعد: ٧].

من مسند أحمد بن حنبل وتفسير الثعلبي.

ورواه الزمخشري في الكشاف (٢٢٣/٤) حديث رقم (٩٨٨) (دار إحياء التراث)، والطبراني في الكبير، وابن أبي حاتم، وابن كثير في تفسيره (١٣٣/٤) وقال: إسناده ضعيف، فيه مبهم لا يعرف عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر.

قلت: أما حسين الأشقر فذنبه وسبب تضعيفه هو التشيع، ورواية فضائل أهل البيت ــ عليهم السلام، ولعمري لإن كان التشيع سبباً في التضعيف فلا يوجد في الدنيا ثقة، وحسين الأشقر معدود من عدول وثقات الشيعة؛ فلا يقبل قول الخصوم فيه لأنهم يجرحون الشيعي مطلقاً، وتلك شكاة ظاهر عنك عارها، وحسين الأشقر وثقه ابن حبان وعده في الثقات.

(١)ــ لما نزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ(٧)﴾ [الرعد]، قال ــ صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنا المنذر، وعلي الهادي، بك يا علي يهتدي المهتدون)) رواه الطبري في تفسيره في تفسير هذه الآية (١٠٨/١٣) عن ابن عباس، ورواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل عن ابن عباس من سبع طرق (٢٩٣/١ــ ٢٩٧) رقم (٣٩٨ــ ٣٩٩ــ ٤٠٠ــ ٤٠١ــ ٤٠٢ــ ٤٠٣ــ ٤٠٤) ورواه في الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٦٠٨/٤) وقال أخرجه ابن مردويه، وأبو نعيم في المعرفة، والديلمي، وابن عساكر، وابن النجار، والضياء في المختارة، ورواه في كنز العمال عن الديلمي

فلا ينبغي أن يكون الهادي إلا أعلمهم؛ لأن اللّه عزّ وجل اصطفى محمداً صلى اللّه عليه وآله وسلم وطَهَّره وعلَّمه، وجعله القائد المعَلِّم، ومَنْ بَعْده عليٌ عليه السـلام على منهاجه، يحتاج إليه الناس ولا يحتاج إليهم، فإن اللّه عزوجل قد فضلهم علـى الخلق بالهدى والطاعة، وأعلمَ الناسَ عصمتَهم، فلايضلون عن الحق أبداً، والدليل على ذلك ماقد بيّنتُ من قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِـي الْقُرْبَـى﴾ [الشورى: ٢٣]. وقال: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَـبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَـارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُـوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّـهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة: ٢٢].

فلو كانوا ممن يَحَادّ اللّه ورسوله، لم يفرض مودتهم.

وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به.

عن ابن عباس (١٥٧/٦) ورواه في فرائد السمطين في الباب (٢٨) رقم (١٢٣)، ورواه ابن عسـاكر عن ابن عباس أيضاً (٤١٧/٣) رقم (٩٢٣).

ورواه أيضاً الحاكم الحسكاني عن أبي برزة الأسلمي من ثلاث طرق (١/ رقم (٤٠٥ــــ ٤٠٧ــــ ٤٠٨) بألفاظ متقاربة، ورواه في الدر المنثور (٦٠٨/٤) عن أبي برزة عن ابن مردويه، ورواه الحـاكم الحسكاني عن علي ــ عليه السلام ــ من أربع طرق، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١٥/٣) رقم (٩٢١ــ ٩٢٢) رقم (٩١٤) عن علي ــ عليه السلام ــ بلفظ: (رسول الله المنذر وأنا الهادي).

ورواه بهـذا اللفظ الحاكم النيسابوري في المتسدرك (١٢٩/٣) في باب مناقب أمير المؤمنين، وقـال: هذا حديث صحيح الإسناد.

ورواه في كنز العمال (٢٥١/١) وقال: أخرجه ابن أبي حاتم، ورواه الحاكم الحسكاني أيضاً عن أبـي هريرة رقم (٤٠٦) وعن يعلى بن مرة رقم (٤٠٩) وعن زرقاء الكوفية (٤١٥) وعـن مجـاهد رقـم (٤١٦).

لن تضلوا ـــ ولن تذلوا[١] ـــ كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[٢].

(١) ـــ هذه الزيادة غير مشهورة، ولكن الزيادة من الراوي العدل مقبولة.

(٢) ـــ حديث: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي» أخرجه الإمام زيد بن علي (ع) في المجموع (٤٠٤)، والإمام علي بن موسى في الصحيفة (٤٦٤)، والدولابي في الذرية الطاهرة (١٦٦) رقم (٢٢٨)، والبزار (٨٩/٣) رقم (٨٦٤) عن علي.

وأخرجه مسلم (١٧٩/١٥)، والترمذي (٦٢٢/٥) رقم (٣٧٨٨)، وابن خزيمة (٦٢/٤) رقم (٢٣٥٧)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣٦٨/٤ ـــ ٣٦٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (٤١٨/٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦٩/٥) (تهذيبه)، والطبري في ذخائر العقبى (١٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٠/٧)، والطبراني في الكبير (١٦٦/٥) رقم (٤٩٦٩)، والنسائي في الخصائص (١٥٠) رقم (٢٧٦)، والدارمي (٤٣١/٢)، وابن المغازلي الشافعي في المناقب (٢٣٤، ٢٣٦)، ورواه محمد بن سليمان الكوفي في المناقب من طرق كثيرة (١٦٧/٢) وغيرها، وأحمد في المسند (٣٦٧/٤)، وابن الأثير في أسد الغابة (١٢/٢)، والحاكم في المستدرك (١٤٨/٣) وصححه وأقره الذهبي، عن زيد بن أرقم.

وأخرجه عبد بن حميد (١٠٧ ـــ ١٠٨) (المنتخب)، وأحمد (١٨٢/٥) و (١٨٩)، والطبراني في الكبير (١٦٦/٥)، والطبراني أيضاً في الأوسط (٣٢٧/٢، و ٣٦١) رقم (٣٤٣٩) ورقم (٣٥٤٢)، وأورده السيوطي في الجامع الصغير (١٥٧) رقم (٢٦٣١)، ورمز له بالتحسين، وهو في كنز العمال (١٨٦/١) رقم (٩٤٥) وعزاه إلى ابن حميد وابن الأنباري عن زيد بن ثابت.

وأخرجه أبو يعلى في المسند (١٩٧/٢) و (٣٧٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٧٧/٧)، والطبراني في الصغير (١٣٢/١) و (١٣٥) و(٢٢٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦/٩)، وأحمد في المسند (١٧/٣)، (٢٦/٦)، وهو في كنز العمال (١٨٥/١) رقم (٩٤٣)، وعزاه إلى الباوردي، ورقم (٩٤٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن سعد وأبي يعلى، عن أبي سعيد الخدري.

وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤٤٢/٨، وهو في الكنز ١٨٩/١، وعزاه إلى الطبراني في الكبير، عن حذيفة بن أسيد.

وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

فإن قالوا: فإن اللّه قد جعل لليتامى والمساكين وابن السّبيل.

فقولوا: ألا ترون أنَّ اللّه تعالى قد فَرَض الخُمُسَ لنفسه، وفرضه من بعده لرسوله، وإنّما صار لرسوله لفضله عنـد اللّه، ولو كان أحد أفضل منهم لكان أحـق بـه منهم، فَجَرَوْا في ذلك مجرى رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم.

وإنما فرض اللّه لليتامى نصيبهم من الخُمُس لِيُتمهم، فإذا ذهب يُتْمُهُم فلا حَقَّ لهم. وإنما فرض للمساكين نصيبهم من الخمس بَدَلَ مَسْكَنَتِهِمْ ، فإذا ذهبت عنهم المَسْكَنَةُ فلا حق لهم فيه، وإنما فرض لابن السّبيل نصيبهم بدلاً من الغُرْبَة، فإذا بلغوا بلادهـم فلا حق لهم فيه، وكان لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم على كل حال في الغنَى والفقْر، وهو لذوي القربى على كل حال بمنزلة رسول اللّه صلى اللّه عليـه وآلـه وسلم، لأن اللّه عز وجل جعل لهم ذلك لِمَا حَرَّم عليهم من الصّدقة إذ لم يرضهـا لهم.

فكان علي صلى اللّه عليه أحق الناس بالله وبرسوله صلى اللّه عليه وآله وسـلم، وكان إمامهم بعد نبيِّهم.

وأخرجه الترمذي في السنن ٦٢١/٥ رقم (٣٧٨٦)، وذكره في كنز العمـال ١١٧/١ رقـم (٩٥١)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، والخطيب في المتفق والمفترق عن جابر بن عبدالله.

وقد توسع الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي أيده الله تعالى في تخريجه وذكر من رواه من أهل البيت — عليهم السلام — والعامة، ومن رواه من الصحابة في كتابه لوامع الأنوار في الجـزء الأول ص٥١— ٥٢.

[إثبات إمامة الحسن والحسين وذريتهما ـ عليهم السلام ـ]

وأحَقُّ الناس بالناس وأولاهم بهم الحسنُ والحسينُ؛ لأنهما ذرية رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وعَقِبُه، وليس للحسن فضلٌ على الحسين إلاّ درجة الكِبَر، وكان القـــول من رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم فيهما واحداً، فهما ذرية رســـول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، وهما أولى به من سائر الناس، وأولى الناس بعلي، لأن اللّه عز وجل يقول: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِـــي كِتَـــابِ اللَّـــهِ﴾ [الأنفال:٧٥]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ(٣٣)ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٣ ــ٣٤].

وأخبر أنّ آل إبراهيم من الذريّة، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَـــا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦]. وقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَـــةً فِـــي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨]. وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾[الصافات: ٧٧].

فَذُرِّيةُ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وذرية علي أحقُّ بهما وبمـــا تركـــا، وأولى الناس من غيرهم مِنْ سائر أهل البيت، لأنه ليس لأهل البيت حق إلا ولهمـــا مثله، ولهما ماليس لأهل البيتِ من القرابة والحق.

فإن قالوا: من أين علمتم أنهما ابنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم؟

فقولوا: من كتاب اللّه، إن اللّه تبارك وتعالى قال: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾[النساء: ٢٢]، فكان رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم أباهما حرم اللّه عليهما في هذه الآية نساء النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم؛ لأن رســـول اللّـــه أبوهما. وقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، فحرّم اللّه على محمد صلى اللّه عليه وآله وســـلم بناته، فحرم فاطمة وولدها؛ لأن بناتهـــا بناتـــه وابناها ابناه.

وقد أخبر اللّه عز وجل أن محمداً صلى اللّه عليه وآله وسلم أبوهما، وأنهما إبناه

في الكتاب، فقال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، فأخبر عز وجل أن له أبناء؛ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين(١).

وقال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(٨٤)وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[الأنعام:٨٤ ـ ٨٥]، فأخبر اللّه عز وجل أن عيسى بن مريم من ذرية نوح وإبراهيم. والحسن والحسين أقرب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم من عيسى إلى نوح وإبراهيم.

فإن قالوا: إنّ علياً عليه السلام ترك ولداً غيرهما.

فقولوا: إنّ الحسن والحسين أقرب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وإلى علي عليه السلام، وأولى بهما من سائر ولد علي عليه السلام مِنْ قِبَل أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم أبوهما، وهما أقرب إلى علي عليه السلام، مِنْ قِبَل أنّ أمهما ابنة ابن عَمّ علي عليه السلام، ولهما الكِبَر والسّابقة والصُّحبة من النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة، على سائر ولد علي عليه السلام، فهما أولى بالناس مِنْ ولد علي وغيرهم.

فإن قالوا: أيهما أحق؟

فقولوا: الحسن أولاهما بالأمر؛ لأنه ليس شيء للحسين إلاّ للحسن مثله، وللحسن ماليس للحسين من السّبق ودرجة الكِبَر والقِدَم مع رسول اللّه صلى اللّه

(١) - اجمع أهل النقل من المؤرخين والمحدثين من جميع المسلمين أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يخرج في قصة المباهلة لنصارى نجران سوى علي عليه السلام وهو المراد بقوله: ﴿أَنْفُسَنَا﴾، وفاطمة ـ عليها السلام ـ وهي المراد بقوله: ﴿نِسَاءَنَا﴾، والحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ وهما المراد بقوله تعالى: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾، وهي نصّ صريح في المقصود.

عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة عليهم السلام.

فإن قالوا: فمَنْ أولى الناس بعد الحسن؟

فقولوا: الحسين.

فإن قالوا: فَمَنْ أولى الناس بعد الحسين؟

قولوا: آل محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم أولادُهما أفضلهم أعلمهم بـــالدّين، الدّاعي إلى كتاب اللّه، الشّاهر سيفه في سبيل اللّه.

فإن لم يَدْعُ منهم دَاعٍ. فهم أئمّة للمسلمين في أمرهم وحلالهم وحرامهم، أبرارهم وأتقياؤهم.

[الكلام في اختلاف آل محمد(ع)، ووجوب اتباعهم]

فإن قالوا: فما بال آل محمد يختلفون وإنما الأمر والحق واحد فيما تزعمون؟

فقولوا: فإن دَاوُد وسليمان اختلفا ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾[الأنبياء:٧٨] وقد قـال اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، أفيجــوز أن نردَّ قول اللّه عزوجل، فنقول: إن داود حكم بغير الحقّ، أو أخطأ؟

فاختلافنا لكم رحمة، فإذا نحن أجمعنا على أمرٍ لم يكن للناس أن يَعْدوه.

قال محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم في الناس رجلان: رجل عالمٌ بما تحتاج إليــه الأمة من دينها، دَعَا إلى كتاب اللّه وسُنّة نبيّه، ومجاهدة من استحلَّ حرام اللّه، وحرّم حلاله، فعلى الناس نُصرتُه، وموازرته، والجهادُ معه، حتى تفيء الباغية إلى اللّـــه، أو تلحق روحُه وأرواحهم بالجنّة، قال اللّه عز وجل:﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُــمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣].

وقال: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

ورجل بضعةٌ من رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، استنصر من مظلمة فقُتِل،

أو حُبِس ، أو ضُرِب، أو استحلّت حرمته، فعلى الأمة إجابته ونصرته وموازرتّه حتى يمنعوه أو تفنى رُوحُه وأرواحهم، فيكونُ كمَنْ نصر رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في حياته ووفاته، ونَصْرُ أهلِ بيته بعد وفاته كنُصرته، فإنه صلى اللّه عليه وآله وسلم قد أخذ عليهم أن يمنعوه وذريّته من بعده مما يمنعون منه أنفسهم وذَرَاريهم[١].

فأهل هذا البيت البقيةُ بعد الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم والدُّعاة إلى اللّه؛ لأنه قد جعلهم مع نبيه صلى اللّه عليه وآله وسلم في السَّبق والتطهير والعلم، وأنهم الدعاة إلى اللّه بعد رسوله، قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وإنما أمر اللّه عز وجل بمسألتهم، لأن عندهم مايُسألون عنه.

فجعل اللّه عزَّ وجل عند محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم علم القرآن، وجعله ذكراً له، وجعل اللّه علمَه عند أهل بيته، وجَعَلَه ذكراً لهم، فمحمد وآل محمد هم أهل الذكر، وهم المسؤولون المبينون للناس، قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٤٤].

وأخبر اللّه عز وجل أن أهله سيسألون من بعده؛ فقال: ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾

(١) - إشارة إلى حديث المبايعة الذي رواه الإمام زيد بن علي عليه السلام عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (كنت أبايع لرسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ على السمع والطاعة في العسر واليسر، فلما ظهر الإسلام وكثر أهله، قال: ((يا علي، الحق فيها: وعلى أن تمنعوا رسول الله وذريته من بعده مما منعتم منه أنفسكم وذراريكم)) قال علي عليه السلام: فوضعتها والله على رقاب القوم وفى بها من وفى، وهلك بها من هلك).

أخرجه: الإمام زيد في المسند (٤٠٣)، والإمام أبي طالب في الأمالي (ص١٢٦)، والحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين عن الأمالي (٨١)، والطبراني في الأوسط عن جعفر بن محمد بسنده عن آبائه (٤٧٣/١) رقم (١٧٤٥).

[الزخرف: ٤٤]، فجعل عندهم علم القرآن، وأمر الناس بمسألتهم.

وقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، والذكر: هو القرآن.

وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: ٤٤]، ولم يأمر المسلمين أن يسألوا اليهود والنصارى، وكيف يأمر الله أن نسأل اليهودَ والنصارى؟ أوينبغي لنا أن نصدِّقهم إذا قالوا؟ لأنا إذا سألناهم جعلوا اليهودية والنّصرانية خيراً من الإسلام، فلم يكن الله ليأمرنا بمسألتهم ثم ينهانا عن تَصديقهم، إنّما أمرنا أن نسأل الذين يعلمون، ثم أمرنا أن نُصدقهم ونطيعهم، فمَنْ كَذَّب آل محمد في شيء وضللهم فإنما يكذِّب الله، لأن اللّه قد اصطفاهم وأذهب عنهم الرِّجس، وطهّرهم تطهيراً.

[تم بحمد الله كتاب تثبيت الوصية]

كتاب الجواب على المجـــبرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام زيد بن علي:

المستفتحُ بالله تعالى مُهتد، والمعتصم بربّه مقتد، والمتوكل عليه مُوَفَّـــقٌ، والآخـــذ بدلائله مُصَدّقٌ، فمن زَاغَ عن البيان رَدِيَ، ومن أنكر بَعْدَ المعرفة غَـــوِيَ، ومـــن اضْطَرَبَ في دِينِه شَقِيَ.

وصلى الله على محمد عبده ورسوله، بعثه الله عز وجل عن زوال الدنيا مُخَـــبِّراً، وعن غُرُورِها مُحَذِّراً زاجراً، وبفراقها مخبراً، وعن المُنْكر ناهياً، وبالعدل والتوحيـــد مُنَادياً، وللجَبْر والتَّشبيه نافياً، وإلى ثَوَابِ الله سبحانه داعياً، فبلَّغ صلى الله عليه وآله وســـلم عن ربِّه سماعاً، ولمن أجابه انتفاعاً، فليس بَعْدَه نبيٌّ مبعوثٌ، ولا دِينٌ بعـــدَ دينه موروث، جعل الله سبحانه دِينَه للناظرين سراجاً وهَّاجاً، وسَهَّل إليـــه لِكُـــلٍّ سبيلاً ومِنْهَاجاً.

أما بعد..

فإن الله سبحانه خلق الخلق لعبادته، وأمرهم بطاعته، ونهـــاهم عـــن معصيتـــه، ودعـــاهم برحمته إلى جنَّته، واحتَجَّ عليهم فأبلغ إعْذَاراً وإنْـــذَاراً. وَعْـــدُه الرحمـــة، وَوَعِيْدُه النِّقْمَة، لا يُخْلِفُ وَعْدَه، ولا يُكَذِّبُ رُسُلَهُ، ولا يُبْطِلُ حُجَجَه، ولا تَبْدُو له البَدَايا[1].

(١) - بدا الشيء إذا ظهر، بمعنى أن يبدو له شيء كان غافلاً عنه، والله متنزه عن هذه الصفة المنبعة عن الجهل.

[بعض أقوال المجبرة]

سبحانه وتعالى عما تَقُولُ المُجْبِرةُ والمشبِّهةُ علواً كبيراً. إذ زعموا أن الله سبحانه وتعالى خَلَقَ الكُفْرَ بنفسه، والجحودَ والفريَّةَ عليه، وأن يَدَهُ مَغْلولة، وأنه فقير، وأنه سفيه، وأنه أفْكَ العباد، ثم قال: ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[المنافقون: ٤]، وصرفهم وقال: ﴿أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾[غافر: ٦٩]، وقال: ﴿سَابِقُوا﴾[الحديد: ٢١]، و لم يعطهم آلةً للسِّباق، وأنه خلقهم أشقياء، ثم بعث إليهم رسولاً يدعوهم إلى السَّعادة، وأنه أجبرهم على المعاصي إجباراً، ثم دعاهم إلى الطاعة و لم يُخَلِّ سبيلهم إليها، ثم غَضِبَ عليهم وعاقبهم بِغَرَقٍ وحَرْقٍ واصْطِلام بِقَوارِع النِّقَم(١)، وجعل موعدهم جَهَنَّم. وأنه جاء بالإدِّ(٢) فأدخله في قلوب الكافرين، ثم قال: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا(٨٩)تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[مريم: ٨٩، ٩٠] سخطاً منه لخِلْقَةِ فطرها.

وأنه لم يجعل للقلوب استطاعة لدفع ما دَهَمَها وحَلَّ بها، إذْ أجبرها عليه، وجَبَلَها له(٣)، فنسبوا إلى الله تبارك وتعالى المَذَمَّات، ونفوها عن أنفسهم من جميع الجهات، فقالوا: منه جَميْعُ تَقَلُّبنَا في الحركات، التي هي: المعاصي، والطاعات، وإنه محاسبنا يوم القيامة على أفعاله التي فعلها، إذْ خَلَقَ: الكفر، والزِّنا، والسَّرقة، والشِّرك، والقتل، والظلم، والجور، والسَّفَه. ولولا أنه خَلَقَها — زعموا — ثم أجْبَرَنا عليها، ما قَدَرْنا على أن نَكْفُرَ، وأن نُشْرِكَ، أو نُكَذِّب أنبياءه، أو نجحد بآياته، أو نقتل أولياءه، أو رُسُلَه، فلما خَلَقَهَا وجَبَرَنا عليها، وقَدَّرها لنا، لم نخرج من قضائه وقَدَرِه، فَغَضِبَ علينا، وعذَّبنا بالنار طول الأبد.

---

(١) — الإصطلام: الإستئصال واصْطُلِمَ القوم: أُبيدُوا، والقارعة: الداهية العظيمة.

(٢) — الإد: الأمر العظيم.

(٣) — جبله على الشيء: طبعه وجبره، تمت قاموس.

[الرد عليهم وتكذيبهم]

كلا وباعث المرسلين، ماهذه صِفَةُ أحكم الحاكمين، بل خلقهم مُكلّفين مستطيعين مَخْجُوجين[1] مأمورين منهيين، أمرنا بالخير ولم يمنع منه، ونهى عن الشر ولم يُغْرِ[2] عليه، وهداهم النجدين ــ سبيل الخير والشر، ثم قال: ﴿اعْمَلُوا﴾، فكلٌ مُيسَّر لما خُلِقَ له مِنْ عَمَلِ الطاعة، وترك المعصية، وقال تعالى: ﴿خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ(١٩)ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾[عبس: ٢٠ــ ٢١]، وقال تعالى:﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(٣٨)فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى(٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى(٤٠)فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[النازعات: ٣٧ــ ٤١]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(٥)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(٧)وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(٨)وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(٩)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[الليل: ٥ ــ ١٠]، وقال تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى(١٥)الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى(١٦)وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى(١٧)الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٥ــ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾[الزخرف: ٧٦]، و﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[المائدة: ٧٩]، و﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الواقعة: ٢٤]، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾[التوبة: ١١٥]، فنفت المجبرة والمشبهة عن أنفسهم جميع المَذَمّات، والظلم، والجور، والسَّفَه، ونسبوها إلى الله عزوجل من جميع الجهات.

فقالوا: خلقنا الله أشقياء، ثم عَذَّبنا بالنار، ولم يظلمنا. فأي استهزاء أعظم من هذا، وأي ظلم أوضح، أو جور أبيَن مما وصفوا به الله عزوجل؟!

---

(١) ــ بمعنى خلق فيهم ما هو حجة عليهم وهو العقل لأنه أعظم الحجج، وأكّده ببعثة الرسول، وإنزال القرآن.

(٢)ــ الإغراء: التولعة، أغرى بينهم العداوة: ألقاها، كأنه ألزقها بهم. تمت قاموس معنى.

كلا ومالك يوم الدين ما هذه صفة أرحم الراحمين، من يأمر بالعدل والإحسان، وينهى عن الفحشاء والمنكر، كما قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦] و[وسعها هو[١]]: طاقتها. بل كلفهم أقل مما يطيقون، وأعطاهم أكثر مما يَستأهلون[٢]، لم يلتمس بذلك منهم علّة[٣]، و لم يغتنم منهم زلّة، و لم يخالف قضاءه بقضائه، ولا قَدَرَه بقدره، ولا حكمَهُ بحكمه، تعالى عما تقول المجبرة والمشبهة علواً كبيراً، إذ شبّهوا اللّه سبحانه بالجنّ والإنس؛ لأن الظلم، والجهل، والفسوق، والفجور، والكفر، والسَّفَه لا تكون إلا من الجنّ والإنس.

ثم مع ما قالوا على اللّه عزوجل من الإفك والزُّور، أزْرَوْهُ[٤] بالعداوة، في أوليائه ــ القائلين بعدله وتوحيده، الموقنين بوعده ووعيده، المُوفِيْنَ بعهده الذي عاهدهم عليه، المستمسكين بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ــ فنسبوهم إلى الكفر، ورموهم بفرْيَة الأباطيل، وما أحسن أثر أولياء اللّه تبارك وتعالى على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، إنهم منهم لفي جَهْد شديد؛ إن سكتوا عنهم قالوا: ناقمين، وإن ناظروهم، قالوا: مخالفين، وإنْ خالفوهم قالوا: كافرين.

فذلك صفتهم في الأولين والآخرين، فـ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ

(١)ــ ما بين القوسين زيادة تفسير.

(٢) ــ يستأهلون: يستوجبون، قال صاحب القاموس: استأهله: استوجبه، لغة جيدة، وقال في الحاشية: صرح الأزهري والزمخشري وغيرهما من أئمة التحقيق بجودة هذه اللغة، وتبعهم الصاغاني. تمت.

(٣) ــ العلة هنا بمعنى الحاجة، ومنه قوله الشاعر:

وكنت إذا ما جئت جئت بعلة فأفنيت علاتي فكيف أقول

(٤) ــ زري عليه: عابه وعاتبه. تمت قاموس.

سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾[الأعراف: ١٤٦].

وقال جل ذكره: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[النمل: ١٤].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد الأمين، وعلى من تقدمه من المرسلين، وعلى من بعده من الأئمة المهتدين، والعاقبة للمتقين، ولتعلمن نبأه بعد حين.

[تم بحمد الله الجواب على المجبرة]

كتاب الصفوة

بسم الله الرحمن الرحيم

[سند الكتاب]

[قال الحافظ أبو عبد الله العلوي]:حدثنا أبو الطيب علي بن محمد بن مخلد الكوفي قال: حدثنا إسماعيل بن يزيد العطار، قال: حدثنا حسين بن نصر بن مزاحم المنقري، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري، قال: حدثني أبي حماد بن يعلا الثمالي، عن أبي الزناد[الموج بن علي الكوفي]، من أصحاب زيد بن علي، عن زيد بن علي عليه السلام في كتاب الصفوة.

[مقدمة في بيان اختلاف الأمة]

أما بعد:

فإني أوصيك بتقوى الله الذي خلقك ورزقك، وهو يميتك ويحييك، فهذه نعم الله التي عمّت الناس، فهي على كل عبد منهم، فأحقُّ ما نظر فيه المرء المسلم وتعاهد من نفسه* أمر آخرته ودينه الذي خُلِقَ له، وليس كل من وجب حق الله عليه يهتم بذلك من أمر آخرته، وإن كان يسعى لدنياه بصيراً بما يصلحها به، ويصلحه منها، فإن الله جل ثناؤه قال لقوم لا يعلمون:[1] ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[الروم: ٧].

فنعوذ بالله العظيم أن يُغْفِلَنا عن أمر آخرتنا شغلٌ من أمر دنيانا، فإن شغلهما ليس بواحد، قال الله جل ثناؤه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ

[1] في نسخة بدون لا

نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَــهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا(١٨)وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[الإسراء: ١٨ ــ ١٩].

وقد رأيتَ ما وقع الناس فيه من الإختلاف، تبرأوا من بعضهم، وتأولوا القــــرآن برأيهم على أهوائهم، واعتقدت(٢) كل فرقة منهم هوى، ثم تولوا عليه، وتأولوا القرآن على رأيهم ذلك، بخلاف ما تأوله عليه غيرهم، ثم برئ بعضهم من بعض، وكلّهـــم يزعم فيما يُزيّنُ لــه أنه على هدى في رأيه وتأوله، وأن مَنْ خالفه على ضلالـــة أو كفر أو شرك، لابُدّ لكل أهل هوى منهم أن يقولوا بعض ذلك.

وكل أهل هوى من أهل هذه القبلة يزعمون أنهم أولى الناس بالنبي صلى اللّه عليه وآله، وأعلمهم بالكتاب الذي جاء به، وأنهم أحق الناس بكل آية ذكر اللّــه فيهـا صَفْوَةً أو حَبْوَةً(١) أو هدى لأمة محمد صلى اللّه عليه وآله، وكلهم يزعـــم أن مــن خالفهم ــ في رأيهـــم وتأويلهم ــ من أهل بيت نبيهم برؤا منه، وأن أهل بيـــت نبيهم صلى اللّه عليه وآله لن يهتدوا إلا بمتابعتهم إياهم.

وقد عرفت أن أهل تلك الأهواء يُعرَفون وإن لم نسمهم بأسمائهم التي يُسَـــمَّوْن بها، وإن لم أصف قولهم الذي يقولون به، فكيف يستقيم لرجل فَقُـــهَ في الديــن أن يسمي هؤلاء كلهم مؤمنين، وهم يتبرأ بعضهم من بعض، ويقتل بعضهم بعضاً أمـــة(ب) واحدة على هدى وصواب.

فإن قلت: هم أمة محمد صلى اللّه عليه وأهل بيته وسلم؛ لأنهم كانوا مجتمعين في عهده، كما أمرهم اللّه عز وجل.

قلنا: نعم، فلما تفرقوا كما تفرق من كان قبلهم وقد نهوا عن التفرق صاروا أمماً كما كان من قبلهم حين تفرقوا بعد أن كانوا أمة واحدة، قال اللّه تبارك وتعـــالى:

---

(١) ــ الحبوة: العطية من غير عوض.

(٢) في نسخة اعتقدت

(ب) في أ وسخة (إذاً)

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وليس الإخوان في الدين بالذين يتبرأ بعضهم من بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: ١٠٥].

وقد بيّن الله لكم أمر من كان قبلَ أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بني إسرائيل كانوا أمّة في عهد موسى صلى الله عليه، فلمّا تفرّقوا سمّاهم الله أمَماً، فقال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الأعراف: ١٦٨]. بُلُوا لأنهم تفرقوا بعد موسى، يزعُمون كلُّهم أنهم متّبعون لموسى مصدقون بالتّوراة ويَستقبلون قبْلَة واحدة ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾[آل عمران: ١١٣] فَسمّاهم الله أهلَ الكتاب، ثم سمى أهلَ الحقّ منهم أمةً قائمة، ثم وصَفَها، فقال: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ(١١٣)يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[آل عمران: ١١٣ ــ ١١٤].

فكُل فرقة من أهل هذه القبْلة نصبوا أدياناً يتأوّلون عليها ويتبرأون ممن خالفهم، فهم أمّةٌ على هُدًى كانوا أم على ضَلالة، قال الله جَلَّ جلاله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[النحل: ١٢٠]. فسمّاه الله حين كان على دين لم يكن عليه أحدٌ غيره: أمّةً. قال الله جل ثناؤه لقوم اتّبعوا ضلالة آبائهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[الزخرف: ٢٣].

وكذلك تفرّقت هذه الأمَّةُ بَعْدَ نبيها صلى الله عليه وآله وسلم، أمَماً، كما

تفرّقت بنو إسرائيل بعـــد مُوسى أمماً، وقد قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَـــى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[الأعراف: ١٥٩].

فلم يُخْرِج الله منهم الحقَ كلهم بَعْدَ أنْ جَعَلَه فيهم، ثم لم يُسمِّهم حين تفرقـــوا: (أمّةً واحدة) فكذلك قال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِـــالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[الأعراف: ١٨١]، وقال:﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَـــى الْخَـــيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَـــنِ الْمُنْكَـــرِ وَأُولَئِـــكَ هُـــمُ الْمُفْلِحُـــونَ﴾[آل عمران:١٠٤]، فإن استَطَعْتَ أن تَلْتَمِسَ تلك الأمةَ من أمة محمّد صلى الله عليه وآله إذا تَفَرَّقت فَافْعَل ، فوالله مـــا هي إلا التي استقامت على الأمر الذي تركها عليـــه نبيُّها صلى الله عليه وآله وسلم.

[إنكار التفضيل سبب الاختلاف]

واعلم أنّما أصاب الناسَ من الفتَن والاختلاف، وشُبِّهت[1] عليهم الأمور إلا من قِبَل ما أذكر لك ، فأحسن النَّظر في كتابي هذا، واعلم أنك لن تستشفيَ بأوّل قولي حتى تَبْلغ آخره إن شاء الله.

وذلك أنّهم لم يروا لأهل بَيْت نبيِّهم صلى الله عليه فضلاً عليهم ـــ يَعْتَرفون لهم به ـــ في قرَابَتِهم مـــن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا علماً بالكتاب ينتهـــون إلى شيء من قولهم فيه، فلما جاز لهم إنكار فضلهم، جاز ذلك لبعضهم على بعض.

وَسُمِّيَ كلُّ من استقبل القبلة وقرأ القرآن ـــ من مؤمن أو مُنافق، أو أعْرَابـــيّ أو مهَاجر، أو أعجمي أو عربي ـــ مـــن أمة محمد صلى الله عليه وعلى أهـــل بيتـــه وسلم، وجاز لهم ـــ فيما بينهم إذْ لم يروا لأهل بَيْت نبيهم فضلاً عليهم ـــ أن يتأولَ كلُّ مَنْ قرأ القرآن) برأيه، ثمّ يقول هو ومن تابعه على رأيه: نحن أعلم الناس بالقرآن

(١) - شبهت: أشكلت واختلطت.

وأهداهم فيه. فخالفهم ضرباؤهم — من الناس في رأيهم وتأولهم — وأكفاؤهم في السنة، وقد قرأوا القرآن مثل قراءتهم، وأقروا من تصديق النبي صلى الله عليه وآله بمثل ما أقروا به، فمن هنالك اختلفوا ولا يرجع بعضهم إلى بعض، فانظر فيما أصف لك.

[سبيل النجاة عند الإختلاف]

فلعمري إنا لنعلم أن أعلم الناس أعلمهم بالقرآن، وأن أهدى الناس لَمَن عمل به المتّبع لما فيه، ولقد قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء: ٩].

ولكن انظر — إذا تفرق الناس وكلهم يُقِرُّ بالكتاب وبالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبعضهم ينتحل الهدى دون بعض — هل في كتاب الله عز وجل تفضيل لبعض أهل هذه القبلة على بعض؟ ينبغي أن تعرف أهل ذلك التفضيل في كتاب الله جل ثناؤه، وتُفَضِّلهم بما فضلهم الله عز وجل، وتكون بهم مقتدياً.

فإن أحببت أن تعلم ذلك إن شاء الله فانظر في القرآن هل بعث الله نبياً إلا سمى له أهلاً؟ وهل أنزل كتاباً إلا وقد سمى لذلك الكتاب أهلاً في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم. ثم قَصَّ عليكم أعمال من نجا منهم، وأعمال من هلك منهم، وأخبركم مَنْ كان أهلَ صفوته من الأمم الذين نجوا مع أنبيائهم، ومن كان في بقية أهل الحق بعد الأنبياء عليهم السلام.

فإن وجدتَ في الكتاب أن أهل الأنبياء ومن اتبعهم نجوا مع أنبيائهم، وأن بقية الحق من الأمم كانوا ذرية الأنبياء؛ فاعلم أن هذه الأمة لن تنجوَ إلا بمثل ما نجا به مَنْ كان قبلهم، حين اختلفوا في دينهم، وقتل بعضهم بعضاً على دينهم.

ثم انظر هل تجد لنبيكم أهلاً وذُرِّيَّة سماهم الله في كتابه كما سماهم للأنبياء قبله؟

وهل كان أهل الأنبياء وذرياتهم نجوا هم ومن اتبعهم، أو هلكوا ونجا غيرهم؟ فإن وجدتهم هم أهل النجاة مع الأنبياء، وهم بقية معادن الحق بعدهم، فاعلم أن هذه الأمة لا تنجو إلا بمثل ما نجا به الأمم من قبلهم.

وإنا لنرجو من الله جل ثناؤه أن يجعل لنا من الفضل بقرابته صلى الله عليه وآله وسلم، على أهل الأنبياء كفضل ما جعل الله لنبينا صلى الله عليه وآله عليهم؛ لأن الله قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ﴾[آل عمران: ١١٠]، ولعلك إن شاء الله تعرف في آخر ما في هذا تفسير ما أجملت لك في أوله وتعرف بذلك من الكتاب ما يهدي ولا قوة إلا بالله.

[التفضيل اختيار من الله تعالى]

فمن زعم أن أهل هذه القبلة كلهم أهل صفوة وحبوة وخيرة ليس بينهم تفاضل، فإنا لا نقول ذلك، لأنه ليس كل من اتبع الأنبياء سماهم الله أهل صفوة وحبوة وخيرة، وقد سمى الله جل ثناؤه أهل صفوة وحبوة وخيرة فقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ﴾[القصص: ٦٨] وليس كل من خلق الله خيرة ولكن يختار منهم من يشاء، فقال: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[القصص: ٦٨]، وقال: ﴿قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[النمل: ٥٩]، فليس كل العباد اصطفى الله، ولكن الله يصطفي منهم من يشاء وقال عز وجل: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. وإنما فضلت نعم الله بين الناس عن غير حول أحد منهم ولا قوة، إلا مناً من الله ونعمة، وفضلاً يختص به من يشاء.

فكنا أهل البيت ممن اختصه الله بنعمته وفضله، حين بعث منّا نبيه صلى الله عليه

وآله وأنزل عليه كتابه، وقد عَرَفْتَ أن الكتاب يتأوله جهال من الناس يزعمون أنـــه ليس لأهل هذه القبلة فضل، يَفْضُل به على بعض، من ذلك قول اللّه عـــز وجـــل: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَـــارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات: ١٣]، فصدق اللّه وبلّـــغ رسوله، وفي هذه الآية حجة لآل محمد صلى اللّه عليه وآله وبيان فضلهم على الناس.

ما فضل نبينا نفسه ولكن اللّه فضله، وجعل لذريته وقومه الفضل به على الناس، كما جعـــل ذلك لمن كان قبله من الأنبياء، وجعل أكرم كلّ قبيلة وشـــعوب مـــن الناس أتقاهم، كما قال اللّه جل ثناؤه.

[إثبات التفضيل]

وقد فضل اللّه القبائل بعضها على بعض، فجعل التفاضل بين الأنبياء وسائر الناس فقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[الإسراء: ٥٥]، وقال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُـــمْ دَرَجَـــاتٍ﴾[البقـــرة: ٢٥٣]، وقـــال: ﴿وَلَلْـــآخِرَةُ أَكْـــبَرُ دَرَجَـــاتٍ وَأَكْـــبَرُ تَفْضِيلًا﴾[الإسراء: ٢١]، وقال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُـــمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[الزخرف: ٣٢]، وقال: ﴿وَمِـــنْ آيَاتِـــهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[الروم: ٢٢]، فإذا اختلف شيء من خلق اللّه تفاضل، فللرجل الفارسي على الرجل الزنجي فضل ـــ وإن أسلما جميعاً ـــ في نسبهما وألـــوانهما بمعرفة الناس، وللسان العرب فضل علـــى لســـان العجم يعرفه الناس ، لأنه لا يـــدخل في هذا الدين أحد من قبائل العجم إلا تـــرك لسان قومه وتكلم بلسان العرب.

هذا لتعرف إن شاء اللّه أن اللّه قد فضل القبائل بعضها على بعض في ألوانها وألسنتها، وتسخير اللّه بعضها لبعض.

ثم جعل اللّه جل ثناؤه ـــ أفضل القبائل حين فضل بينها في النعم ـــ جعل لبني إسرائيل ـــ وهم قبيلة وبنو أب ـــ فضلاً على قبائل بني آدم في زمانهم الذي كانوا فيه، فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[الجاثية: ١٦]، وقال موسى عليه السلام لقومه: ﴿يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[المائدة: ٢٠]، فكانت بنو إسرائيل وهم قبيلة واحدة. وبنو أب مفضلين على قبائل بني آدم في الزمن الذي كانوا فيه، بنعمة اللّه عليهم إذ جعل فيهم أنبياء وجعلهم ملوكاً أهل كتاب، وأكرمُ بني إسرائيل أتقاهم، كما قال اللّه تعالى.

وإنما فَسَّرت لك تأول الناس هذه الآية لتعلم أن اللّه جعل لذرية محمد صلى اللّه ولقومه الفضل به، حين بعث اللّه منها النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وأنزل الكتاب عليه، وأكرمهم عند اللّه أتقاهم كما قال اللّه عز وجل. وقال لهم: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[البقرة: ٢١٣].

فكان الناس في الخلق حين خلق اللّه السموات والأرض وما ذرأ فيهما أمة من خلقه ، قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[الأنعام:٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَاللّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى

بطنه وَمِنهُم مَن يَمشي عَلَى رِجلَين وَمِنهُم مَن يَمشي عَلَى أَربَع يَخلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور: ٤٥]، وكل شيء فيه روح ــ نظر الناس إليه مما في البر ــ فإنما هو دابة أو طائر، فما تحرك وطار فهو الطائر، وما تحرك ولم يطر فهو دابة، وليس أمة من الدواب تمشي على رجلين غير الناس، قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين: ٤]، ثم قال: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(٦)الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[الانفطار: ٦ ــ ٧]فحقومه على رجلين، ثم قال: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار: ٨].

وكان فيما بيّن الله لكم أنه مسخ أناساً فجعلهم في صور الناس فجعلهم قردة وخنازير، فتبارك الله رب العالمين.

وسائر الدواب تمشي ــ كما قال الله تبارك اسمه ــ على بطونها وعلى أربع وعلى أكثر من ذلك، يخلق الله ما يشاء، ما تعلمون وما لاتعلمون، وليس هنا بهذا، ولكنها أسماء مختلفة، وخلق يعرف بعضه بغير بعض، والدواب كلها كذلك، ليس الإبل بالبقر ولا الغنم بالحمير ولا البغال بالخيل، فهي أمم كما قال الله عز وجل، وغيرها من الأمم الدواب والسباع كذلك.

فكان الناس في الخلق أمة من هذه الأمم فضّلهم الله على غيرهم من خلقه، وسخر لهم ما شاء من خلقه فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الإسراء: ٧٠]، فجعلهم الله يركبون ظهوراً مما خلق ويشربون من ألبانها ويأكلون لحمها، وقال : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾[الجاثية: ١٣]، فهذه نعمة وفضيلة[1] جعل الله السماء سقفاً محفوظاً، وسخر لكم ما فيها، وجعل فيها منافع لكم والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والمطر، وجعل الأرض فراشاً، وجعل فيها منافع لكم وأنهارها وأشجارها وفجاجها وسبلها وأكنانها.

(١) قوله نعمة وفضيلة نخ

[اصطفاء الله لأنبيائه وبقاء الحق في ذراريهم]

ثم افترض عليكم عبادته وعرّفكم نعمته وبعث إليكم أنبيائه وأنزل عليكم كتابه، فيه أمره ونهيه، وما وعدكم عليه من الجنّة من طاعته، وما حذّركم عليه من النار في معصيته، فقال: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال: ٤٢]، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[التوبة: ١١٥].

وكان مما بيّن الله لكم أن جعل الأنبياء بعضهم ذريةً لبعض، واصطفاهم بذلك على الناس وأكرمهم واختارهم واجتباهم إليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ(٣٣)ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران: ٣٣ ــ ٣٤]، ثم قال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورى: ١٣].

شرَعَ لنبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ما شرَعَ لهم، وأوصاكم بما أوصاهم، ونهاكم عن التفرّق كما نهاهم.

فبعث الله نوحاً وبينه وبين آدم من القرون ما شاء الله على دين آدم، واصطفاه كما اصطفى آدم، ثم مَنَّ الله على نوح فنجاه وأهله إلا مَنْ خالَفَه، ونجا من اتبعه من المؤمنين ، وليس كلُّ من كان مع نوح في السفينة أهلَه، فقال: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود: ٤٠].

ثم مَنَّ على نوح وأكرمه أن جعل ذُرِّيَّتَهُ هم الباقين، وليس كل الباقين ذرية نوح، ثم قال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾[الإسراء: ٣]، ثم قال: ﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ

أليم﴾[هود: ٤٨]، فجعل أهل بقية الحق والبركات في الأمم ـــ التي يعتصم بها الناس بعد نوح ـــ من ذريته، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٦] وقال لإبراهيم عليه السلام: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾[هود: ٧٣]. فهذه البركة التي جعلها الله في ذريتهما.

وإنما أنبأكم الله جل ثناؤه بأنه جعل الكتاب حيث جَعَلَ النُّبوة، فقال لنبيكم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[الرعد: ٤٣].

فليس كتابٌ إلا وله أهلٌ هم أعلم الناس به، ضل منهم من ضل واهتدى من اهتدى.

ثم بعث الله تبارك وتعالى إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم، وبينه وبين نوح صلى الله عليه ماشاء الله من القرون، فجعل الله بقية الحق في ذريته وشيعته، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ(٧٥)وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات : ٧٥ - ٧٦]، ثم قال : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾[الصافات:٨٣]، ثم اصطفاه الله كما اصطفى نوحاً.

ثم أكرم الله إبراهيم إذا جعل بقية الحق في أهله فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ(٢٦)إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ(٢٧)وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف: ٢٦ ــ ٢٨]، والعقبُ: الذرية، فقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف: ٢٨]، فلم يرجع أحد من الأمم إلى الحق بعد إبراهيم صلى الله عليه ـــ حين ضلوا بعد أنبيائهم ـــ إلا بذرية إبراهيم، هي كلمة الحق التي جعلها الله باقية في عقبة.

وقال لنبيكم: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ

اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[الفتح: ٢٦] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ(٢٤)تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ(٢٦)يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[إبراهيم: ٢٤ ــ ٢٧]، وقال عز وجل: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾[الفتح: ٢٩]، فقد ضرب اللّه لكم الأمثال في التوراة والإنجيل وفي كتابكم، فكانت ذرية إبراهيم إسماعيل وإسحاق.

فأما بنو إسحاق فقد قص اللّه عليكم نبأهم لتتعظوا بذكرهم، وهما هاتان الطائفتان[1] اللتان ذكر اللّه في الكتاب فقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥)أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾[الأنعام: ١٥٥ ــ ١٥٦].

فأما بنو إسماعيل فهم أميون لم يكن لهم كتابٌ، ولم يُبْعَثْ فيهم غيرُ محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، فبعثه اللّه على ملة إبراهيم صلى اللّه عليه ونَسَبَهُ إلى إبراهيم وجعله أولى الناس به حين بعثه، وبينه وبين إبراهيم ما شاء اللّه من القرون، فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]. جعله اللّه تبارك وتعالى خاتم النبيين وأرسله إلى الناس كافة، فليس كل من آمن بمحمد صلى اللّه عليه وآله وسلم من بني إسماعيل، كما ليس كل من اتبع موسى وعيسى عليهما السلام من بني إسحاق صلى اللّه عليه.

---

(١) ــ يعني بالطائفتين: اليهود والنصارى.

وإنما وصَفْتُ لك هذا لتعرف أنه لا يستقيم لمن خالف آل محمد صلى اللّه عليه وعلى أهل بيته وسلم من أهل هذه القبلة أن يقول: نحن أهل صفوة اللّه ـــ حين ذكرها في الكتاب ـــ دون آل محمد صلى اللّه عليه وعلى أهل بيته وسلم، ولابد لهم إن خالفوا آل محمد صلى اللّه عليه وعلى أهل بيته وسلم أن يكونوا أهل هذه الآية ـــ التي ذكرها الله فتنال الصفوة ـــ دون آل محمد، أو يكون آل محمد أهلها دونهم.

فافهم ما ذكرت لك فإن اللّه تبارك وتعالى قال لنبيه صلى اللّه عليه وعلى أهل بيته وسلم: ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾[الأنبياء: ٢٤].

فواللّه إن دين اللّه لَدينُه الذي بعث به النبي صلى اللّه عليه وعلى أهل بيته وسلم، وكان المسلمون عليه بعد نبيهم صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم قبل تَفَرُّقهم، فماذا شُبِّه عليكم أيها الناس؟ فواللّه إن الحلال لَحلالٌ إلى يوم القيامة، وإن الحرام لحرام إلى يوم القيامة، وإن فريضته لواحدة، وإن حدوده لواحدة، وإن أحكامه فيه لواحدة، وقد قال اللّه عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[المائدة: ٢]، وإن معصية النبي صلى اللّه عليه ميتاً كمعصيته حياً.

قال اللّه تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[هود: ١١٦]، وما أهل بيت نبيكم بالمترفين فالله المستعان.

فانظروا من بقية أهل الحق من القرون، فإن[1] اللّه تبارك وتعالى قال لنوح صلى اللّه عليه وسلم: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾[الصافات: ٧٧]. وقال لبني إسرائيل:

(١) ـــ في (ط): وأن.

﴿وبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾[البقرة: ٢٤٨].

فالتمسوا الفضل من قريش حيث جعله الله، فبقية الحق منهم، فإن الله جل ثناؤه يقول: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[الأنعام: ١٢٤]، فإن كان الله وهب نبينا وجعله خاتم النبيين، فإن فيكم أهله وذُرِّيَّتَهُ معتصمين بكتاب الله.

وقد وعد الله المؤمنين والرسول النَّصر والنجاة، قال الله عز وجل(١): ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[غافر: ٥١].

ثم قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس:١٠٣].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم: ٤٧].

وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ(١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ(١٧٢)وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[الصافات: ١٧١ ــ ١٧٣].

وقال: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

(١) ــ كذا في (أ)، وفي بقية النسخ: وقد قال الله عز وجل.

[المائدة:٥٤].

ثم قال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧].

وقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج: ٤٠]. وقال: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحديد: ٢٥].

وقال: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ(٤)سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ(٥)وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[محمد: ٤ــ٦].

فوعد الله المؤمنين النّصر والهدى على الجهاد، فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت: ٦٩]. وقال: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾[العنكبوت: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[التغابن: ١١].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنْ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾[الرعد: ٣٦].

وقال: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام:٨٩].

وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[الزخرف: ٤٤].

ثم سمى لنبيكم صلى الله عليه وآله وسلم أهلاً حيث سمى للذين نبأهم أهلا، قال الله عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[طه: ١٣٢]، فهم أهله كما جعل للأنبياء أهلا، فاتّبعُوه وأطاعوهُ فيما اختصّهم به من المواعظ على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا

﴿الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى:٢٣] ، وقال : ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[الإسراء: ٢٦]، فنحن ذوو قرباه دون الناس.

[آية التطهير والمراد بأهل البيت فيها وخروج الزوجات عنهم]

ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فقد أعلم أن جُهالاً من الناس يزعمون أن اللّه إنما أراد بهذه الآية أزواج النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم خاصة، فانظر في القرآن فإن كان إنما جعل أهل الأنبياء أزواجهم في الكتاب الذي أنزله عليهم فصدقوه، وإن كان سمّى للأنبياء أهلاً سوى أزواجهم فما هذه الجهالة بأمر اللّه؟ أرأيت نوحاً ولوطاً عليهما السلام. حيث أمرا بترك امرأتيهما، أليس قد كان أهلُهما سواهما؟ قال عز وجل لنوح: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾[هود: ٤٠].

وقال: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(١٣٣)إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ(١٣٤)إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾[الصافات: ١٣٣ ــ ١٣٥].

وقال ليوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ﴾ [يوسف:٦]، أفترى أن آل يعقوب إلا النساء؟ ثم قال: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾[الصافات: ١٣٠].

وقال لإسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾[مريم: ٥٥].

وقال تعالى ــ في الصفوة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: ٣٣].

وقال:﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾[هود:٧٣].

أفترى أن اللّه تبارك وتعالى أراد بهذه الصفوة، وما ذكر من أهل الأنبياء نساءهم، أم رأيت موسى صلى اللّه عليه حين يقول: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾[طه:٢٩] أهله الذي سأل منهم الوزير أزواجه؟!

أرأيت إذ يقول لقوم صالح صلى اللّه عليه: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[النمل: ٤٩]؟ أليس ترى أن له أهلاً وأن له ولياً دون قومه؟

وقال زكريا صلى اللّه عليه: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا(٥)يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم: ٥ ــ ٦]، أفلا ترى أن للأنبياء أولياء دون قومهم ؟ أفلا ترى أن الأنبياء قَبْلَ محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم أوتوا أهلا فما أهل الأنبياء بأعدائهم، وما أعداء الأنبياء بأهلهم.

فانظروا في أهل نبيكم ومن كان أهل العداوة من قومه، قال اللّه تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام:١١٢]، أرأيت حيث يقول عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[الأحزاب: ٢٨].

وقال عز وجل: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[التحريم: ٥]، أرأيت لو طلقهن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، ما كان له أهل بيت من أهله وذريته؟ سبحان اللّه العظيم!! إنما يقول جلّ ثناؤه لهنّ: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الأحزاب: ٣٤].

وقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ

﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾[الأحزاب: ٥٣]، إنما يريد الله جل ثناؤه بهـؤلاء الآيـات في البيوت، والأذن المسكن من البيوت.

وأما الآية التي ذكر الله فيها التطهير فإنما هو بيت النبي صلى الله عليه أهلـه وذريته، وإنما قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُـمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب: ٣٣] و لم يقل إنما يريد الله ليذهب عنكنَّ الرِّجْسَ.

ثم قال: ﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ﴾[الأحـزاب: ٢٣] فلم يُفَضِّلهن على أحد من النساء بآبائهن، ولا بأمهاتهن، ولا بعشيرتهن، ولكن إنما جعل الله الفضل لهن لمكانتهن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف لا يكـون لأهل بيته الفضـل على بيوت المسلمين، ولورثته على ورثتهم، ورسول الله صلـى الله عليه وآله وسلم هو جدنا، وابن عمه المهاجر معه أبونا، وابنته أمنـا، وزوجـه أفضل أزواجه جدتنا، فمن أهل الأنبياء إلا من نزل بمنزلتنا من نبينا صلى الله عليـه وآله، والله المستعان.

[الحسن والحسين - عليهما السلام - وأبناؤهما ذرية رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -]

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُـمْ أَزْوَاجًـا وَذُرِّيَّةً﴾[الرعد: ٣٨] وكذلك فعل الله به صلى الله عليه وآله وسلم جعل له أزواجاً وذرية، ثم بين ذلك في الكتاب حين أمره أن يُبَاهِلَ النصارى في عيسى بـن مريـم صلى الله عليه، فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(٥٩)الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنْ الْمُمْتَرِينَ(٦٠)فَمَنْ حَاجَّكَ فِيـهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَـاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمـران: ٥٩-

٦١]، فلم يكن تبارك وتعالى يأمره أن يدعو أبناءه وليس له أبناء، فكان ابناه يومئذ الحسن والحسين عليهما السلام، لم يكن له ابن يومئذ غيرهما.

وقال اللّه عز وجل وهو يذكر نعمته على إبراهيم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(٨٤)وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[الأنعام: ٨٤ ــ ٨٥]، فنسب اللّه عز وجل عيسى إلى إبراهيم في الكتاب، وجعله من ذريته، ثم قال: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام: ٨٦]، ثم قال: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الأنعام: ٨٧]، فذكر اللّه جل ثناؤه أهل الخيرة من أبناء الأنبياء وإخوانهم، ثم قال: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٣]، فجعل اللّه إسماعيل وهو عم يعقوب من آبائهم، هذا لتعرف منزل أهل الأرحام في كتاب اللّه، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[الطور: ٢١].

وقال في صاحب موسى صلى اللّه عليه حين أقام الجدار: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[الكهف: ٨٢]، فكان تأويل ذلك مما لم يعلم موسى، حفظ اللّه الغلامين بصلاح أبيهما، فمن أحق أن يرجوا الحفظ من اللّه بصلاح من مضى من آبائه من ذرية نبيكم؟!

فنحن والله ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، مُتّبعُوْنَ له، معتصمون بالكتاب الذي جاء به ، نُحَرِّمُ حَرَامَهُ ونُحِلُّ حلاله، ونُصَدِّقُ به، ونعلم منه أفضل مما يعلم الناس من تلاوته، ونؤمن من تأويله بما يعلم الناس منه وما جهلوا، لم يَدَعِ الناس عندنا مظلمة من أموالهم التي قتل بعضهم بعضاً عليها، و لم نجاهدهم إلا على أن يضعوها مواضعها، ويأخذوها بحقها، ويعطوها أهلها الذين سماهم الله لهم؛ فعلى ذلك قَاتَلْنَا مَنْ قَاتَلْنَا منهم، واحتججنا عليهم بأنهم لايتبعونا إذا دعوناهم، ولا يهتدون بغيرنا إذا تركناهم، ولا يزدادون في ذات بينهم إلا بغياً وتفرقاً.

[الذي يجب على المسلمين اتباعه من أهل البيت (ع)]

فإن قلت: إن من آل محمد من ينبغي للناس أن يتفرقوا عنه، فإن فيهم بعض منا يكره لهم.

فلعمري إن فيهم لما في الناس من الفضل والذنوب والدين، ولكن ليس ذلك في حُلِّ القوم إنما هو في خَوَاصِّهم، فمن ظهر عليه عيبه عُوقب به من أتاه، وإن سُتِرَ عليه عيبه فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء غفر له، ما لم يَدْعُ الناس إلى ضلالة و لم يضل بهم عن حق، و لم يتأول شيئاً يعلمه في الإسلام بدعةً أو سنةَ باطلٍ يتّبعه الناس عليها، ومن اتبعه عليها ضل هو ومن اتبعه كهيئة من عمل بذلك فَضَلَّ وأَضَلَّ.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[النحل: ٢٥].

وإني إنما قلت لك هذا كي لا تزهد في حق آل محمد صلى الله عليه وسلم ترى في بعضهم عيوباً، ولكن أحق من وجب على الناس الإقبال إليه من آل محمد صلى الله عليه من ائتمنه المسلمون على نفسه وغيبه، ثم رضوا فهمه وعلمه بكتاب الله

وتبيين الحق فيه، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فهدى الله عز وجل به الناس إلى ذلك، وأهداهم في الموثوق في حديثه وفهمه وفضله، فوصفه الحق لما يُعرَف المسلمين من معالم دينهم، ثم الإستقامة لهم عليه، ليس له أن يجوز بهم عن الحق وليس لهم أن يبتغوا غيره ما استقام لهم، ولم يكن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والحمدلله — على حال منذ فارقهم نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم — إلا وفيهم رضاً عند من عرفه من المسلمين، في أنواع الخير التي يَفضُل بها الناس، عَرَفَ ذلك مِنْ حقهم مَنْ عَرَفَه وأنكره من أنكره.

[أسباب التفضيل]

ولعمري ما كُل قريش — وإن كانوا قوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم — أهل فضل، لقد قال الله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾[الأنعام: ٦٦]، فإن منهم لأوَّل من كَذَّبه، وإن منهم لأول من صَدَّقَه، فما جعل الله حقهم على الناس واحداً، حَقُّ من صدقه كحق من كذبه، فما عظمت نعمة الله على أحد من خلقه إلا زاد حق الله عليه تعظيماً.

ومِنْ أداء حق الله وشكر نعمته العمل بطاعته والإجتناب لمعاصيه؛ فمن أخَذَ يُفَضِّل نَفْسَهُ على الناس بغير نعمة من الله سبقت إليه أوسلفت، فهو حين يعرف الناس أنه عاص لله لاحَقَّ له ولا نعمة، غير إنما الحق لمن شكر النعمة وعمل بالطّاعة التي إنما كانت قريش ابتليت بما ولوا من الناس، وابتلي الناس بهم، وسلطانهم عليهم، وملكتهم إياهم، وانتحالهم هذا الأمر دون الناسِ وأهلِ والقيام به عليهم.

ما كل من قرأ القرآن من قريش يعلمه ولا يعدل فيه، لقد قال جل ثناؤه لبني إسرائيل: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة:٧٨]، ثم قال: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ

به وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[النساء: ١٢٣].

وقال: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ(١٢)لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: ١٢ ـ ١٣]، فليس يكون الإيمان به الكلام، والعمل بغيره، ولقد قال اللّه عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[النور: ٤٧].

وكان مما جاء به من سنة الأولين أن قال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥] وما يحملها إلا القائم بها. قال اللّه عز وجل: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾[المائدة: ٦٨].

وقال لهذه الأمة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ(٢٠٤)وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ(٢٠٦)وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[البقرة:٢٠٤ ـ ٢٠٧]. وإنما الفساد في الأرض: العمل بمعصية اللّه؛ قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[البقرة: ٣٠] وإنما هلاك الحرث هلاكُ الدين، قال اللّه عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ [الشورى: ٢٠]، وحرث الآخرة: العمل الذي يدين اللّهَ به عباده من الخير؛ وإنما هلاك النَّسْل: فمن نَسْل الناس أن يحملوا غير دين الحق. قال اللّه جل ثناؤه: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[السجدة: ٧ -٨].

وقال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥].

وقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء: ١١٥].

فهما سبيلان كما قال الله عز وجل: ﴿سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ(٥٥)﴾ [الأنعام] وقال عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام ١٥٣]. ثم قال: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ(٣٥)مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[القلم: ٣٥ ــ ٣٦].

وقال عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾[السجدة: ١٨].

وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[ص: ٢٨].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[غافر: ٥٨].

وقال عز من قائل: ﴿الم(١)أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(٢)وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ(٣)أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[العنكبوت: ١ــ ٤].

وقد بين الله عز وجل لكم ما أمر به نبيكم صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم، وما أمركم أن تعتصموا به بعده، فقال عز وجل: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ

﴿إِلَيْكَ﴾[الزخرف: ٤٣]، وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[الأعراف: ١٧٠].

وقال عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النمل: ١٢٥].

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[هود: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت: ٣٠].

ثم قال عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب: ٢١] فهذا عهد الله إليكم.

وقال عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ؛ فوالله لئن ترك الناس أمر الله، فالله لا يدع أمره.

وقال تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا(١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾[محمد: ١٠ ــ ١١].

ثم قال عز وجل: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ(١٩)وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[فاطر:١٦ ــ ١٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[النور: ٣٤].

فانظروا في ذكر من كان قبلكم، وما جاء من مثلهم، هل يستقيم لأحد ــ اتبع الكتاب من اليهود والنصارى من قِبَل العرب والعجم ــ أن يقول نحن صفوة اللّه دون آل عمران؟ أو يقول نحن ورثنا الكتاب دونهم، ونحن أعلم بالكتاب منهم؟ فمن قال ذلك منهم فإن القرآن يكذبه، قال اللّه جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ(٥٣)هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ﴾[غافر: ٥٣ ــ ٥٤]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ(٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة:٢٣ــ٢٤]، هذا ذكر بني إسرائيل في كتابهم.

وبين لكم أنه اصطفى آل عمران، وأنه أورثهم الكتاب من بعد موسى، وأنه جعل منهم أئمة يهدون بأمره.

ثم بين لكم في كتابه أنه اصطفى آل إبراهيم كما اصطفى آل عمران، ثم قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[فاطر: ٣٢].

[آل محمد أولى بالنبي (ص) من غيرهم من الناس]

فإن زعم من خالف آل محمد صلى اللّه عليه من أهل هذه القبلة أنهم هم الذين أورثوا الكتاب ، وأنهم هم أهل الصَّفوة، وإنما ذكر اللّه عز وجل آل إبراهيم دون آل محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، [فهم أولى بآل إبراهيم][1] أم آل محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم أولى بآل إبراهيم؟ وقال جل ثناؤه: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٥٤]، ثم ذكر ذلك في آي من الكتاب ستمر بهن وتعرف إن شاء اللّه أن لآل محمد صلى اللّه عليه منزلة في الصفوة والحبوة ليست لغيرهم، مع أنا نعرف أن اللّه عز وجل قد جعل كُلَّ من تولى قوماً في

(١) ــ ما بين القوسين بياض في الأصل وهو زيادة لتوضيح المعنى.

الدين معهم، وإن لم تكن النسبة واحدة، فقال تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[المائدة: ٥١].

ثم قال عز وجل مثل ذلك في هذه الأمة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[الأنفال: ٧٤]، ثم قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الأنفال: ٧٥]، صدق الله تبارك وتعالى وبلّغت رسله صلى الله عليهم أجمعين، فبنوا إسرائيل بعضهم أولى ببعض في الأرحام، وبنوا إسماعيل بعضهم أولى ببعض في الرحم، إذ كانت لهم مع الرحم الولاية في الدين، فنحن أولى الناس بمحمد وإبراهيم صلى الله عليهما وعلى آلهما وسلم في الرحم، وأولاهم في التصديق به في الدين، جعل الله عز وجل لذرية محمد ــ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ــ وأهل بيته ومن هاجر معهم من قريش الفضل على غيرهم من المسلمين وجعل لهم خواص الكتاب، قال الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٧٧)وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ يقول: في سبيل الله حق جهاده، ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾[الحج: ٧٧]، وإنما قال الله تبارك وتعالى: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، في دعوة إبراهيم وإسماعيل، ذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(١٢٧)رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ ــ ١٢٨] فهذا من دعاء إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما من قبل

محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم سماها في الكتاب الذي بعث به محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣]، ثم قال إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[البقرة: ١٢٩]، فهم ذرية إبراهيم وإسماعيل وهم دعوتهما قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولم تكن الدعوة إلا لذرية إسماعيل، قال الله عز وجل في قول إبراهيم صلى الله عليه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[إبراهيم: ٣٧]، فهم الذين لزموا الحرم من ذرية إبراهيم حتى انتهت إليهم دعوته، فبعث الله تبارك وتعالى منهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعل منهم أمة مسلمة، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣]. والوسط: العدل، قال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾[القلم: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[إبراهيم: ٤]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[التوبة: ١١٥].

ثم بعث الله جل ثناؤه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بلسان قومه وجعله رسولاً إلى من ليس على لسان قومه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف: ١٥٨]. وكانت الأمة المسلمة من ذكرهم — في دعوة إبراهيم وإسماعيل — من اتبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قريش وهاجر معه وتعلموا الكتاب والحكمة وبلغوا القرآن منه بلسانه وألسنتهم.

وكان لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أهلاً وذرية دون قومه، فآمنوا به وصدّقوه

واتبعوه، وذكر اللّه الأنصار بنصرهم واتباعهم، وجعل باب الهجرة والإيمان إليهم وإلى بلدهم.

وقال اللّه عز وجل في الكتاب ـــ حين فرض الفرائض وأمر النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم بالقسمة ـــ قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الحشر: ٧].

ثم قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[الحشر:٨].

ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩]، فكانت هذه الأنصار، فجعل اللّه تبارك وتعالى النبوة للنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، ولقرابته الفضل على الناس والمهاجرين والأنصار، ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر:١٠]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١٠٠]، فليس يكون أحد متابعاً لهم بإحسان حتى يعرف فضل مَنْ فضله اللّه عليه، وأنه إنما كان لهم مثل تابع لهم، فليس لأحد ـــ دَخَلَ في الإسلام ـــ أن يُعَلِّمهم وهم علموا قبله، ولا أن يرى له مثل حقهم، وقد دخلوا في الإسلام طوعاً بحبوة من اللّه عز وجل احتباهم، فلهم عليه أثرة، وليس لأبناء المهاجرين من

قريش تفاخر بفضل آبائهم على الناس، ولا تعترف لذرية النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بالفضل عليهم.

[بيان أهل الحق عند الاختلاف]

فإن قلت: قد اختلفوا. فقد صدقت، وإنما أنبأكم الله فقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ ــ يقول في الكتاب ــ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[البقرة: ٢١٣]، فانظر حين اختلفوا أين كان أهل الحق؟ فإنه لا يشكل أهل الحق.

وإن بني إسرائيل حين اختلفوا سماهم الله أهل الكتاب، ثم لم يخرج الحق منهم بل جعله فيهم، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ(٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة: ٢٣ ــ ٢٤].

وكان من مَنِّ الله وفضله على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الله جل ثناؤه جعل له من قومه وعشيرته الأقربين قوماً أقربهم إليه، فأمره أن يُنذرهم فقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤]. فاستجاب له أقرب الناس رحماً من: عم، وابن عم أخ لأب وأم، ولم يستجب له آخرون من مثل منزلتهم في الرحم، فقال الله عز وجل: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦]. فلم يجعل الله ولاية أهل الأرحام إلا على الإيمان والهجرة، قال الله عز وجل في آية أخرى في المهاجرين: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾[الأنفال: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا

﴿إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾[الأحزاب: ٦].

وكان من منّ الله تبارك اسمه ونعمته على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن كان منهم أول من استجاب للنبي صلى الله عليه وصدّقه وهاجر معه وجاهد على أمره، فكانت له الولاية في الرحم والولاية في الدين، و لم يأخذ عليه أحد بفضل ولايته في الدين، وأخذ على الناس بفضل ولايته في الرحم، مع الولاية في الدين. في كتاب الله جل ثناؤه.

فمن قال: إن أولئك ذهبوا وإنما أنتم أبناؤهم فليس لكم فضل بآبائكم؟ فانظر في آي القرآن، أرأيت حين بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، وسمى بني إسرائيل أهل الكتاب في كثير من آي القرآن فقال عز وجل: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾[آل عمران: ٦٤]، وقال عز وجل: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران: ٢٠]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩] أفرأيت بني إسرائيل حين سماهم الله تعالى أهل الكتاب على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد اختلف أهل الكتاب ، والذين أوتوا الكتاب هم الذين اتبعوا موسى صلى الله عليه وأبناؤهم، فإن عرفت أنهم أبناؤهم فما منعك أن تعرف من أنه قد ثبت لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنهم هم أهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل الكتاب؟ كما ثبت ذلك لبني إسرائيل قال الله عز وجل: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[الأنفال: ٧٥] فقد عرفت هذه الأمة أنّا أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذريته لأن الله جل ثناؤه لم يفرق بين النبوة والكتاب أن جعله في أحد من ذرية إبراهيم، قال الله جل ثناؤه لإبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ

﴿وَالْكِتَابِ﴾[العنكبوت: ٢٧]، فكيف يفرقون بين من لم يفرق الله بينه فقال تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا(٥٤) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾[النساء: ٥٤ ــ ٥٥]، فليس أحد أولى بإبراهيم من محمد صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم، ولا أولى بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم منا، قال الله جل ثناؤه: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[الحج: ٧٨]، وليس كل هذه الأمة بني إبراهيم، قال الله عز وجل لبني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[الجاثية: ١٦]، وقال موسى لقومه: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[المائدة: ٢٠] في زمنهم الذي كانوا فيه، وقال محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾[الأنبياء: ٢٤] فقد ذكر الله عز وجل أمرهم وأمرنا في الكتاب.

[الدليل على ملازمة أهل البيت للقرآن]

فإن قلت: إن الله جعل الكتاب الذي بعث به محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للناس وهدى، فبذلك يريد جهال هذه الأمة أن يؤخروا عنه، فإنه قد قال عز وجل في التوراة والإنجيل مثلما قال في القرآن، قال: يامحمد ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ(٣)مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ٣ ــ ٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[القصص: ٤٣].

وقال عز وجل: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾[هود: ١٧].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾[الأنعام: ٩١]، فجعل الله تبارك وتعالى الكتب التي أنزلها كلها هدى للناس، وجعل لها من ذرية إبراهيم أهلاً، أتعرفون ذلك لبني إسرائيل، ولا تعرفونه لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟!

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾[المائدة: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾[المائدة: ٤٤]، ثم قال لنبيكم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾[العنكبوت: ٤٧].

ثم قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[البقرة: ١٢١] فَمَن أمته الذين يتلونه حق تلاوته؟ وهذه الأمة تختلف في تلاوته ويقتل بعضهم بعضاً عليه.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس:٩]، ثم قال تعالى للذين آمنوا: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ(٥٥)وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة: ٥٥ ـ ٥٦] فآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فالمتولي الذي أنزل الله من البر.

والكتاب بيننا وبين من جحدنا حقنا وبغى علينا، وبين من يخالفنا فوضعنا على غير حدنا، وقال فينا غير مانقول في أنفسنا، ومن برئ منا برئنا منه، ومن تولانا على ماوصفنا من الحق توليناه من أهل هذه القبلة.

قال الله عز وجل: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ١٩٤]، فلا عدو أعدى ممن اعتدى على أقوام من أهل بيت نبيكم وذريته، وهم متبعون له ومتمسكون بالكتاب الذي جاء به، حسبنا الله ونعم الوكيل. ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨]، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[الطلاق: ٣].

[تم بحمد الله كتاب الصفوة]

ونسأل الله الذي دلنا على هذا الكتاب أن يجعلنا به موقنين، آمين اللهم آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً.

قال في الأصل: انتهى قراءةً على سيدي عماد الإسلام والمسلمين يحيى بن الحسين بن أمير المؤمنين حماه الله تعالى وأبقاه، يوم الأحد / تاسع عشر/ شهر شعبان / سنة ١٠٧٧هـ.

كتاب مدح القلّة وذم الكثْرة

بسم الله الرحمن الرحيم

[سند الكتاب]

قال الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الإثنينية:

أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن حاجب قراءة عليه، قال : حدثنا محمد بن الحسين الأشناني، قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق بن راشد الراشدي، وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن علي بن عمر الكوفي، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن العباس بن الوليد المقانعي، قالا: حدثنا إسماعيل بن إسحاق بن راشد، قال : حدثنا العباس بن الفضل الوراق، قال: حدثني عمرو بن عبد الغفار الفقيمي البصري، قال : حدثنا عطاء بن مسلم الخفاف، عن خالد بن صفوان بن الأهتم التميمي.

[لقاء خالد بن صفوان بالإمام زيد في الرصافة]

قال خالد بن صفوان: قدم علينا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الرصافة رصافة هشام[1] فبلغني فصاحته، وكثرة علمه، وبيان حجته، فدخلت عليه وهو متكئ وبين يديه حنطة مَقْلُوّة يقضم منها، فسلمت عليه.

فحمدت اللّه تعالى وأثنيت عليه، وذكرت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وما أكرمه اللّه تعالى به، وذكرت حيث توفاه اللّه تعالى فبايع النـاسُ أبـا بكـر،

(١) ــ الرصافة: بضم أوله مشهور، إن لم يكن اشتقاقه من الرصف وهو ضم الشيء إلى الشيء كما يرصف البناء فلا أدري ما اشتقاقه. ورصافة هشام موضع في غربي الرقة بينهما أربعة فراسخ على طريق البرية، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام، وكان يسكنها في الصيف. هكذا في معجم البلدان ٣/٤٦ ــ ٤٧.

فذكرت عدله، وسيرته، ثم ذكرت عمر بمثل ذلك، ثم عثمان بمثل ذلك، وذكرت فضله واختيار الناس وتفضيلهم إياه على سائر الناس، ورأوا أنه ليس أحد أحق بالخلافة منه.

وزيد بن علي عليهما الصلاة والسلام يتبسم إلي، وهو يقضم حبة بعد حبة.

ثم قلت: فوثب عليه قوم ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار فقتلوه، فلن يزالوا في فتنة إلى يوم الناس هذا.

فاستوى الإمام أبو الحسين زيد بن علي — صلوات الله عليه — فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر ما اختصه الله تعالى به من الكرامة، واختيار الله إياه فبلغ رسالته، فلما قبضه الله تعالى إليه انطلق المسلمون إلى رجل صالح فبايعوه، ثم بايعوا بعده رجلاً، ثم انطلقوا بعده إلى رجل ظنوا به الخير، وظنوا أنه سيجري مجرى صاحبيه، فمكثوا زماناً ثم نقموا عليه شيئاً بعد شيء، حتى إذا آوى أقاربه السفهاء والطلقاء، وأقصى المهاجرين الأولين والأنصار، وآذاهم وأخرجهم من ديارهم، فاستعتبوه مرة بعد مرة، فأبى إلا اختيار أهل بيته والأثرة لهم، وكان المسلمون عليه بين قاتل، ومحضض خاذل.

فلما قتل انطلق ولاة هذا الدين من المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم من التابعين لهم بإحسان إلى (أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام) حتى أخرجوه من بيته فبايعوه غير مكرهين، ثم أنهم نكثوا بيعته — يعني طلحة والزبير — من غير حَدَث، فلو أن الذين نكثوا بيعته نكثوا على أبي بكر وعمر لاستحل أبو بكر وعمر قتالهم.

[إعداد علماء الشام لمناظرة الإمام زيد]

قال خالد بن صفوان: فخرجت فلقيت جماعة من أهل الشام فحكيت لهم قول

الإمام أبي الحسين زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ فجاشت كلومهم[1]، وجاؤا معهم برجل قد انقاد له أهل الشام في البلاغة والبُصْر بالحجج، فجمعوا بينه وبين الإمام زيد بن علي ــ عليه السلام.

قال خالد بن صفوان: وكنت قد لقيت زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ قبل ذلك فقلت له: أصلحك الله أحب أن تكلم لي الشاميين.

[كلام الشامي في مدح الكثرة وذم القلة]

قال: فتكلم الشامي ؛ فذكر رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر أبا بكر وعمر وعثمان وذكر أنهم ولاة هذا الدين، وأن الجماعة كانت معهم، وأن أهل الجماعة هم حجة الله على خلقه، وأن أهل القلة هم أهل البدع والضلالة، وأنه لم تكن جماعة إلا كانوا هم أهل الحق، حتى قتل عثمان فخرج علي بن أبي طالب باغياً مفرقاً للجماعة، حتى هاجت الفتنة فاقتتلوا حتى رُدَّ هذا الأمر إلى أهل بيت هذا الخليفة المظلوم عثمان ــ يعني بني أمية.

[جواب الإمام زيد على الشامي]

قال: فحمد الله تعالى زيد بن علي ــ عليه الصلاة والسلام ــ وأثنى عليه، وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم تكلم بكلام ما سمعنا قرشياً ولا عربياً، أبلغ في موعظة، ولا أوضح حجة، ولا أفصح لهجة منه.

ثم قال: ذكرت الجماعة وزعمت أنه لم تكن جماعة قط إلا كانوا هم أهل الحق، والله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾

(١) ــ الجأش: رُواع القلب إذا اضطرب عند الفزع، وجاشت نفسه: ارتفعت من حزن أو فزع. تمت قاموس، والكلوم: جمع كلْم، بالسكون؛ وهو الجرح، تمت قاموس.

[ص:٢٤] وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[هود: ١١٦] وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود: ٤٠] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾[النساء:٦٦] وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾[البقرة:٢٤٩].

وقال تعالى في ذم الكثرة والجماعة: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الأنعام:١١٦] وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف:١٠٣] وقال في الجماعة: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الفرقان:٤٤] وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[التوبة:٣٤] وقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[المائدة:٤٩].

[كتاب مدح القلة وذم الكثرة]

قال ثم أخرج إلينا كتاباً قاله في الجماعة والقلّة، فيه:

أما بعد:

فإن أناساً من هذه الأمة يتكلمون في الجماعة ويزعمون أنهم أهل الكثرة، وأنهم حجة اللّه على أهل القلة من الناس، وأن القليلين من هذه الأمة هم أهل البدع والضلالة، وإنا سمعنا اللّه تبارك وتعالى وتقدست أسماؤه وعلا نوره وظهرت حجته، قال ــ فيما نزل من وحيه الناطق الصادق على محمد عبده ورسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم، يخبر عن الأمم الماضية مثل: أمة نوح وهود وصالح وشعيب

وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد عليهم السلام، وهم أولوا العزم من الرسل، وغير أهل الكتُب — إن أهل الحق والجماعة وأتباع الرسل أهل القلـة، وإن أهل البدع والضلالة هم الأكثرون، وإنا سمعنا الله جل اسمه يثني على أهـل القلـة ويمدحهم، فكانوا على عهد أصحابهم وبعد أنبيائهم، ويذم أهل الكثرة ويُجهّلهُـم ويُسفّهُهُم ويكذبهم ويضللهم، وينهى عباده الصالحين عن اتباعهم، والإقتداء بهـم، والأخذ بمنارهم.

[السور التي ذكر فيها مدح القلة]

فقال تعالى في السورة التي تذكر فيها البقرة

يذكر أهل القلة فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ(٨٣)﴾.

وقال الله تعالى:﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّـهُ بِكُفْرِهِـمْ فَقَلِيلًـا مَـا يُؤْمِنُونَ(٨٨)﴾.

وقال الله عز وجل عن قول إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِـكَنَا وَتُـبْ عَلَيْنَـا إِنَّـكَ أَنْـتَ التَّـوَّابُ الرَّحِيمُ(١٢٨)﴾ وكم ذرية إبراهيم؟

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ [وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ](٢٤٦)﴾[1] .

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَـةٍ

(١) — وقال تعالى بعد الآية السابقة في قصة طالوت: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلًا مِنْهُمْ — ٢٤٩﴾.

غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ(٢٤٩)﴾ يعني أن أهل القلة أهل الحق.

ومن سورة آل عمران

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(٥٢)﴾، وروي أنهم كانوا اثنى عشر رجلاً من جماعة بني إسرائيل.

وقال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ و لم يقل لبني إسرائيل ولا لغيرهم من أهل الكتاب: ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٤)﴾، فأخبر أنهم أمة من جميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال تبارك اسمه — في بني إسرائيل، لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم يخبره: ﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ(١١٣)يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ(١١٤)﴾.

ومن سورة النساء

قال الله تعالى في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم — المهاجرين خاصة: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا(٦٦)﴾، فأخبر الله تعالى أن أهل القلة هم أسدُّ سبيلاً، وأعظم أجراً، وأشدُّ في الإسلام تثبيتاً.

وقال الله جل اسمه:﴿ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً(٤٦)﴾.

وقال الله تعالى في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا(٨٣)﴾(١).

ومن سورة المائدة

قال اللّه تبارك وتعالى ــ في أمة محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم لأهل النفاق منهم: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٣)﴾.

وقال اللّه عز وجل لبني اسرائيل: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٢٣)﴾ وهما فيما بلغنا: يوشع بن نون، وكالب بن نوفيا، رهط أربعين ألف رجل من أمة موسى عليه السلام.

ومن سورة الأعراف

قال اللّه تعالى لأمة محمد صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(٣)﴾.

وقال تبارك اسمه: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ(١٥٩)﴾، و لم يقل أمة موسى، وهم مؤمنون بموسى عليه السلام والتوارة.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ(١٠)﴾، وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ(١٨١)﴾، و لم يقل لكل من خلق.

ومن سورة الأنفال

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ و لم يقل لأمة محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم: كلهم يغلبوا مائتين

(١) ــ وقال تعالى بعد هذه الآية: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ــ ١٤٢﴾.

﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ(٦٥)﴾.

ومن سورة يونس- عليه السلام -

قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ (٨٣)، و لم يقل: لكل ذرية بني إسرائيل.

ومن سورة هود

قال اللّه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ(٤٠)﴾ فكانوا فيما بلغنا والله أعلم: مائتين شاباً من الأمم بعد آدم عليه السلام، فدعاهم إلى اللّه تسع مائة وخمسين سنة، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ (١١٦)، وهم الذين نجوا مع أنبيائهم عليهم السلام، وبعد أنبيائهم عليهم السلام، وهم الذين نهوا عن الفساد في الأرض، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ(١١٦)﴾.

ومن سورة النحل

قال اللّه تعالى جل اسمه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ (١٢٠)،وإنما عنى به إبراهيم صلى اللّه عليه وجعله أمة.

وقال اللّه تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٧٨)﴾.

ومن سورة بني إسرائيل

يحكي قول إبليس: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا(٦٢)﴾، فالقليلون هم: الذين استنقذهم اللّه سبحانه وتعالى من ولاية إبليس.

وقال اللّه تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(٨٥)﴾.

فافهموا عباد اللّه عن اللّه تعالى ما أخبركم به في كتابه، أن القليل من الأمة هي فئة اللّه الغالبون، التي يغلب اللّه بهم الكثرة، وأنهم أنصار اللّه، وأنهم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، وأنهم أولياء للّه وأنهم أهل الذكر، وأهل الشكر، وأنهم الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، وهم أهل البقية في دار إظهار الكفر، وأنهم أهل البقية الذين اتخذ اللّه تعالى من الأمم، وأنهم أهل العلم وزيادة الهدى، وأنهم الشهداء على الأمم، وأنهم أهل البأس على عدوهم، وأنهم الذين صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه، وأنهم لم يبدلوا و لم يغيروا بعد أنبيائهم، وأنهم الشاكرون من خلقه، وأنهم أهل الفقه والتهجد، والمستغفرين بالأسحار، وأنهم الأمة الوسطة من الأمم، فأنزلوهم[1] منزلتهم، ولا تقولوا على اللّه مالا تعلمون.

[الصور التي فيها ذم الكثرة]

وقال في أهل الكثرة يذمهم ويسيء الثناء عليهم وينهى الصالحين عن اتباعهم

فقال في سورة البقرة

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ (١٠٩)، وهم أهل التوارة ـ أمة موسى عليه السلام، يقرون بالله

(١) - في نسخة: فنزلوهم.

والتوراة، غير أنهم كتموا أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكفرهم الله بذلك.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ(٢٤٣)﴾: و لم يقل لأقلهم.

وقال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(١٠٠)﴾.

ومن سورة آل عمران

قال الله جل اسمه: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ(١١٠)﴾.وإنما فسقهم الله لأنهم أقروا بما في كتابهم، و لم يقوموا به.

ومن سورة النساء

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (١١٤)، و لم يقل: لأقلهم(١).

قال الله عز وجل في قوم موسى ـــ عليه السلام ـــ: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا(١٦٠)وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾(١٦١).

ومن سورة المائدة

قال الله جل اسمه يحكي قول بني إسرائيل: ﴿قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ(٢٤)﴾.

وإنهم كانوا فيما بلغنا والله أعلم: أربعين ألفاً.

(١) ـــ كذا في جميع النسخ، ولعله يعني: و لم يقل لا خير في أقلّهم.

[وقال تعالى[1]]: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ(٣٢)﴾.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ(٤٩)﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ(٥٩)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ [أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ](٨٠)﴾، ثم قال: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(٨١)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٦٢)﴾.

وقال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٦٤).

وقال الله تعالى لأهل الكتابين: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ(٦٦)﴾.

قال أمير المؤمنين زيد بن علي ـــ عليهما الصلاة والسلام: في هذا الآية ما يشتمل أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ضلالتهم والكتاب فمنزل كله، فمن لم يتبع كتابه فهو ممن وصفه الله تعالى بسوء عمله، وفساد أمره، والله لا يحب المفسدين.

وقال الله تعالى وتبارك في أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأهل

---

(١)ـــ ما بين القوسين زيادة.

الكتاب: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(٦٨)﴾.

وقال تبارك اسمه: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ (٧١).

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ(٧٧)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(١٠٣)﴾.

ومن سورة الأنعام

قال الله عز وجل يُعَجِّب محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من كفار قريش: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ(١١١)﴾.

وقال عز وجل ينهى محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن طاعة كثير ممن في الأرض، فقال عز من قائل كريم: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ(١١٦)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ](١١٩)﴾.

فقد أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن كثيراً من الناس أهل هوى وضلالة وجهالة. قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾(١٣٧)، وهذه أيضاً كالآية

التي قبلها.

ومن سورة الأعراف

قال الله تعالى يحكي قول إبليس الرجيم: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: الآخرة، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يعني: الدنيا. ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعني: حسناتهم. ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ يعني: سيئاتهم. ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)﴾.

وقال تعالى يخبر محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عن الأمم الخالية: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ(١٠٢)﴾، ولم يقل ذلك لأقلهم، لأنه قد علم تبارك وتعالى أنما اتبع الأنبياء عليهم السلام من كل أمة أقلها وأضعفها وأوضعها في حال الدنيا.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (١٧٩).

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم حين سُئل عن قيام الساعة: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(١٨٧)﴾، يعني: قيام الساعة، قد أعلم الله تعالى الساعة القليل من خلقه وهم أهل صفوته، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن من أشراط الساعة: مطراً ولا نبات، وتبايع الناس بالعينة[1]، وكثرة أولاد الزنى وترك العمل بكتاب الله تعالى، وتجارة النساء، وتجارة الراعي في أمته)) مع شرائط كثيرة.

وقال الله تعالى تصديقاً لذلك: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(٢٦)إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

---

(١) - العينة ـ بكسر العين: هي أن يبيع الرجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل معلوم، ثم يشتريها البائع ـ من ـ المشتري ـ بأقل مما باعها به أولاً.

ومن سورة الأنفال

قوله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المهاجرين والأنصار: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ(٥)يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ(٦)﴾، و لم يخاطب الله تعالى بهذا المؤمنين الذين استكملوا الإيمان لأنهم لا يجادلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحق، ولكنهم مضوا على ما أمرهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾(٣٤): وهم الأقلون وأولياء الشيطان هم: الأكثرون.

ومن سورة التوبة

قال الله عز وجل: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ(٨)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ (٢٥)، فأخبر الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن الكثرة لا تغني شيئاً، وأن أهل القلة في كل أمر ممدوحون.

وقال الله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ(٢٥)﴾.

قال أمير المؤمنين أبو الحسين زيد بن علي ـــ عليه السلام: وكانوا فيما بلغنا والله أعلم اثني عشر ألف رجل، ثم قال: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٦)، وهم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين وكانوا سبعة نفر من بني هاشم وبعضهم من الأنصار، منهم: العباس بن عبد المطلب أخذ لجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبو سفيان بن الحارث

بن عبد المطلب ممسك بثفرها[١]،وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه، والفضل بن العباس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال: ١٩] يعني الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ (٣٤)، والأحبار والرهبان هم: علماء التوراة وقادة أهل الكتب، وهم جماعتهم عند أنفسهم.

ومن سورة يونس

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ(٣٦)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٥٥)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ(٩٢)﴾.

[ومن سورة هود[٢]]

وقال تعالى لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ(١٧)﴾.

ومن سورة يوسف -عليه السلام-

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٢١)﴾، وفيما حكى من قول يوسف عليه السلام: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ

(١) ـــ ثفر الدابة: الخرقة التي توضع تحت ذنبها. تمت قاموس.

(٢)ـــ ما بين القوسين غير موجود في الأصل.

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ(٣٨)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٤٠)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ(١٠٣)﴾ فأخبر جل وعلا نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن أهل القلة هم المؤمنون.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ(١٠٦)﴾.

فأخبر أن أهل الكثرة لا يؤمنون ولا يفلحون، وأنهم أهل الشرك والفساد في الأرض إلى يومنا هذا وصدق الله ورسوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن سورة الرعد

﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ(١)﴾.

ومن سورة إبراهيم (ص)، وعلى نبيننا وعلى آله وسلم

قال تعالى [حاكياً عن إبراهيم]: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ(٣٥)رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ﴾[1] (٣٦).

وقال تعالى [حاكياً عن قول إبراهيم]: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ(٣٧)﴾، ولم يقل: أفئدة الناس كلهم.

وقال تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾.

وقال تعالى [حاكياً قول إبراهيم أيضاً]: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ(٣٨)الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ

(١)ــ هذه الآية بعد الآية التي تليها في الأصل، وقدمت لأجل ترتيب الآيات.

لي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ(٣٩)رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ(٤٠)رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ(٤١)﴾، وإنما سأل للخاص من ذريته فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخاص، وهم دعوة إبراهيم، وقد علم إبراهيم أن كثيراً من ذريته يضلون كثيراً من الناس فلذلك قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣٦)﴾.

وقال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام: يعني من كان على منهاجي فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم.

وفي هذا يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران: ٣٢]، فمن تولى عن طاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كفر بما أنزل الله تعالى وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن سورة أصحاب الحجر

قال الله تعالى يحكي قول إبليس لعنه الله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٣٩)إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(٤٠)﴾، فعباد الله المخلصين هم: القلة من الأمم أجمعين، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ(٤٢)﴾، فمن أطاع إبليس لعنة الله تعالى عليه فقد اتبعه. والغاوون فهم: أهل جهنم.

ومن سورة النحل

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٣٨)﴾، وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٧٥)﴾، وأخبر أن من كفر نعمة عنده من الله عز وجل فقد كفر، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[المائدة: ١١٥]. (يعني: المائدة).

وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[النور: ٥٥].

قال أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين: يعني كفر النعمة.

وقال الله عز وجل في ذلك: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ ثم أخبر عن منزلة كفّار النعم، فقال: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ(٢٨)﴾[إبراهيم] فهذا جميع فيمن كفر نعمة الله تعالى و لم يتب.

وقال الله تعالى يحكي قول كفار قريش: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(١٠١)﴾.

ومن سورة بني إسرائيل

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا(٨٩)﴾.

ومن سورة الكهف

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ

هُدًى(١٣)﴾.

قال الإمام الشهيد أبو الحسين زيد بن علي ـ صلوات الله تعالى عليه وسلامه: بلغنا والله أعلم أنهم كانوا سبعة نفر من عدة أمة من الأمم، وهم أصحاب الكهف: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٢٢): فأخبرنا أن لا يعلم عدتهم إلا قليل.

ومن سورة الأنبياء

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ(٢٤)﴾.

ومن سورة المؤمنين

﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ(٧٠)﴾، يعني: محمداً صلى الله عليه وآله وسلم جاء قومه بالحق، فأخبر الله تعالى أن كثيراً من الأمة ولم يقل للخاص من الأمة.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ(٧٨)﴾.

ومن سورة الفرقان

يعجب محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عن بعثه إليهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا(٤٤)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا(٥٠)﴾.

ومن سورة الشعراء

قال الله تعالى لكفار قريش: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ(٧)إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(٨)﴾.

وقال الله تعالى يحكي عن قول فرعون لعنة الله عليه: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ(٥٤)﴾ يعني: بني إسرائيل الذي قطعوا البحر مع موسى عليه السلام.

وقال الله تعالى لقوم فرعون: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ(٦٦)إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(٦٧)﴾.

وقال الله تعالى في قوم نوح: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ(١٢٠)إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٢١)﴾.

وقال الله تعالى في قوم هود: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٣٩)﴾.

وقال الله في قوم صالح: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ(١٥٧)فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٥٨)﴾.

وقال الله في قوم لوط: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ(١٧٣)إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٧٤)﴾.

وقال الله في قوم شعيب: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٩٠)﴾.

وقال الله فيمن أقرَّ بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم و لم يتبع منهاجه: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٢١٥)فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ(٢١٦)﴾.

وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ(٢٢١)تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(٢٢٢)يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ(٢٢٣)﴾، فقد عرفنا عز وجل أن

كثيراً من الأمم أمم الأنبياء الهالكون وأن الأقل المهتدون، ألا فاعقلوا أيتها الأمة عن الله الذي أخبركم على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ولا تخالفوا عما أمركم به فتضلوا كما ضلت الأمم بتركهم ما أمروا به.

ومن سورة النمل

قال تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٦١)﴾.

قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(٦٢)﴾ فأخبر تعالى أن أهل الذكر هم القليل.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ(٧٦)﴾، وقد نهى عن الاختلاف فيما أنزل على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمرنا لنسلم لأمر الله تعالى. وأنتم تزعمون وترون خلاف كتاب الله تعالى، تزعمون الخلاف رحمة[1]، وقد وعد الله عليه العذاب.

ومن سورة القصص

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(١٣)﴾.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ(٢٠)﴾.

(١) - يشير الإمام زيد عليه السلام إلى تضعيف الحديث الذي رُوي عن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم، وهو حديث مكذوب باطل لا أصل له؛ لأنه معارض للقرآن وما عارض القرآن فهو مردود.

قال مولانا أمير المؤمنين أبو الحسين زيد بن علي عليهم السلام: هو فيما بلغنا والله أعلم رجل يقال له: (حزقيل بن صابوت) مؤمن آل فرعون.

وقال تعالى: ﴿يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٥٧)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ (٥٨)، فأخبر الله تعالى أنه لم يهلك القليل.

وقال تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ (٧٥)، ولم يقل: للأمة كلها.

ومن سورة العنكبوت

يحكي قول إبراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى آلهما الكرام وسلم: ﴿قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾(٢٤).

وقال الله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾(٢٦) يعني لإبراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى آلهما وسلم من عدة أمة من الأمم.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(٦٣)﴾.

ومن سورة الروم

﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٦)﴾.

وقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ(٨)﴾.

وقال: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٣٠)﴾.

ومن سورة لقمان رحمة الله عليه

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٢٥)﴾.

ومن سورة السجدة

قال اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ(٩)﴾.

ومن سورة الأحزاب

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا(١٨)﴾.

قال زيد بن علي: نزلت هذه الآية في أمة من أمة محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، منافقي يوم الأحزاب.

وقال اللّه تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا(٢٠)﴾: يعني المنافقين.

وقال اللّه تعالى في المهاجرين والأنصار: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا(٢٣)﴾، و لم يقل ذلك للمؤمنين كلهم.

وقال اللّه تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا(٢٨)وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا(٢٩)﴾، فلم يقل سبحانه فإن اللّه أعد لأزواجه كلهن، بل خاطبهن كلهن حتى فرغ من مخاطبتهنّ، ثم خص المحسنات بالأجر العظيم، و لم يعُمُّهُنّ.

ومن سورة سبأ

قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(١٣)﴾، ولم يقل: عبادي شاكرون كلهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٢٠)﴾ فاستثنى بعضهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٢٨)﴾.

[وقال تعالى:] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٣٦)﴾.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ(٤١)﴾.

ومن سورة يس

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(٧)﴾، وقال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ (٢٠).

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ـ عليهما الصلاة والسلام: بلغنا والله أعلم أنه رجل واحد وهو: (حبيب النجار) مؤمن آل يسين.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ(٦٢)﴾.

ومن سورة الصافات

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ(٧١)﴾.

ومن سورة ص

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ (٢٤).

ومن سورة الزمر

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٢٩)﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٤٩)﴾.

ومن سورة المؤمن

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ (٢٨).

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام: هو (حزقيل) مؤمن آل فرعون.

وقال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٥٧)وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ(٥٨)إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ(٥٩)﴾.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ(٦١)﴾.

ومن سورة حم السجدة

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٣)بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا

يَسْمَعُونَ(٤)﴾.

ومن سورة الدخان

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٣٩)﴾.

ومن سورة الجاثية

قال: ﴿قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٢٦)﴾.

ومن سورة الأحقاف

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ﴾ (١٠).

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام: بلغنا والله أعلم، أنه (عبد الله بن سلام)، رجل واحد من جميع اليهود.

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ(٢٩)﴾.

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي عليهما السلام: بلغنا والله أعلم، أنهم سبعة نفر من الجن، وهم من أهل اليمن نصيبين[1]، آمنوا ليلة إذ مروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو تحت نخلة يقرأ القرآن فآمنوا به، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يشعر بهم وكانوا بموسى صلى الله عليه وسلم مؤمنين وبالتوراة من جماعة الجن.

---

(١) ــ نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. معجم البلدان ٥/٢٨٨.

ومن سورة الفتح

قال الله عز وجل: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا(١٥)﴾.

ومن سورة الحجرات

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(٤)﴾.

وقال: ﴿أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمْ الرَّاشِدُونَ(٧)﴾.

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ(١٢)﴾.

ومن سورة الذاريات

قال الله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(١٧)﴾.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ(٣٥)فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ(٣٦)﴾ وذلك في أربع قرى لقوم لوط صلى الله عليه وسلم، وهم أهل بيت لوط خاصة، فكان من نجا من هولاء لوطاً عليه السلام وابنتاه عورا ومؤمناً.

ومن سورة الطور

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٤٧)﴾.

ومن سورة اقتربت الساعة

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ(٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ(٣٤)نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ(٣٥)﴾.

والذين نجاهم بسحر ثلاثة نفر: لوط وابنتاه عليهم السلام.

ومن سورة الواقعة

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ(١٠)أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ(١١)فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ(١٢)﴾.

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ــ عليهما السلام: هو رجل واحد نزلت فيه هذه الآية، وهو أمير المؤمنين (على بن أبي طالب) صلوات الله تعالى وسلامه عليه، وهو أول من سبق إلى الإسلام[١].

وقال الله سبحانه: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ(١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ(١٤)عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ(١٥)مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ(١٦)﴾.

ومن سورة الحديد

قال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(١٦)﴾.

وقال تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(٢٧)﴾.

ومن سورة الصف

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي

(١)ــ تقدم تخريجه في كتاب تثبيت الوصية.

إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ(١٤)﴾.

وقال زيد بن علي ــ عليه الصلاة والسلام: وهم ــ فيما زعموا والله أعلم ــ ثلاثة عشر رجلا من جميع بني إسرائيل.

قال الله تعالى: ﴿فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ (١٤).

ومن سورة الملك

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ(٢٣)﴾.

ومن سورة (ن)

﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(٢٣)﴾.

وقال الإمام الأعظم أبو الحسين زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام: بلغنا والله أعلم: أنهم كانوا ثلاثة أخوة بأرض اليمن، فلما رأوها ــ يعني جنتهم التي احترقت ــ ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ(٢٦)بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(٢٧)قَالَ أَوْسَطُهُمْ ــ يعني أعدلهم قولاً ــ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ(٢٨)﴾.

وقال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام: يعني هلا استثنيتم؟ ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ(٢٩)﴾ فكان تسبيحهم استثناءهم.

ومن سورة الحاقة

قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ(٤٠)وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ(٤١)وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(٤٢) تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٤٣)﴾.

فمن زعم أن هذه الآيات غير ما أنزل اللّه تعالى على نبيه صلى اللّه عليـــه وآلـــه وسلم مما اقتصَّ اللّه عليه، فقد افترى على اللّه كذباً، والله ورسوله والمؤمنـــون منـــه براء.

اللهم إنا نعوذ بك أن نفتري على اللّه الكذب، أو القول خلاف ما أنزلت مـــن وحيك على نبيك محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، أو نزعم أن الإسلام قول بغـــير عمل، أو نزعم أن من عصاك فهو ولي لك، أو نزعم أن اللّه لا ينجز وعده فيما وعد به عبـــاده، ومن ثوابه وعقابه، أو نزعم أن اللّه سبحانه لم يكمل لمحمد صلى اللّـــه عليه وعلى آله وســـلم دينه، أو نزعم أن محمداً صلى اللّه عليه وآله وســـــلم قـــال خلاف ما أنزل اللّه إليه من حلال أو حرام.

قال خالد بن صفوان: مع أن كثيراً من كتاب اللّه قد ذكر، ما حفظت منــــه إلا هذا، فلم يذكر كثيراً إلا ذمه، و لم يذكر قليلا إلا مدحه، والقليل في الطاعـــة هـــم الجماعة، والكثير في معصيته هم أهل البدعة.

قال خالد بن صفوان: فبئس الشامي فما أحلى ولا أمر، وسكت الشاميون فلـــم يجيبوا لا بقليـــل ولا بكثير، ثم قاموا من عنده، فلما خرجوا قالوا لصاحبهم: فعـــل اللّه بك وفعل، غَرَرْتنا وزعمت أنك لا تدع له حجة إلا كسرتها فخرســـت فلـــم تنطق! قال: ويلكم كيف أكلم رجلا إنما حاجني بكتاب اللّه؟ فلم أستطع أن أكذب كتاب اللّه.

قال [عطاء بن أبي سلمة[1]]: فكان خالد بن صفوان يقول بعد ذلك: ما رأيـــت رجلاً قرشياً ولا عربياً يزيد في العقل والحجج والخير على زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عليهم الصلاة والسلام ورحمة الله والإكرام.

(١)ـــ ما بين القوسين زيادة.

انتهى بعون الله تعالى، ونسأله أن يصلي على رسوله محمد وعلى آله وسلم

[تم بحمد الله تعالى كتاب مدح القلة وذم الكثرة]



مقتل عثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

[حوار الإمام زيد مع خالد بن صفوان حول مقتل عثمان]

عن العباس بن بكار[1]، قال: حدثنا شبيب بن شيبة[2]، قال: سمعت خالد بن صفوان بن الأهتم المنقري، يقول: لما قدم زيد بن علي على هشام بن عبد الملك ــ وهو يومئذ بالرصافة وكان الناس يُخبِّرون عن براعته، وكثرة علمه، وبيان حجته، وفصاحة لسانه، وشدة قلبه ــ دخلت عليه في منزله فسلمت عليه، وجلست وهو متكيء، فذكرت له أمر أبي بكر وعمر، ثم ذكرت له قتل عثمان، وأنّه قتله قوم ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار.

فلما سمع كلامي استوى قاعداً فحمدالله وأثنى عليه، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر أبا بكر وعمر.

(١) ــ العباس بن بكار الضبي البصري، يروى عن عيسى بن يزيد، وعبدالله بن سليمان، وشبيب بن شيبة، وخالد بن أبي بكر الهذلي، وعبدالله بن المثنى، وحماد بن سلمة، وخالد بن عمر الأزدي. وروى عنه: محمد بن زكريا العلابي، وحسن بن علي بن زكريا. عرف بتشيعه، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان يُغْرِب، حديثه عن الثقات لا بأس به. توفي بالبصرة سنة(٢٢٢هـ) وله من العمر (٩٣سنة)، خرّج له المرشد بالله، والجرجاني.

(٢) ــ شبيب بن شيبة بن عبدالله بن عمرو بن الأهتم أبو معمر البصري الخطيب ابن عم خالد بن صفوان، روى عن أبيه، وعن خالد بن صفوان، والحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، ومحمد بن سيرين. وروى عنه: العباس بن بكار، والأصمعي، وجبارة بن المغلس، وعيسى بن يونس، ووكيع بن الجراح وجماعة. كان بليغاً فصيحاً، قيل له الخطيب لفصاحته، وكان ينادم خلفاء بني أمية، ويفزع إليه أهل البصرة في حوائجهم، توفي في حدود السبعين ومائة، روى عنه محمد بن منصور.

[مقتل عثمان]

ثم انتهى كلامه إلى ذكر عثمان، وأنه سار بسيرة صاحبيه، وكان على منهاجهما، ثم مال إلى الطقاء(١)، وأبناء الطلقاء فاستزلوه فنكث على نفسه، فاجتمع في أمره المهاجرون والأنصار، فاستَعْتَبُوهُ فأبى إلا تمادياً فيما لا يوافق الكتابَ ولا السنّة ــ التي اجتمعوا عليها ــ فقتلوه.

فقلت له: أكل المسلمون قتله يا ابن رسول اللّه؟

فقال ــ عليه السلام: لا، لكن بعض قَتَلَ، وبعض خَذَلَ، والقاتل والخاذل سواء، فمكث ملقى لا تدفن جثته أياماً ثلاثة(٢).

فقلت: فما منعهم من دفنه يا ابن رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ؟

فقال ــ عليه السلام: لو أنهم أرادوا دَفْنَهُ لم يروا قَتْلَهُ، فأقام ثلاثة أيام على المزبلة وكان الصبيان يمشون على بطنه، ويقولون:

أبا عمرو أبا عمرو رماك اللّه بالجَمرِ
وَلَقاك من النّار مكاناً ضَيِّقَ القَعْرِ
فما تصنعُ بالمال إذا أُحْدِرْتَ في القَبرِ

(١) ــ الطلقاء هم الذين عفى عنهم النبي (ص) يوم فتح مكة، وقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وكان معاوية بن أبي سفيان منهم، وبنو أمية.

(٢) ــ ذكر كثير من المؤرخين وأصحاب السير، منهم الطبري في تاريخه (١٣٨/٤) (مؤسسة الأعلمي)، واليعقوبي في تاريخه (٥٩/٢)، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة (٣٦٨/٢)، وابن عبد البر في الإستيعاب بهامش الإصابة (٨٠/٣)، وغيرهم كثير: أن جثة عثمان ألقيت على المزبلة و لم تدفن ثلاثة أيام، وأنه لم يغسل و لم يكفن و لم يُصَلَّ عليه مدة ثلاثة أيام، وأنه دُفن سراً. انظر: الغدير ٢٠٨/٩ ــ ٢٠٩.

[مقتل طلحة والزبير]

ثم انطلق المسلمون من المهاجرين والأنصار فَتَشَاوَرُوا، فبايعوا علي بن أبي طالب ــ صلوات الله عليه ــ طائعين غير مكرهين، راضين غير ساخطين، كلهم من المهاجرين والأنصار، والذي اتبعوهم بإحسان، حتى نَكَثَ بيعته رجالٌ من المهاجرين من غير حَدَث، ما نقموا منه غيرَ العدلِ في القضية، والقَسْمِ بالسَّوِيَّة، وذلك أن طلحة والزبير أتيا ومعهما موليان لهما، وحضر العطاء فأعطاهما أمير المؤمنين علي ــ صلوات الله عليه ــ وأعطى الموليين كما أعطا السيدين فغضب طلحةُ والزبير فنكثا البيعة، وأنشأا الحرب له، فَجَدَّ في قتالهما حتى نصره الله تعالى، فقُتلا ناكثَيْن.

أما طلحة فرماه مروانُ بن الحكم(١) بسهم أصابه عند أصل السَّاق فنزفه الدم حتى مَات، وفي ذلك يقول مروان بن الحكم ــ لعنهما الله تعالى:

شفيت غليلاً كان في الصَّدر كالشَّجَى ... بقتليَ قَتَّال ابن عَفَّان عثمانا

وما إن أبالي بعد قتلي طلحةً ... قتلت بعثمان بن عفان إنسانا

وأما الزبير بن العوام فإنه قَتَلَهُ رجلٌ من تميم يقال له: عمرو بن جرموز، نظر إليه فاراً فتبعه حتى قَتَلَهُ، وفي ذلك يقول عُمَرو:

أتيت علياً برأس الزبير ... وقد كنت أرجو به الزُّلَفَة

فَبشر بالنار قبل العَيان ... فبئس التَّحِيَّة والتُّحَفَة

لَقَتل الزبير ومثل الزبير ... كظرطة عنز بذي الجحفة

---

(١) - مروان بن الحكم بن العاص الأموي، طريد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ طرده من المدينة هو وأبوه، كان شديد البغض والمعاداة لأمير المؤمنين عليه السلام ولأهل البيت، ولاه معاوية على المدينة، وتولى الخلافة بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية، هلك سنة (٦٥هـ).

قال خالد بن صفوان فما فرغ من ذكر طلحة والزبير وعائشة وشأن الحرب يوم الجمل.

قلت: يا ابن رسول اللّه، فإن الناس يزعمون بالشام أنّ عثمان قتله رجالٌ من أهل مصر ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار.

فقال: ما أشدّ غفلتكم يا ابن الأهتم، وهل كان فيهم إلا قاتل أو خاذلٌ، أو لم تسمع شاعرهم حيث يقول:

قتلنا ابن أروى[1] بالكتاب و لم نكن	لنقتله إلا بأمر مُحَكَّمِ
أطاع سعيداً والوليدَ وعَمَّهُ	ومروان في المال الحرام وفي الدَّمِ
وقولَ أبي سفيان إذ كان قابلاً	وصيّته في كل غَيٍّ ومأثمِ
وقد كان أوصاه بذاك ابن عامر	فذاق بها من رأيه كأس علقمِ
نعاتبه في كل يوم وليلة	على هدم دين أو هضيمة مسلم[2]
فما زال ذاك الدأب ستين ليلةً	وست أعوام لدى كل موسمِ
وقلنا له: وليّ وخَلِّ عن أمورنا	فإنك إن تتركه نَسْلَمْ وتَسْلَمِ
وإلا فإنا قاتلوك ومادمٌ	أبا اللّه إلا سفكه بمُحَرَّمِ
أبت نصرَه الأنصارُ والحَيُّ حَوْلَهُ	قريشٌ وهم أهل الحَطِيمْ وزَمْزَمِ
وهم شهدوا بدراً وأحداً وناضلوا	عن الدين والبيت العتيق المعظَّمِ
وهم أظهروا الإسلام شرقاً ومغرباً	وهم نصروا دين النبي المكرَّمِ
أولئك حزب اللّه حيث تجمعوا	فريقان: ذو خَذْلٍ وقَتْلٍ مُصَمَّمِ

(١) ـ المقصود بأروى المذكورة في هذا البيت: أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس أم عثمان بن عفان.

(٢) - في أنوار اليقين: (على هدم دين الله أو هضم مسلم).

قال خالد بن صفوان: فما زلت أستنشده أشعار المهاجرين والأنصار في قتل عثمان وأخباره، وهو ينشدني ويحدثني، حتى استحييت منه، وقلت لنفسي: قد أكثرت على ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم السؤال. وهو يقول: سَلْ عما بدا لك ياابن الأهتم، فعلى الخبير سقطت.

[طلب الأذن بالمناظرة]

فقلت: يا ابن رسول اللّه إن ناساً من أهل الشام يزعمون أن معهم نَظَراً وفقهاً وحججاً، فإن أذنت لي أن أدخلهم عليك فيسألونك، ولعلك أن تقطعهم، ولعل كلامك أن يقع منهم كما وقع منيّ، فأبايعك على مجاهدة عدوك وهم حضور، وأرجوا أنهم إذا سمعوا كلامك ونظروا إليّ أبايعك يدخلون معي في بيعتك، ويبايعون إذا أنت كسرت عليهم حجتهم. فقال لي: إيت بهم إذا شئت.

[كلام الشامي]

قال خالد بن صفوان: فأدخلتهم على الإمام أبي الحسين زيد بن علي — رحمة الله تعالى عليه وصلوات وإكرامه، وفيهم رجل قد انقادَ له جميع أهل الشام في البلاغة والبُصْرِ بالحُجَجِ، فلما دخلوا عليه سلّمُوا عليه ثم جلسوا، فقال لهم: ليتكلم متكلمكم.

فتكلم الشامي البليغ، فذكر رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، ثم ذكر أبا بكر وعمر، إلى أن ذكر عثمان بن عفان أنه كان الخليفة والمظلوم، وكانت الجماعة معه وأنه إنما قُتِلَ مظلوماً، وأن اللّه عز وجل رَدَّ الخلافة في موضعها، وهم قرابة عثمان!! حين اجتمع الناس على بيعة معاوية بن أبي سفيان، ويزيد، وعبد الملك، والوليد، وسليمان، فجعل يذكر ملوك بني أمية واحداً واحداً، ويقول: إنه لم يكن جماعة قط إلا كانت على حَقٍّ، وهم أولى بالحق، وأهل الحق؛ لأنهم — يعني بني

أمية ــ قَرَابة الخليفة المقتول ظلماً، فمن نَاصَبَهُمْ فهو يطلب غير الحق، ويطلب ما ليس له، ولا هو له مستحق!!

قال خالد بن صفوان: والإمام أبو الحسين زيد بن علي ــ عليه السلام ــ في كلّ ذلك مُطْرِقٌ.

[جواب الإمام زيد على الشامي في أمر عثمان]

فلما قضى الشامي كلامه، قال له زيد بن علي ــ عليه السلام: إنك زعمت أن عثمان إنما قتله خاصٌ، وأن الجماعة كانت معه، وأنت تقول: إنه قُتِلَ مظلوماً، والله ما قتله إلا جماعة المسلمين من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان، لا أنَّ المسلمين قتلوه، ولكن بعضٌ قَتَلَه وبعضٌ خَذَلَه، فكلٌ مُعْيِنٌ بقتاله الظالِمَ، لأنه كالجنائز إذا حضرها بعض المسلمين أغنى ذلك وأجزى عن الباقين، وكذا الجهاد في سبيل اللّه، إذا قام به بعض المسلمين أغنى ذلك وأجزأ عن القاعدين، فقتله أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم بكتاب اللّه تعالى، حين خالف كتاب اللّه تعالى، وكان أول الناكثين على نفسه، وأول من خالف أحكام القرآن، آوى طريد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم الحكم بن أبي العاص[1]، ومروان ابنه[2].

---

(١) ــ الحكم بن أبي العاص الأموي، كان كثير الإيذاء لرسول اللّه (ص) فطرده من المدينة ولعنه. قال عبدالله بن الزبير: لعن رسول اللّه (ص) الحكم وولده. روى ذلك الحاكم في المستدرك ٤٨١/٤ وصححه، وأقره الذهبي. وحاول الحكم العودة إلى المدينة في عهد أبي بكر وعمر بواسطة عثمان فرفضا عودته، وقال كل واحد منهما: ما كنت لآوي طريد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ؛ فلما تولى عثمان أرجعه إلى المدينة وأعطاه مائة ألف وولاه على صدقات قضاعة فوهب له منها ثلاثمائة ألف درهم، وهلك سنة (٣١ هــ).

(٢) ــ مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي صاحب سيرة خبيثة، وهو أحد المحرضين لعثمان على

مع نَفْيِه أبا ذر(١) رحمه الله تعالى من المدينة إلى الرَّبذَة(٢)، وإنما ينفى عن مدينــــة

فعل ما استنكره الناس منه، قد وردت في ذمه أخبار كثيرة، منها مارواه الحاكم في المستدرك (٤/٤٧٩) وصححه عن عبدالرحمن بن عوف أنه قال: كان لايولد لأحد بالمدينة ولد إلا أتى بـــه النـــبي (ص)، فأُدْخِل عليه مروان بن الحكم، فقال: هو الوزغ بن الوزغ، الملعون بن الملعون. وزوجه عثمـــان ابنتــه وأعطاه مائة وخمسين ألف أوقية من الذهب من بيت مال المسلمين، وقيل أعطاه خمسمائة ألف درهـــم خراج إفريقية، وقيل أعطاها ابن أبي سرح؛ وهلك سنة (٦٥هـــ).

(١) ـــ أبو ذر الغفاري اسمه: جندب بن جنادة الغفاري، كان أحد السابقين إلى الإسلام والمقربين إلى رسول الله (ص) وكان من النجباء، وممن يقول بتفضيل أمير المؤمنين عليه الســـلام، عُــرِفَ بـــالزهد والصدق والعلم والعمل، وكان لا تأخذه في الحق لومة لائم، قال عنه النبي (ص): ((ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر)). وتوفي أبو ذر بالربذة سنة (٣٢هـــ).

(٢) - الأسباب التي نُفِي أبو ذر من أجلها إلى الربذة مصادرها التاريخية كثيرة ولا يسع المقام حصرها وسردها، ولكن نختار من ذلك، ما رواه ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة (٤/٣٧٥) قال: (وسأورد القصة باختصار):

وأصل هذه الوقعة: أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال، واختص زيد بن ثـــابت بشيء من ذلك، جعل أبو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع: بشر الكافرين بعذاب أليـــــم، ويرفع بذلك صوته، ويتلو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّـــهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٣٤)﴾[التوبة]، فرفع ذلك إلى عثمان مراراً وهو ساكت، ثم إنه أرسل إليه مولى من مواليه: أن انْتَهِ عما بلغني عنك، فقال أبو ذر: أو ينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب مـــــن ترك أمر الله؛ فوالله لأن أرضي الله بسخط عثمان، أحب إلي وخير لي من أن أسخط الله برضى عثمان. فأغضب عثمان ذلك، إلى أن قال عثمان يوماً والناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً، فإذا أيسر قضى فقال كعب الأحبار [من علماء اليهود]: لا بأس بذلك، فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا، فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي، الحق بالشام، فأخرجه إليها.

قلت: فهذا الإخراج الأول لأبي ذر من المدينة إلى الشام، وكان الوالي من قِبَل عثمان هو معاوية.

قال ابن أبي الحديد: فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، إلى أن بنى معاوية مدينة الخضـــــراء

بدمشق، فكان أبو ذر يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ، والله إني لأرى حَقّاً يُطفأ، وباطلاً يُحيا، وصادقاً مُكَذّباً، وأثرة مــن غير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه.

وكان أبو ذر يأتي كل يوم إلى باب الدار التي معاوية فيها ويصرخ قائلاً: أتتكم القطار تحمــل النــار، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له، فـــأدخل علـــى معاوية يوماً فقال له معاوية: يا عدو الله وعدو رسوله، تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع، فقال له أبـــو ذر: ما أنا بعدو لله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ودعا عليك مرات ألا تشبع.

..إلى قول ابن أبي الحديد: فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمل جندباً إليّ على أغلظ مركب وأوعـــره، فوجه به مع من سار به الليل والنهار، وحمله على شارف (ناقة مسنة) ليس عليها إلا قتب، حتى قدم به المدينة، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد.

قلت: وهذه المرة الثانية التي أخرج أبو ذر من الشام وأُرجع إلى المدينة.

وكان من أمره مع عثمان أنه لما أعطى عثمان مروان بن الحكم وغيره من أقاربه الأموال واختصهم بها غضب الناس، وكان أبو ذر من أشدهم غضباً، فلما دخل على عثمان قال: أنت الذي فعلت وفعلت؟ قال أبو ذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشني. قال عثمان: كذبت، ولكنك تريـــد الفتنة وتحبها قد أشعلت الشام علينا. قال له أبو ذر: اتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كـــلام.

فقال عثمان: مالك وذلك لا أم لك؟! قال أبو ذر: والله ماوجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فغضب عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب!! إما أن أضربـــه أو أحبســـه أو أقتله، فإنه قد فرّق جماعة من المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام، فتكلم علي عليه السلام ــ وكـــان حاضراً ــ فقال: أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًـــا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ(٢٨)﴾[غافر].

فأجابه عثمان بجواب غليظ، فأجابه علي عليه السلام بجواب مثله.

ثم حَظّر عثمان على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ويكلموه، فمكث كذلك أياماً ثم أتي به فوقف بين يديه فقال أبو ذر: ويحك يا عثمان! أما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأيت أبا بكر وعمـــر هل هديك كهديهم. أما إنك لتبطش بي بطش جبار. فقال عثمان: اخرج عنا من بلادنا.

رسول الله صلى الله الفُسَّاق والمخنَّثون. ومع ضربه ابن مسعود(١) رضي الله عنـــه

فقال أبو ذر: ما أبغض إليّ حوارك، فإلى أين أخرج؟ قال عثمان: إلى حيث شئت، قال أبو ذر: أخرج إلى أرض الشام أرض الجهاد؛ فأبى عثمان، وقال: إنما جليتك منها لما أفسدتها، قال: فإلى العراق؛ فأبى عثمان، قال: فإلى مصر؛ فأبى، فنفاه عثمان وأخرجه إلى الربذة مكرهاً غير مختار.

ثم أمر مروان بن الحكم بإخراجه إلى الربذة؛ فهذا هو النفي الثالث الذي واجهه أبو ذر من عثمان بن عفان، والله هو الحكم، وإليه المرجع والمآب، وهو الذي يفصل ويأخذ للمظلوم ممن ظلمه.

ومصادر هذه الحادثة كثيرة، منها: تاريخ اليعقوبي (٦٨/٢ـــ٦٩)، ومـــروج الذهـــب للمســـعودي (٣٥٨/٢)، للمغازي للواقدي، شرح ابن أبي الحديد (٣٧٥/٤)، والغدير للأميني (٢٩٣/٨)، وغيرها.

(١) ـــ عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب التميمي، فقيه الأمة، كان من السابقين الأولين ونجبـــاء الصحابة، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها، وكان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ومحبيه وممن يفضله، توفي سنة (٣٢هـــ).

وكانت قصته مع عثمان على ما يلي:

كان عبدالله بن مسعود على مفاتيح بيت مال المسلمين في الكوفة، وكان الوالي عليها سعد بـــن أبـــي وقاص، فلما عزله عثمان وولى مكانه الوليد بن عقبة ـــ أخو عثمان من الرضاعة ـــ الذي سماه الله عز وجل فاسقاً في قوله: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾[الحجرات] وغيرها من الآيات.

فلما تولى الوليد أتى عبدالله بن مسعود إليه وألقى إليه مفاتيح بيت مال المسلمين، وقال: من غَيَّر غَـــيَّر الله ما به، ومن بدل أسخط الله عليه، وما أرى صاحبكم إلا وقد غير وبدل، أيُعزل مثل سعد بن أبـــي وقاص، ويولى الوليد.

وكان يقول كل يوم جمعة بالكوفة جاهراً معلناً: ((إن أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدي هـــدي محمد ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالـــة، وكل ضلالة في النار)) حتى غضب عليه الوليد، فكتب إلى عثمان بذلك وقال: إنه يعيبـــك ويطعـــن عليك.

فكتب إليه عثمان يأمره بإشخاصه إليه، فاجتمع الناس فقالوا: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليـــك شـــيء تكرهه، فقال: إن له عليّ حق الطاعة ولا أحب أن أكون أول من فتح باب الفتن، فرد الناس وخـــرج إليه، وشيّعه أهل الكوفة فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن، فقالوا له: جزيت خـــيراً، فلقـــد علّمـــت

جاهلنا، وثبّتّ عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقهتنا في الدين؛ فنعم أخو الإسلام أنت، ونعم الخليـــل، ثـــم ودعوه وانصرفوا.

وقد ابن مسعود المدينة ليلة الجمعة، فلما علم عثمان بدخوله، قال: أيها الناس إنه قدم عليكـــم الليلـــة دويبة سوء من يمشي على طعامه يقيء ويسلح، فقال ابن مسعود: لست كذلك ولكني صاحب رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يوم بدر، وصاحبه يوم أحد، وصاحبه يوم بيعة الرضوان، وصاحبه يوم الخندق، وصاحبه يوم حنين.

وصاحت عائشة: أي عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ؛ فقـــال عثمان: اسكتي، ثم قال لعبدالله بن زمعة بن المطلب: أخرجه إخراجاً عنيفاً، فأخذه ابن زمعة فاحتملـــه حتى جاء به باب المسجد، فضرب به الأرض، فكسر ضلعاً من أضلاعه، فقال ابن مسعود: قتلني ابـــن زمعة الكافر، بأمر عثمان، وفي رواية أخرى: أن فاعل ذلك يحموم مولى عثمان، وأنه لما احتمله ورجلاه تختلفان على عنقه قال له ابن مسعود: أنشدك الله ألا تخرجني من مسجد خليلي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ.

ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائداً، فقال: ما تشتكي ؟ فقال: ذنوبي. قال: فما تشتهي ؟ قال: رحمة ربي. قال: ألا أدعو لك طبيباً ؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: أفلا آمر لـــك بعطائك؟ قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغن عنه. قال: يكون لولدك. قال: رزقهم على الله تعالى. قال: استغفر لي يا أبا عبد الرحمن. قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك حقي.

فلما حضره الموت قال: من يتقبل مني وصية أوصيه بها على ما فيها ؟ فسكت القوم وعرفـــوا الـــذي يريد، فأعادها، فقال عمار بن ياسر: أنا أقبلها، فقال ابن مسعود: ألاّ يصلي عليّ عثمان، قال: ذلـــك لك.

فيقال أنه لما دفن جاء عثمان منكراً لذلك، فقال له قائل: إن عماراً ولي الأمر، فقال لعمار: ما حملـــك على أن لم تؤذني ؟ فقال: عَهد إليّ أن لا أؤذنك.

انظر: ابن أبي الحديد شرح النهج (٣/٣٢ــ ٣٥) الغدير (٩/٣ــ٥) ومصادره.

وقد ذكر ابن أبي الحديد أيضاً قصة أخرى في ضرب ابن مسعود (٣/٣٤) قال: وقد روى محمد بـــن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي: أن عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطاً في دفنه أبا ذر.

حتى مات.ومع مشيه على بطن عَمّار بن ياسر[1] رحمة الله تعالى عليهمـــا حتـــى

---

(١) ــ عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة القحطاني، أحــد الســابقين الأولــين والأعيــان البدريين، أمه سمية مولاة بني مخزوم من كبار الصحابيات، وأول شهيدة في الإسلام، جاء في حقه عــن النبيّ (ص): «عمار مليء إيماناً إلى مشاشه ». أخرجه النسائي ١١١/٨، والمشاش: جمع مشاشة وهــي رؤوس العظام اللينة. وقال فيه: «ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية »، وأخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب التعاون في بناء المسجد ١٩٤/١ عن أبي سعيد وفي كتاب الجهاد والسير باب مسح الغبار ٧٧/٤، ومسلم في الفتن ٢٢٢٣٥/٤ (٢٩١٥/٧٠) وما بعده، وأحمد ٥/٣ وغيرهم.

وضرب عثمان لعمار بن ياسر مما لا تنكره المصادر التاريخية، وقد اختلف في السبب الذي لأجله ضرب عمار ظلماً حتى مرض طويلاً على ثلاثة أقوال:

أحدها: بسبب أنه لم يؤذنه بالصلاة على ابن مسعود، على ما تقدم في الحاشية السابقة، فعنـــد ذلـــك وطئه عثمان حتى أصابه الفَتْق. ابن أبي الحديد (٣٧/٣)، الأميني في الغدير (١٩/٩) عن البلاذري في الأنساب (٤٩/٥).

الثاني: أن المقداد وعماراً وطلحة والزبير وعدة من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وســـلم ــ كتبوا كتباً عددوا فيها أحداث عثمان، وخوفوه به، وأعلموه أنهم مواثبوه إن لم يقلع، فأخذ عمـــار الكتاب فأتاه به.

فقرأ منه صدراً ثم قال له: أعليَّ تُقْدِم من بينهم، فقال: لأني أنصحهم لك، قال: كذبت يا ابن سمية، فقال: أنا والله ابن سمية وابن ياسر؛ فأمر عثمان غلماناً له فمدوا بيديه ورجليه، ثم ضرب عثمان برجليه وهي في الخفين على مذاكيره، فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه.

ابن أبي الحديد (٣٨/٣)، ابن عبد ربه العقد الفريد (٢٧٢/٢)، نقله عنه في الغدير (١٨/٩).

الثالث: أنه كان في بيت المال سفط فيه حلي وجواهر، فأخذ منه عثمان الحلي وأعطى بعـــض أهلـــه، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك، وكلموه فيه بكلام شديد، حتى أغضبوه، فخطب وقـــال: لنأخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت به أنوف أقوام، فقال علي عليه السلام: إذن تمنع من ذلـــك ويُحال بينك وبينه.

فقال عمار: أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك، فقال عثمان: أعلي يا ابن ياسر تجـــترئ، خـــذوه،

سَدِمَ(١) من ذلك دهراً طويلا، ومع أخذه مفاتيح بيت مال المسلمين من عبدالله بن الأرقم(٢)، وإنفاقه المال على من أحب من أقاربه.

[قال خالد بن صفوان]: وأشياء كثيرة ذكرها وعددها. فأعجم القوم عن جوابه، لأنه جاءهم بأمر حيّرهم، فقالوا له: صَدَقْتَ ياابن رسول الله، والحَقُّ مَا قلت، إن القوم لم يقتلوا عثمان إلا عن أمر بيّن، وخلاف ظاهر، وجور شامل، ونكث.

فأخذ ودخن عثمان، فدعا به فضربه حتى غشي عليه، ثم أخرج فحمل حتى أتي به منزل أم سلمة ــ رضي الله عنها ــ، فلم يصل الظهر والعصر والمغرب، فلما أفاق توضأ وصلى، وقال: الحمد لله، ليس هذا أول يوم أوذينا في الله تعالى.

وبلغ عائشة ما صُنع بعمار فغضبت أيضاً، وأخرجت شَعَراً من رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ونعلاً من نعاله وثوباً من ثيابه وقالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم، وهذا ثوبه وشعره ونعله لم يبل بعد.

ابن أبي الحديد (٣٧/٣)، الغدير (١٥/٩) عن البلاذري في الأنساب (٤٨/٥).

(١) ــ سدم: أصيب بالمرض، والهم، والحزن.

(٢) ــ عبدالله بن الأرقم بن أبي الأرقم، واسمه عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف القرشي الزهري، أسلم عام الفتح، وكتب الوحي للنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ثم لأبي بكر ثم لعمر واستعمله على بيت المال وبقي إلى أن مات عمر، ثم ولاه عثمان على بيت المال، وأعطاه ثلاثين ألفاً فأبى أن يقبلها، وقال: إنما عملت لله، وتوفي في خلافة عثمان.

وقصة المفاتيح: أن عثمان أعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال، فجاء ابن الأرقم بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي ؟ قال: لا، ولكن أبكي لأني أظنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل في حياة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ، والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال عثمان: ألق المفاتيح يا ابن أرقم فإنا سنجد غيرك.

ابن أبي الحديد (١٥٤/١)، الأميني في الغدير (٢٦٠/٨).

[الجواب على الشامي في القلة والكثرة]

ثم أقبل على الشامي البليغ بزعمهم، فقال له:

أما ماذكرت من أنها لم تكن جماعة قط إلا كانوا أهل حق. فإنهم ولوا معاوية بن أبي سفيان فاستأثر بفيء المسلمين، واضطر أهلَ الشام إلى خدمة اليهود والنصارى، وأعطى الأموال مَنْ أحبَّ من الفساق، فأيتمَ الأطفال، وأرملَ الأزواج، وسلَبَ الفقراء والمساكين، ثم قدَّموا بعده ابنه يزيد، فقتل الحسين بن فاطمة صلوات الله عليهما، وساروا إليه ببناته حُسَّراً على نُوق صِعَاب، وأقتاب عَارِية، كما يفعل بسبي الروم، فلوا أن اليهود أبصرت إبناً لموسى بن عمران لأكرمته وأجلته قدره، وعرفت حقه.

فكيف زعمت أن جماعة قدَّموا رجلاً على أمانتهم فَقَتَلَ ولدَ نبيهم ثم سكتوا على ذلك، و لم يكن عليه في ذلك منهم نكير، فكيف زعمت أن هؤلاء جماعة، أو هم على حق؟!

والله تعالى قد مَدَح القليل إذْ كانوا على حَق، ألا تسمع إلى قوله تعالى في داوود: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، فقد ذَمَّ الله تعالى الكثير ومَدَح القليل، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[هود: ١١٦] كما ترى، وقال تعالى في قوم نوح: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾[النساء: ٦٦].

وقال تعالى في ذَمِّ الجماعة والكثير: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف: ١٠٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الأنعام: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الفرقان: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[المائدة:٤٩](١).

حتى عدد في ذم الكثرة أكثرمن مائة وعشرون آية، وقريباً من ذلك في مدح القلّة.

قال خالد بن صفوان: مع أن كثيراً قَدْ ذَكَر في كتاب اللّه ما حفظت منه إلا هذا، فلم يذكر كثيراً إلا ذمه، و لم يذكر قليلا إلا مدحه، والقليل في الطاعة هم الجماعة، والكثير في المعصية هم أهل البدع.

قال خالد بن صفوان: فَبَسَر الشامي فلا أحْلَى ولا أمَرّ، وسكت الشاميون فلم يجيبوا لا بقليل ولا بكثير، ثم قاموا من عنده فقالوا لصاحبهم: فعل اللّه بك وفعل، غررتنا وزعمت أنك لا تدع له حجة إلا كسرتها، فَخَرِسْتَ فلم تنطق.

فقال لهم: ويلكم، كيف أكلم رجلا إنما حاجّني بكتاب اللّه، فلم أستطع أن أكذّب كتاب اللّه تعالى.

فكان خالد بن صفوان يقول بعد ذلك: ما رأيت في الدنيا قرشياً ولا عربياً يزيد في العقل والحجج والخير على مولانا أمير المؤمنين أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين ــ صلوات اللّه وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين.

[تم بحمد اللّه]

---

(١) ــ إلى هنا انتهى ما في أنوار اليقين.

من رسائل الإمام زيد بن علي(ع)

١- رسالة الإمام زيد بن علي(ع) إلى علماء الأمة.

٢- رسالة الإمام زيد بن علي(ع) في الحقوق.

٣- الرسالة المدنية.

رسالة الإمام زيد بن علي(ع) إلى علماء الأمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.

إلى علماء الأمة الذين وجبت لله عليهم الحجة، من زيد بن علي بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

سلام على أهل وَلاَية الله وحزبه.

ثم إني أوصيكم مَعْشَر العلماء بحظّكم من الله في تقواه وطاعته، وأن لا تبيعوه بالمَكْس(١) من الثَّمَن، والحقير من البَذل، واليسير من العوَض، فإن كل شيء آثرتموه وعَملتم له من الدُّنيا ليس بخَلَف ممازيّن الله به العلماء من عباده الحافظين لرعاية ما استرعاهم واستحفظهم من أمره ونهيه، ذلك بأن العاقبة للمتقين، والحَسْرَةَ والنَّدامة والويل الدائم للجائرين الفاجرين.

[الاعتبار بحال الأحبار والرهبان]

فتفكّروا عباد الله واعتبروا، وانظروا وتَدَبّروا وازدجروا بما وعظ الله به هذه الأمّة من سوء ثنائه على الأحْبار والرُهبان.

إذ يقول: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

وإنما عاب ذلك عليهم بأنهم كانوا يشاهدون الظَّلمة الذين كانوا بين ظهرانيهم يأمرون بالمنكر، ويعملون الفساد، فلا ينهونهم عن ذلك، ويرون حق الله مُضيّعاً، ومالَ الله دُولة يؤكل بينهم ظلماً، ودولة بين الأغنياء، فلا يَمْنعون من ذلك، رَغْبَةً

(١) ــ المكس: الحقير الناقص التافه.

فيما عندهم من العَرَض الآفل، والمنزل الزائل، ومُداهنة منهم على أنفسهم.

وقد قال الله عز وجل لكم: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ [لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]،] كيما تحذروا.

وإذا رأيتم العَالِم بهذه الحالة والمَنْزِلة أنزلتموه منزلة مَن عَاثَ في أموال الناس بالمُصَانَعة[١]، والمُدَاهنة، والمُضَارعة[٢] لظَلَمَه أهل زمانهم، وأكابر قومهم، فلم ينهوهم عن منكر فعلوه؛ رغبة فيما كانوا ينالون من السُّحت[٣] بالسكوت عنهم.

وكان صُدُودُهم عن سبيل الله بالإتِّباع لهم، والإغترار بإدْهَانهم، ومقاربتهم الجائرين الظالمين المفسدين في البلاد؛ ذلك بأن أتباع العلماء يختارون لأنفسهم ما اختار علماؤهم، فاحذروا علماء السوء الذين سلكوا سبيل من ذَمَّ اللَّه وباعوا طاعة الله الجائرين[٤].

إن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ [الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة: ٤٤]].

فعاب علماءَ التوراة والإنجيل بتركهم ما استحفظهم من كتابه ــ وجَعَلَهم عليه

---

(١) ــ المصانعة: الرشوة والمداراة والمداهنة. تمت قاموس.

(٢) ــ المضارعة: التقرب في مرواغة. تمت قاموس.

(٣) ــ السحت: الحرام.

(٤) ــ إما أن تكون الجائرين هنا صفة لعلماء السوء، أو يكون المعنى بأن علماء السوء باعوا دينهم من الجائرين.

شهداء ـــ خَشْيَةَ الناس، ومواتاة[1] للظالمين، ورضىً منهم بأعمال المفسدين. فلـــم يؤثروا الله بالخشية فَسَخِط الله عليهم لَمَّا اشتروا بآياته ثمناً قليلاً، ومتاعاً من الدنيـــا زائلاً.

والقليل عند الله الدنيا وما فيها من غَضَارَتِهَا[2] وعيشتها ونعيمها وبهجتها في ذلك بأن الله هو عَلاَّم الغيوب، قد عَلِمَ بأن ركوبَ معصيتِه، وركوب طاعتِه، والمُداهنة للظلمة في أمره ونهيه، إنما يلحق بالعلماء للرَّهْبة والرَّغبة من عند غير اللّـــه، لأنهـــم علماء بالله، وبكتابه، وبسُنَّة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

ولعَمْري لو لم يكن نال علماءَ الأزمنة من ظلمتها وأكابرها ومفســـديها شـــدةٌ وغلظة وعداوة ما وَصَّاهم الله تعالى وحذَّرهم، ذلك أنهم ما ينالون ما عنـــد اللّـــه بالهوينا، ولا يخلدون في جنته بالشهوات.

فكره الله تعالى للعلماء ـــ المُسْتَحْفَظِين كُتُبَه وسُنَّته وأحكامـــه ـــــ تـــرك مـــا اسْتَحْفَظَهم، رغبةً في ثواب مَنْ دُونَه، ورهبةَ عقوبةِ غيره.

[فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

وقد مَيَّزَكم الله تعالى حَقَّ تمييز، ووسَمَكم سِمَةً لا تخفى على ذي لُبٍّ، وذلـــك حين قال لكـــم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُـــمْ أَوْلِيَـــاءُ بَعْـــضٍ [يَـــأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُـــونَ اللَّـــهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]].

فبدأ بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم بفضيلة الآمريـــن بـــالمعروف والنَّاهين عن المنكر عنده، وبمنزلة القائمين بذلك من عباده.

---

(١)ـــ المواتاة: التقرب والتوسل

(٢) ـــ غضارة الدنيا: النعمة والسعة والخصب. تمت قاموس.

ولعَمْري لقد استفتح الآية في نَعْت المؤمنين بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاعتبروا عباد الله وانتفعوا بالموعظة.

وقال تعالى في الآخرين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾[التوبة:٦٧].

فلعَمْري لقد استفتح الآية في ذمهم بأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف، فاعتبروا عباد الله وانتفعوا، واعلموا أن فريضة الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا أُقيمت له استقامت الفرائض بأسرها، هيِّنها وشَدِيدُها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو: الدعاء إلى الإسلام[1]، والإخراج من الظُّلْمَة، وردّ الظالم، وقسْمَة الفَيء والغنائم على منازلها، وأخذ الصَّدقات ووضعها في مواضعها، وإقامة الحدود، وصِلَة الأرحام، والوفاء بالعهد، والإحسان، واجتناب المَحارم، كل هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله تعالى لكم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]، فقد ثَبَتَ فرضُ الله تعالى، فاذكروا عهد الله الذي عاهدتموه وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة:٧].

[مكانة العلماء وواجبهم]

عباد الله فإنما تصلح الأمورُ على أيدى العلماء، وتفسد بهم إذا باعوا أمر الله تعالى ونهيه بمعاونة الظالمين الجائرين، فكذلك الجهال والسفهاء إذا كانت الأمور في أيديهم، لم يستطيعوا إلا بالجهل والسَّفَه إقامتها، فحينئذ تَصْرُخُ المواريث،

(١)ـ في حاشية الأصل: في الأم: فإذا ترك الدعاء إلى الإسلام.

وتضح الأحكام، ويفتضح المسلمون(١).

وأنتم أيها العلماء عصابةٌ مشهورة، وبالورع مذكورة، وإلى عبادة اللّه منسوبة، وبدراسة القرآن معروفةٌ، ولكم في أعين الناس مهابةٌ، وفي المدائن والأسواق مكرمةٌ، يهابكم الشّريف، ويكرمكم الضّعيف، ويرهبكم من لا فضل لكم عليه، يُبدأ بكم عند الدُعْوَة والتُحْفَة(٢)، ويشار إليكم في المَجَالس، وتشفعون في الحاجات إذا امتَنَعَت على الطَّالبين، وآثاركم مُتَّبعَةٌ، وطُرُقُكُم تُسلّك، كل ذلك لما يرجوه عندكم مَنْ هُوَ دونكم منْ النّجاة في عرفان حق اللّه تعالى، فلا تكونوا عند إيثار(٣) حق اللّه تعالى غافلين، ولأمره مضيّعين، فتكونوا كالأطباء الذين أخذوا ثَمَنَ الدَّواء واعْطَبُوا المرضى، وكرُعَاةٍ استوفوا الأجر وضلوا عن المرعى، وكحراس مدينة أسلموها إلى الأعداء، هذا مثل علماء السوء.

لا مالاً تبذلونه لله تعالى، ولا نفوساً تُخاطرون بها في جَنْبِ اللّه تعالى، ولا داراً عطلتموها، ولا زوجة فارقتموها، ولا عشيرة عاديتموها.

فلا تتمنوا ما عند اللّه تعالى وقد خالفتموه، فترون أنكم تَسْعَوْن في النُّور، وتَتَلَقَّاكم الملائكة بالبشارة من اللّه عز وجل؟ كيف تطمعون في السّلامة يوم الطامّة؟! وقد أخْدَجْتُم الأمانة(٤)، وفارقتم العِلْمَ، وأدْهَنتم في الدين، وقد رأيتم عهد اللّه منقوضاً، ودينه مبغوضاً، وأنتم لا تفزعون، ومن اللّه لا ترهبون، فلو صبرتم على الأذى، وتحملتم المؤنة في جنب اللّه لكانت أمور اللّه صادرة عنكم، وواردة إليكم.

---

(١)ــ الافتضاح هنا هو التفريط والتقصير.

(٢) ــ التحفة: بالضم البر واللطف. تمت قاموس.

(٣) ــ الإيثار: التقدم والتفضل.

(٤) ــ أخدجتم: نقصتم.

عباد الله لا تُمَكِّنوا الظالمين من قِيادكم(١) بالطمع فيما بأيديهم من حُطامِ الدنيا الزائل، وتراثها الآفل، فتخسروا حظكم من الله عز وجل.

عباد الله استقدموا إلى الموت بالوثيقة في الدين، والإعتصام بالكتاب المتين، ولا تعجبوا بالحياة الفانية، فما عند الله هو خير لكم، وإن الآخرة هي دار القرار.

عباد الله انْدُبوا الإيمان، ونوحوا على القرآن، فوالذي نفس (زيد بن علي) بيده لن تنالوا خيراً لا يناله أهلُ بيتِ نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم، ولا أصبتم فضلاً إلا أصابوه فأصبتم فضله.

[خطاب لعلماء السوء]

فيا علماء السوء أكببتم على الدنيا وإنها لناهية لكم عنها، ومحذرة لكم منها، نَصَحَتْ لكم الدنيا بتصرفها فاستَغْشَشْتُمُوها، وتَقَبَّحَتْ لكم الدنيا فاستحسنتمُوها، وصَدَقَتْكم عن نفسها فكذَّبتمُوها.

فيا علماء السوء، هذا مِهادكم الذي مَهَدْتُمُوه للظالمين، وهذا أمانكم الذي ائْتُمِنْتُموه(٢) للخائنين، وهذه شهادتكم للمبطلين، فأنتم معهم في النار غداً خالدون: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر:٧٥]، فلو كنتم سلَّمتم إلي أهل الحق حقهم، وأقْرَرْتم لأهل الفضل بفضلهم، لكنتم أولياء الله، ولكنتم من العلماء به حقاً الذين امتدحهم الله عز وجل في كتابه بالخشية منه.

فلا أنتم علَّمتم الجاهل، ولا أنتم أرشدتم الضَّال، ولا أنتم في خلاص الضعفاء تعملون، ولا بشرط الله عليكم تقومون، ولا في فِكَاكِ رقابكم، ولا السلبَ إلا

(١) ـــ القِيَاد كالمِقْوَد بالكسر: ما يقاد به. تمت قاموس. واستعماله هنا مجاز، وهو حقيقة في ما يُقَاد.
(٢) ـــ ائتمنتموه بمعنى أَمِنْتُمُوه، وجعلتموها أميناً.

سلبكم.

يا علماء السوء اعتبروا حالكم، وتفكروا في أمركم، وستذكرون ما أقول لكم.

يا علماء السوء إنما أمنتم عند الجبّارين بالإدْهَان، وفزتم بما في أيديكم بالْمُقَارَبَـــة، وقربتم منهـــم بالْمُصَانَعَة(١)، قد أبحتم الدين، وعطلتم القرآن، فعاد عملكم حجة لله عليكم، وستعلمون إذا حَشْرَجَ الصّدر، وجاءت الطامة، ونزلت الدّاهية.

يا علماء السوء أنتم أعظم الخلق مصيبة، وأشدهم عقوبة، إن كنتم تعقلون، ذلك بأن الله قد احتج عليكم بما استحفظكم؛ إذ جعل الأمور ترد إليكم وتصدر عنكـــم، الأحكام من قِبَلكم تُلْتَمَس، والسُّنن من جهتكم تختبر، يقول المتبعون لكـــم: أنتـــم حجتنا بيننا وبين ربنا. فبأي منزلة نزلتم من العباد هذا المنزلة؟

فوالذي نفس (زيد بن علي) بيده لو بينتم للناس ما تعلمون ودعوتموهم إلى الحق الذي تعرفون، لتَضَعْضَعَ بُنْيَان الجبّارين، ولتهدّم أساس الظالمين، ولكنكم اشـــتريتم بآيات الله ثمناً قليلا، وادْهَنتم في دينه، وفارقتم كتابه.

هذا ما أخذ الله عليكم من العهود والمواثيق، كي تتعاونوا على البـــر والتقـــوى، ولاتعاونوا على الإثم والعدوان، فأمْكَنتم الظلمة من الظلم، وزيّنتـــم لهـــم الجَـــورَ، وشَدَدْتم لهم ملكهم بالمعاونة والمقارنة، فهذا حالكم.

فيا علماء السوء محوتم كتاب الله محواً، وضربتم وجه الدين ضرباً، فَنَـــدَّ(٢) والله نَدِيْدَ البَعِيْرِ الشـــارد، هرباً منكم، فبسوء صنيعكم سُفكَت دماء القـــائمين بدعـــوة الحق من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ورُفِعَت رؤوسهم فـــوق الأســـنة، وصُفّدوا في الحديد، وخَلَصَ إليهم الذُل، واستشعروا الكَرْب، وتَسَرْبَلوا الأحـــزان،

(١) ــ المصانعة: المداراة والمداهنة والرشوة.

(٢) ــ ند البعير: شرد ونفر. مخت قاموس.

يتنفسون الصُّعَداء[1]، ويتشاكون الجهد؛ فهذا ما قدمتم لأنفسكم، وهذا ما حملتموه على ظهوركم، فالله المستعان، وهو الحكم بيننا وبينكم، يقضي بالحق وهو خيرُ الفاصلين.

[دعوته - عليه السلام - إلى نصر الحق]

وقد كتبت إليكم كتاباً بالذي أريد من القيام به فيكم، وهو: العمل بكتاب الله، وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبالكتاب قَوَام الإيمان، وبالسُّنَّة يثبت الدين، وإنما البدع أكاذيب تُختَرَع، وأهواء تُتَّبع، يتولى فيها وعليها رجالٌ رجالاً صدُّوهم عن دين الله، وذادوهم عن صراطه، فإذا غيَّرها المؤمن، ونهى عنها المُوَحِّد، قال المفسدون: جاءنا هذا يدعونا إلى بدعة!!

وأيم الله ماالبدعة إلا الذي أحدث الجائرون، ولا الفساد إلا الذي حكم به الظالمون، وقد دعوتكم إلى الكتاب فأجيبوا داعي الله وانصروه.

فوالذي بإذنه دَعَوْتُكم، وبأمره نصحتُ لكم، ما ألتمس أَثَرَةً على مؤمن، ولا ظلماً لمُعَاهد، ولوددت أني قد حميتكم مَرَاتع[2] الهَلَكَة، وهديتكم من الضلالة، ولو كنت أُوْقِدُ ناراً فأقذفُ بنفسي فيها، لا يقربني ذلك من سخط الله، زهداً في هذه الحياة الدنيا، ورغبة مني في نجاتكم، وخلاصكم، فإن أجبتمونا إلى دعوتنا كنتم السعداء والمَوْفُوْرين حظاً ونصيباً.

عباد الله انصحوا داعي الحق، وانصروه إذا قد دعاكم لما يحييكم، ذلك بأن الكتاب يدعو إلى الله وإلى العدل والمعروف، ويزجر عن المنكر.

فقد نَظرنا لكم وأردنا صلاحكم، ونحن أولى الناس بكم، رسولُ الله صلى الله

---

(١)ـــ الصُّعَدَاء كبُرَحاء: تنفس طويل. تمت قاموس.

(٢) ـــ المراتع، جمع مَرْتَع وهي مواضع الرتع. تمت.

عليه وآله وسلم جَدُّنا، والسابقُ إليه المؤمن به أبونا، وبنته سيدة النّسوان أمُّنا، فمـــن نَزَل منكم منزلتنا؟ فسارعوا عباد الله إلى دعوة الله، ولا تنكلوا عن الحق، فبـــالحق يُكَبَّتُ[1] عَدُوُّكم، وتُمَنع حريمكم، وتأمن ساحتكم.

وذلك أنا ننزع الجائرين عن الجنود، والخزائن، والمدائن، والفيء، والغنائم، ونُثْبِتُ الأمين المؤمن، غير الرّاشي والمرتشي الناقض للعهد؛ فإن نَظْهَر فهـــذا عهدنـــا، وإن نستشهد فقد نصحنا لربنا، وأدينا الحق إليه من أنفسنا، فالجنة مثوانا ومنقلبنا، فـــأي هذا يكره المؤمن، وفي أي هذا يرْهَب المسلم؟ وقد قال الله عز وجل لنبيه صلى اللّـــه عليه وآله وسلم: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنْ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَـــنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

وإذا بدأت الخيانة، وخُرِبَت الأمانة، وعُمِل بالجور، فقد افتضح الوالي. فكيـــف يكون إماماً على المؤمنين من هذا نعته وهذه صفته؟!

اللهم قد طلبنا المعذرة إليك، وقد عَرَّفْتَنَا أنك لا تُصلح عَمَلَ المفسدين، فـــأنت اللهم ولينا، والحاكم فيما بيننا وبين قومنا بالحق.

هذا مانقول وهذا ما ندعوا إليه، فمن أجابنا إلى الحق فأنت تُثِيبه وتجازيه، ومـــن أبى إلا عُتواً وعناداً فأنت تعاقبه على عتوه وعناده.

فالله الله عباد الله أجيبوا إلى كتاب الله، وسارعوا إليه، واتخذوه حَكَماً فيما شَجَر بينكم، وعدلاً فيما فيه اختلفنا، وإماماً فيما فيه تنازعنا، فإنا بـــه راضـــون، وإليـــه منتهون، ولما فيه مُسْلِمون لنا وعلينا، لانريد بذلك سلطاناً في الدنيا، إلا ســـلطانك، ولا نلتمس بذلك أثرة على مؤمن، ولا مؤمنة، ولا حُرٍّ، ولا عبد.

عباد الله فأجيبونا إجابة حَسَنة تكون لكم البشرى بقول الله عز وجل في كتابه:

(١) ـــ كبته يكبته: صرعه وأخزاه وصرفه وكسره، ورد العدو بغيظه وأذله. مخت قاموس.

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي(١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]، ويقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣].

عباد الله فاسرعوا بالإنابة وابذلوا النصيحة، فنحن أعلم الأمة بالله، وأوعى الخلق للحكمة، وعلينا نزل (القرآن)، وفينا كان يهبط (جبريل) عليه السلام، ومن عندنا اقتبس الخير، فَمَنْ عَلِمَ خيراً فمنا اقتبسه، ومن قال خيراً فنحن أصله، ونحن أهل المعروف، ونحن النّاهون عن المنكر، ونحن الحافظون لحدود الله.

عباد الله فأعينونا على من استعبد أمتنا، وأخرب أمانتنا، وعَطَّل كتابنا، وتَشَرَّف بفضل شرفنا، وقد وثقنا من نفوسنا بالمضي على أمورنا، والجهاد في سبيل خالقنا، وشريعة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، صابرين على الحق، لا نجزع من نائبة مَن ظَلَمَنا ، ولا نَرْهَبُ الموتَ إذا سَلِمَ لنا دينُنا ، فتعاونوا تنصروا، يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ويقول الله عز وجل: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(٤٠)الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ ــ ٤١].

عباد الله فالتمكين قد ثبت بإثبات الشريعة، وبإكمال الدين بقول الله عز وجل: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾[الذاريات: ٥٤]، وقال الله عز وجل فيما احتج به عليكم : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

عباد الله فقد أكمل الله تعالى الدِّين، وأتم النعمة، فلا تنقصوا دين الله من كَمَاله، ولا تُبَدِّلوا نعمة الله كفراً فيحل بكم بأسه وعقابه.

عباد الله إن الظالمين قد استحلوا دماءنا، وأخافونا في ديارنا، وقد اتخذوا

خُذْلانَكم حجة علينا فيما كرهوه من دعوتنا، وفيما سفهوه من حقنا، وفيما أنكروه من فضلنا.

عباد الله، فأنتم شركاؤهم في دمائنا، وأعوانهم في ظلمنا، فكلُّ مالٍ لله أنفقوه، وكل جمعٍ جمعوه، وكل سيف شَحَذُوه[1] وكل عدل تركوه، وكل جور رَكِبـــوه، وكل ذمة لله تعالى أخفروها[2]، وكل مسلم أذلوه، وكل كتاب نَبَذوه، وكل حكمٍ لله تعالى عطّلـــوه، وكل عهد لله نقضوه فأنتم المعينون لهم على ذلك بالســـكوت عن نهيهم عن السوء.

عباد الله إن الأحبار والرُّهبان من كل أمة مسؤلون عما استحفظوا عليه، فأعِدُّوا جواباً لله عز وجل على سؤاله.

اللهم إني أسألك بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم تثبيتاً منك علـــى الحـــق الذي ندعوا إليه وأنت الشهيد فيما بيننا، الفاصل بالحق فيما فيه اختلفنا، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة.

والسلام على من أجاب الحق، وكان عوناً من أعوانه الدالين عليه.

[تمت رسالة الإمام زيد إلى العلماء بحمد الله ومَنّه]

(١) ــ شحذ الكسين، كمنع: أحدّها. تمت قاموس.

(٢) ــ أخفره: نقض عهده.

رسالة الحقوق

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ أبو القاسم عبد العزيز [بن إسحاق البغدادي]: حدثني محمد بن بشير الرَّقِّي، عن أبي خالد الواسطي، قال: كتب أبو الحسين زيد بن على عليهما السلام هذه الرسالة.

قال مالك بن عطية: قلت لأبي خالد لمن كتبها؟

قال: سَأَلَهُ أبو هاشم الرُّمَّاني فقال: جعلت فداك أخبرني بحقوق اللّه علينا.

قال أبو خالد الواسطي ــ رحمه الله تعالى: فكتب لنا هذه الرسالة، وقال لنا: تدارسوها وتعلموها وعلموها من سألكم، فإن العالم له أجرُ من تعلّم منه وعَمِلَ، والعالم له نور يضيء له يوم القيامة بما علّم من الخير، فتعلموها وعلموها، فإنه بمن علّم وعمل كان ربانياً في ملكوت السماوات.

قال أبو خالد رحمه اللّه تعالى: فكتبناها من زيد بن علي عليهما السلام، وقرأها عليه أبو هاشم الرماني، وكان يَدْرُسها ويقول: لو رعاها مؤمن كانت كافية له.

قال زيد بن علي عليهما السلام:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جعلكم اللّه من المهتدين إليه، الدّالين عليه، وعَصَمَكم من فِتْنة الدنيا، وأعاذكم من شَرِّ المنقلب، والحمد لله على ماهدانا وأولانا، وصلى اللّه على جميع رسله وأوليائه، وخص محمداً صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً، أما بعد:

فإنكما سألتماني عن حُقُوق اللّه عز وجل، وكيف يسلم العبد بتأديتها وكمالها؟ واعلموا أن حقوق اللّه عز وجل مُحِيْطَةٌ بعباده في كل حَرَكة، وسبيل، وحال،

ومنزل، وجارحة، وآلة. وحقوق اللّه تعالى بعضها أكبر من بعض.

فأكبر حقوق اللّه تعالى ما أوجب على عباده من حقه، وجعله أصلاً لحقوقه، ومِنْهُ تَفَرَّعت الحقوق. ثم ما أوجبه من قَرْن العبد إلى قَدَمه على اختلاف الجوارح، فجعل للسان حقاً، وللبَصَر حقاً، ولليدين حقاً، وللقدمين حقاً، وللبطن حقاً، وللفَرْج حقاً، فبهذه الجوارح تكون الأفعال.

وجعل تعالى للأفعال حقوقاً؛ فجعل للصلاة حقاً، وللزكاة حقاً، وللصوم حقـــاً، وللحج حقاً، وللجهاد حقاً، وجعل لذي الرَّحم حقاً.

ثم إن حقوق اللّه تتشعب منها الحقوق، فاحفظوا حقوقه.

فأما حقه الأكبر فأن يعبده العارف الْمُحْتَجُّ عليه وأن لا يشرك به شيئاً، فإذا فعل ذلك بالإخلاص واليقين فقد تضمن له أن يكفيَه، وأن يجيره.

ولله عز وجل حقوق في النفوس: أن تستعمل في طاعة اللّه تعالى بالجوارح، فمن ذلك: اللسان، والسمــع، والبصر، قال اللّه عز وجـــل في كتابـــه: ﴿إِنَّ السَّـمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[الإسراء:٣٦].

فاللسان: يُنَزِّهُهُ عن الزُّور، والكذب، والخَنَاء، ويقيمه بالحق لا يخاف في اللّه لومة لائم، ويحمله آداب اللّه، لموضع الحاجة إليه، وذلك أن اللسان إذا ألِفَ الزُّور اعْوَجَّ عن الحق، فذهبت المنفعة به وبقي ضرره، وقـــد قال أمير المؤمنين علي بـــــن أبـــي طالب صلوات اللّه عليه وسلامه: (يُعْرَف ذو اللبِّ بلسانه).

وقال صلوات عليه: (المرء مخبوء تحت لسانه).

وقال صلوات اللّه عليه وسلامه: (لسان ابن آدم قَلَمُ الْمَلَك، وريقه مداده، يا ابـــن آدم فَقَدِّم خيراً تغنم، أو اصمت عن السوء تسلم).

وحق اللّه على المؤمن في سمعه: أن يحفظه من اللّغو، والإستماع إلى جميــــع مـــا يكرهه اللّه تعالى، فإن السَّمع طريق القلب، يجب أن تَحْذَر ما يَسْلُك إلى قلبك.

وحق الله في البصر: غَضُّه عن المحظورات ما صَغُرَ وما كَبُرَ، ولا تمده إلى ما متّع الله به الْمُتْرَفين، واتْرُك انتقال البَصَرِ في مالا خير فيه، ولكن ليجعل المؤمن نظره عِبَراً، فإن النَّظر باب الإعتبار.

وحق الله في اليَدَيْن: قبضهما عن المُحَرَّمات في التَّناول، واللَّمْس، والبطش، والأثَرَة، ولكن يبسطهما في الخيرات، والذب عن الدين والجهاد في سبيل الله.

وحق الله تعالى في الرِّجْلَين: لا يسعى بهما إلى مكروه، فكل رِجْل سعت إلى ما يكره الله تعالى فهي من أرجل إبليس لعنه الله تعالى.

وحق الله في البَطْن: أن لا يجعله وعاء للحرام، فإنه مسؤول عنه، وقد كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه يقول: (نِعْمَ الغريم الجوف، أي شيء تقذفه إليه قَبِلَه منك)، وقال صلوات الله عليه وسلامه في البطن: (ثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنَّفَس)، وقال صلوات الله عليه وسلامه: (إذا طعمتم فصلوا واصبف الطعام، فأَخَفُّ الطعام، وأطيبه وأمرأه وأثراه الحلال)، وقال صلوات الله عليه: (ويجب أن يقتصد في أكله وشربه، فإن كثرة الأكل والشرب مقساة للقلب).

وحق الله في الطعام: أن يُسَمِّي إذا ابتدأ، وأن يحمده إذا انتهى، والشبع المليًا هو مَكْسَلَةٌ، ولا خير في العبد حينئذ.

وحق الله على عبده في فَرْجه: حفظه وتحصينه. وبابه المفتوح إليه هو البصر، فلا تمدّوا أبصاركم إلى ما لا يَحِلُّ لكم، ولاتُتْبِعوا نَظْرَةَ الفجأة نَظْرَةَ العَمْد فتهلكوا، وكفى بذلك معصية وخطيئة، وأخيفوا نفوسكم بالوَعيْد واقْرَعُوها، فَمَنْ قَرَع نفسه وأخافها بالوعيد فقد أبلغ في موعظتها وتحصينها، وتأديبها بأدب الله عز وجل.

ثم حقوق الله تعالى في الصلاة: أن يعلم المصلي أنها وافدته إلى الله عز وجل، ثم فليصلِّ صلاة مُوَدِّع، يعلم أنه إذا أفسد صلاته لم يجد خَلَفاً منها، ومن أفسد صلاته فهو لسائر الفرائض أفسد، وإذا قام العبد إلى الصلاة فليقم مقام الخائف، المِسْكين،

المتواضع، خــاشعاً بالسُّكُون والوَقَار، واحضار المشاهدة بيقين بالله، فإذا كملــت فقد فاز بها، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر(١).

وحقّ اللّه في الصيام: اجتناب الرَّفثِ وفَضُولِ الكلام، وحِفْظِ البَصَــر، وتحريــم الطعام، والشراب، والصوم جُنّة من النار، ومن يَعْطَش لله جل ثناؤه أرواه من الرحيق المختوم في دار السلام.

وحق اللّه تعالى في الأموال: على قَدْرها، فما كان من زكاة فإخراجهــا عنــد وجوبها، وتسليمها إلى أهلها، فإن أخرجتموها إلى غير أهلها فهي مَضْمُونَة لأهلهــا في جميع المال، وهي إذا لم تُخرَج إلى أهلها مَخبّثةٌ لجميع المال، فيجب إخراجها بيقين وإخلاص، فتلك من أفضل الذّخائر عند اللّه عز وجل وهي مقبولة.

وإذا توجه العبد إلى اللّه بقَصْدٍ ونيَّة أقبل إليه بالخير، وإذا اهتدى زاده هدايــة في هدايته إليه، وبَصَّرَه وعَرَّفه طريق نجاته، فإنما يريد اللّه اليُسْر وهو الهــادي، وهــو المُسْعِف بالقوة على صعوبة الحق وثِقَله على النفوس.

ومن علامات القاصد إلى اللّه إقبال قَلْبه وجوارحه، وإرشاد النفس واســتعبادها بالتذلّل والخشوع والخشية له، السّالمة من الرِّياء، والتخلص من السمعة بالصلاح.

وحق اللّه على عبده في أئمة الهدى: أن ينصح لهم في السِّر والعلانية، وأن يجاهد معهم، وأن يبذل نفسه دُونَهم، إن كان قادراً على ذلك من أهل السلامة.

وحق اللّه على عبده في معرفة حقوق العلماء، الدّالين عليه في الأمر والنهي: أن يسألهم إذا جَهل، وأن يَعْرِفَ لهم حقهم في تعليم الخير.

وحقّ اللّه على العالم في علمه: أن لا يمنعه من الطالبين، وأن يغيث به الملهوفين.

وحقّ اللّه على المالك في مِلْك يده: أن لا يكلفه من العمل فوق طاقته، وأن يُلِينَ

(١)- اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ(٤٥)﴾ [العنكبوت].

له جانبه، فإنما هو أخوه ملّكه اللّه تعالى إيّاه، وله حقه وكسوته ومطعمه ومشـــربه، وما لا غناية له عنه.

وحق اللّه في برّ الوالدين [الإحسان إليهما[١]] فلو علم اللّه شيئاً هو أقلّ مــــن: (أف) لحرمه منهما فــ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِــــيرًا﴾ [الإسراء:٢٣ــ ٢٤].

وحق اللّه في الأخ: أن تنصحه، وأن تبذل له مَعْرُوفَكَ إذا كان محتاجاً وكنت ذا مال، فقد عَظّم اللّه شأن الأخ في اللّه عز وجل، فأخوك في اللّه هــــــو شــقيقك في دينك، ومُعِيْنك في طاعة اللّه عز وجل.

وحق اللّه تعالى على العبد في مولاه المُنْعِم عليه: أن يعلم أنه أنفق فيــــه مالـــه، وأخرجه من ذُلّ العبودية، فهذا يجب حقه في النصيحة له، والتعظيم لمعرفة ما أتى من الخير.

وحق اللّه في تعظيم المُؤَذِّنِيْنَ وهو: أن يعلم العبدُ ما قاموا به وما دَعَــــوا إليــــه، فيدعوا لهم بلسانه، ويَوَدُّهم بباطنه، ويُوَقِّرُهم في نظره.

وحق اللّه في أئمة المؤمنين في صلاتهم: أن يَعْرِف لهم حقهم بما تقلدوه وبما قاموا به، وأن يدعو لهم بالإرشاد والهداية، وقد قال رسول اللّه صلـــى الله عليــــه وآلـــه: ((تخيروا الأئمة فإنهم الوافدون بكم إلى اللّه عز وجل)).

وحق اللّه في الجليس: أن تلين له كَنَفَك، وأن تُقْبِل عليــــه في مجلســـك، وأن لا تحرمه محاورتك، وأن تحدثه من منطقك، وأن تختصه بالنصح.

وحق اللّه في الجار: حفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته ومعونته، وأن لا تتبع

(١)ــ ما بين القوسين زيادة.

له عورة، وأن لا تبحث له عن سوء، فإن عَلِمْتَ له أمراً يخافه فكـــن لـــه حِصنـــاً حصيناً، وستراً سَتِيْراً فإنه أمانة.

وحقوق اللّه كثيرة، وقد حَرّم اللّه الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فجانبوا كل أمر فيه رِيبَة، ودعوا ما يريب إلى مالا يريب، والسلام.

[تمت بحمد الله رسالة الحقوق]

الرسالة المدنية

مجموعة من جوابات الإمام زيد على أسئلة وردت إليه من المدينة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله.

قال الحسين بن زيد بن علي عليهم السلام: كتب أبي إلى أخٍ له من أهل المدينة كتاباً [قال فيه]:

سلام عليك أما بعد: فإنا روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((الإيمانُ بضعٌ وستون شعبة أعلاها شهادة أن لاإله إلا الله)) وحده لا شريك له والإقرار برسله عليهم السلام، والإيمان بهم، والتصديق بما بُعثوا به ((وأدناها إماطَةُ الأذى عن الطريق)).

والإيمان: قولٌ باللسان، وتصديقٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، إذا ذهب شيء من ذلك تَبِعَهُ الآخَر. والإيمان: نُزْهَةٌ فنزِّهوا الإيمان من الخبائث، واجتنبوا قَوْلَ الزُّور.

* ذكرت أن قوماً قِبَلك يتولون قوماً مضوا على الإحداث في الدين، واتخذوا ذلك سنة. قلتَ: وهم لا يعلمون ذلك.

أحببتَ أن تعلم رأيي في ذلك، فمن شهد للمُحْدِثين في دين الله تعالىأنهم من أهل الحق، وهو لا يعلم ذلك، فقد تهوك[1] في الباطل، واتبع هواه بغير هداية من الله، ولو علمهم مبطلين فشهد أنهم كانوا محقين، تمرداً وعتواً، كان في النار أشدَ عذاباً من الشاهد الذي لا يعلم، فإن الله عز وجل قد قال في هؤلاء: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]،

(١) ــ التهوك: الدخول في الشيء بدون نظر ولا مبالاة.

وقال اللّه سبحانه: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، فقد حذر اللّه تعالى بقوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا﴾ [الأحزاب: ٦٧]، فهذا كله تحذير، يقولون: قومنا عاندوا اللّه، واتبعوا أهل الجور.

فإياكم والآثار[1]، وأفاعيل أئمة أهل الضلال، فلا تكونوا من المتصلين بالمقارنة، فأئمة الضلالة سامرية، قالوا: لا جهاد في الدين، وخذلوا أهل الحق عند عصمة أمرهم، وفارقوا القرآن. وناكثةٌ نكثوا من إمام الهدى، وحاربوا اللّه بمعصيته، وحرورية مارقة، مرقوا من الدين. وقاسطون، نسوا اللّه فنسيهم، فهؤلاء خلف لهم في زمنك، يجب البراء منهم فَابَرأ منهم، والحمدلله.

* وكتبت تسألني عن الإيمان بالله ووثائقه. فمن وثائق الإيمان الحُبُّ في اللّه، والبغض في اللّه، والولاية في اللّه، والعداوة في اللّه. فأحلف بالله إن الرجل لَيُوقع[2] في إيمانه بالمقاربة لمن خالف اللّه تعالىوعادى أهل ولايته وتولى أعداءه.

* وسألت عن الصلاة مع أئمة الجور، فإن استطعت أن تكون عوناً لمن قصد إلى إزالتهم من المحراب فكن، فإذا ابتليت بهذا فاجعلها نافلة معهم، وأد الفرض عن نفسك.

* وكتبت تسألني عن الزكاة، هل تجزيء إذا أدّيت إلى أئمة الجور؟ فمعاذ اللّه، إنما الصدقات لأهلها، والزكوات مضمونة لله حتى تؤدى إلى أهلها، وكذلك خُمُس الغنيمة، فلا تركن في ذلك إلى القاسقين من علماء السوء وأعوان الجبارين؛ فإنه لا رخصة في ذلك.

---

(١) - بمعنى إياكم واتباع آثار أئمة الضلال.

(٢) - الإيقاع بمعنى التنقيص والإسقاط.

* **وكتبت تسألني عن الفِرَق**[١] **في سلطانهم**، فالذي آخذ به لنفسي أن لا أكثّر لهم سواداً، وأن لا أكمّل لهم صفاً، فإذا ابتليت بذلك، فكن أمة وحدك، فما أهلك الناس إلا إتباع الرؤوس المبتدعين في دين اللّه، ما بالك والقدوة في الشــر، فإنــه لا قدوة إلا في الخير وأهل الخير، ولا تنظر إلى الرجال ولكن أنظر إلى أعمالهم، واعتــبر أعمالهم بالكتاب، وأعرض آثارهم على القرآن، فإن رأيتها متبعة للقرآن فالعــاملون بها هداة، وإن رأيتها مفارقة للقرآن فالعاملون بها ضُلاّل، فاحفظ حفظك اللّه مــا كتبتُ إليك، فإن الموعظ والواعظ مشتركان في الخير.

* **وكتبت تسألني عن رواة الصحابة للآثار** عن الرسول صلى اللّه عليــه وآلــه وسلم، وقلت: إنك قد نظرت في روايتهم فرأيت فيها ما يخالف الحق. فاعلم يرحمك اللّه أنه ما ذهب نبي قط من بين أمته إلا وقد أثبت اللّه حججه عليهم، لئلا تبطــل حجج اللّه وبيِّناته، فما كان من بدعة وضلالة فإنما هو من الحَدَث الذي كان مــن بعده، وإنه يكذب على الأنبياء صلوات اللّه عليهم وسلامه.

وقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((أعرضوا الحديث إذا سمعتمــوه على القرآن فما كان من القرآن فهو عني وأنا قلته، وما لم يكن على القرآن فليس عني ولم أقله، وأنا بريء منه[٢])).

وعليك بعلي بن أبي طالب صلوات اللّه عليه وسلامه، فإنه كان باب حكمــة

---

(١) – لعلها بمعنى الأعمال والسلطات المتفرقة مع الظلمة والدخول فيها.

(٢) – خبر العرض على الكتاب: رواه الإمام الهادي إلى الحق في كتاب السنة، والإمــام أبــو الفتــح الديلمي في البرهان، والطبراني في الكبير عن ثوبان (٩٧/٢) رقم (١٤٢٩)، والهيثمي عنه (١٧٠/١)، والسيوطي في الجامع الصغير عن ابن عمر (٧٤/١) رقم (١١٥١)، وهو يدل على صحته بنفسه بدون نظر إلى رواته؛ لأن في أول الحديث: ((سيكذب عليّ كما كذب على الأنبياء من قبلي؛ فما أتاكم عني فاعرضوه...إلخ)).

رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، وكان وصيَّة في أمته، وخليفته على شـــريعته، فإذا ثبت عنه شيء فاشدد يدك به، فإنك لن تضل ما اتبعت علياً صلوات اللّه عليـــه وسلامه.

* **وكتبت تسألني عن أهل بيتي وعن إختلافهم.** فاعلم يرحمك اللّه تعالى أن أهل بيتي فيهم المصيب وفيهم المخطيء، غير أنه لا تكون هداة الأمـــة إلا منهـــم، فـــلا يصرفك عنهم الجاهلون، ولا يزهدك فيهم الذي لا يعلمون، وإذا رأيـــت الرجـــل منصرفاً عن هـــدينا، زاهداً في علمنا، راغباً عن مودتنا، فقد ضل ولا شـــك عـــن الحق، وهو من المبطلين الضالين، وإذا ضل الناس عن الحق، لم تكن الهداة إلا منـــا، فهذا قولي يرحمك اللّه تعالى في أهل بيتي.

* **وكتبت تسألني عن الذين اعتزلوا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام،** ولم يقاتلوا معه، ولم يقاتلوه. والذي أختاره لنفسي ومن أطاعني فيهم مـــن أمتنا، أن القوم لم يكن لهم في الحق بصيرة فارتابوا فيه، فتركهم أمير المؤمنين عليـــه السلام في ريبهم يترددون، وعلى شكهم يقيمون، وحرمهم عطاء المحقين في الدنيـــا أيام حياته، فهذا عافاك اللّه تعالى قولي في المرتابين، الشاكين، الذين قعدوا عن أمـــير المؤمنين سلام اللّه عليه.

فأما حزب أمير المؤمنين، فلا شك في أمرهم، هم حزب اللّه، وحزب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم[1].

* **وكتبت تسألني عن حالي،** فأنا يوم كتبت إليك مفتقر إلى اللّه تعـــالى أدعـــوه وأسأله أن يلحقني بآبائي الشهداء المرزوقين، لزهدي في الدنيا.

---

(١) - يمكن أن نقرأ كلمة (حرب) بوجهين:

الوجه الأول: على نحو ما أثبتناه هنا بالزاء المعجمة.

الوجه الثاني: بالراء المهملة فتكون من المحاربة.

* **وذكرت في كتابك: أن قوماً يقولون:** الإيمان قول باللسان، وإن الفرائض ليست من الإيمان. وإنما يودي إلى الله فرائضه المؤمنون، والإيمان مبني على دعائم وشعب، وللإيمان أول ووسط وآخر.

فأول الإيمان: ما كلف الله هذه الأمة من الإيمان، والإقرار به، وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم قولا، ثم جاءت الفرائض فكانت بعد ذلك الشاهدة[1]، ثم آخر ذلك أن تخرج النفسُ موقنةً مُطمئنةً مُصدِّقةً بما كانت عليه أيام حياتها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا إيمان لمن نكث عهده، ولا إيمان لمن تعرَّب بعد هجرته)).

قيل يا رسول الله: وكيف التعرب بعد الهجرة؟

قال صلوات الله عليه وعلى آله: ((ينكر ما كان عليه معي بعد وفاتي)).

وقال الله عز وجل في كتابه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٤]، والشاكرين: هم الذين اتبعوه على أمره، وكانوا عليه حتى توفاهم الله وهم على ذلك.

* **وذكرت أمر السامرية الذين قالوا: لا قتال،** كما قال إخوانهم من قبلهم: لا مساس، فلو كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمير المؤمنين أمر في ذلك لأمضاه[2]، فأنا أوقفهم ولا أجاهدهم كصنع أمير المؤمنين في سلفهم: سعد[3]،

---

(١) ــ في نسخة: المشاهدة.

(٢) ــ أي: لوكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر عليا عليه السلام بقتال المتوقفين والمتخلفين عنه لقاتلهم كما قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين حين أمره رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بذلك.

(٣)ــ سعد بن أبي وقاص بن مالك بن أهيب القرشي الزهري المكي، أبو إسحاق، أسلم قبل فرض

وابن عمر[١]، وأسامة[٢]، وأبي مرة [٣]، وابن مسلمة[٤]، وذويهم، تَرَكهم أمر المؤمنين في دينهم يترددون، وفي طغيانهم يعمهون، فقد لبس هؤلاء النفر الذين لا يعلمون، ويظن الجاهلون أنما كانوا متورعين، وإنما استماتوا وسئموا وتربصوا لغرّة هذه الأمة، فقد نالوا ما أرادوا من غلبة الدين، وقد لقوا رباً كريماً والله ولي أمرهم، فنقفهم حيث وقفوا، ولا نجوز بهم الأمر الذي عليه عكفوا.

* وذكرت أمر طلحة، والزبير، وعائشة، ومن تبعهم، وما كان منهم من الحرب لأمير المؤمنين عليه السلام.

قلت: إن قوما قالوا: قد تابوا من ذلك، فأحببتَ أن تعلم قولي في ذلك، فقد ثبت عليهم ما أجرموا وإلى الله المصير.

* وذكرت أن قوماً قد أقاموا على سخط الله تعالى وعصيانه، ومخالفته، وأنهم

الصلاة، وشهد بدراً وما بعدها، واعتزل بعد مقتل عثمان، وتخلف عن علي ــ عليه السلام ــ ولم يشهد حروبه، وكان له مع معاوية حين أمره بسب علي ــ عليه السلام ــ مواقف حميدة. توفي بالعقيق ــ على عشرة أميال من المدينة ــ سنة (٥٥هـ) وقيل (٥٨هـ) وعمره بضع وستون سنة.

(١)ــ عبدالله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي، أسلم قديماً بمكة بإسلام أبيه، شهد الخندق وما بعدها، اعتزل الحروب، وتخلف عن علي ــ عليه السلام ــ مع أنه ممن يفضله، وله مع الحجاج موقف عندما ذهب ليبايعه، توفي في زمن عبد الملك بن مروان سنة (٧٣هـ) وهو ابن (٨٤) سنة.

(٢)ــ أسامة بن زيد بن حارثة، القضاعي الكلبي نسباً، الهاشمي ولاءً، أبو زيد المدني، تخلف عن أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ ولم يشهد معه معاركه مع تفضيله لعلي ــ عليه السلام ــ توفي سنة (٥٤هـ) وعمره (٧٥) سنة، توفي بالمدينة.

(٣) ــ لا يوجد فيمن تخلف عن علي من اسمه أبو مرة.

(٤)ــ محمد بن مسلمة بن سلمة أبو عبدالله الأنصاري الأوسي المدني، شهد بدراً وما بعدها، اعتزل أمير المؤمنين وتخلف عن بيعته، توفي بالمدينة سنة (٤٣هـ).

إذا نهو عن ذلك قالوا: اللّه أراد هذا، اللّه قدر هذا. فأرسلوا أنفسهم في الذنـــوب، ولجوا في المعاصي، فإحببتَ أن أكتب إليك ما أرى في ذلك، والذي أقول في ذلـــك وأرضاه: أن تقرأ القرآن وتدبره، فتنظر ما أراده اللّه، وأوجبه فتضيفه إلى اللّه، ومـــا كرهه فتضيفه إلى صانعه.

أرأيت قوله في كتابه: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَـهُ لَكُـمْ﴾ [الزمر: ٧] أرأيت قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقـــرة: ١٨٥]، أرأيت قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَانُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠]، هذا كله قول اللّه عز وجـــل وهـــو أصدق من قولهم.

ثم إني أرتضي لك ألاّ تخرج العاصين من قدرة اللّه تعالى، ولا تعذرهم في معصية اللّه، ومن قال: إنه قد ملك أعماله مع اللّه فقد أشرك بالله، ومن قال: إنه قد ملكها دون اللّه تعالى فقـــد كفر بالله، ولكن القول الذي أرضاه في هذا الباب إتبـــاع(١)، فإذا أطعت شكرت اللّه تعـــالى، وإن عصيت استغفرت اللّه تعالى، فإن اللّه تعـــالى قال لنبيه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـــاتِ﴾ [محمد:١٩]، وقال تبـــارك وتعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَـــوْ شَـاءَ لَهَدَاكُـمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

فإذا رأيت المصرين على الذنوب فالقهم بوجه مبلس(٢)، لترضى اللّه بذلك فإنـــه من أذل أهل معصيته طلباً لما يرضيه أرضاه.

---

(١) ـــ إي إتباع لما ورد في القرآن.

(٢) ـــ الوجه المبلس: يظهر عليه الغضب والإستنكار.

جوابات وفتاوى الإمام زيد(ع)

١- تفسير آيات من كتاب الله تعالى سُئل عنها - عليه السلام -.

٢- جواب الإمام زيد بن علي(ع) على واصل بن عطاء في الإمامة.

٣- جوابه عليه السلام على أحد النصارى.

٤- جوابه عليه السلام على اسئلة بكر بن حارثة.

٥- جوابات على أسئلة متفرقة في : (المهدي - الرَّجْعَة - آية الرد - المتعة - التأمين في الصلاة).

(١) تفسير آيات من كتاب الله تعالى

سُئل عنها الإمام الأعظم الشهيد الأكرم/

أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

فاتحة الكتاب

قال الإمام الشهيد أبو الحسين زيد بن علي؛ عليه وعلى آبائه الصلاة والسـلام: القرآن: اسمُ كتابِ الله تعالى خاصةً ولا يسمى شيئاً من سائر الكتب غيره.

وإنما سمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها، ولسور القرآن أسماء.

فمن ذلك أن الحمد تسمى أم الكتاب؛ لأنه يبدأ بها في أول القرآن فتعاد، ويقرأ بها في كل ركعة، ولها اسم آخر يقال لها فاتحة الكتاب؛ لأنها يفتح بها في المصاحف فتكتب قبل القرآن، ويفتح بها في كل ركعة قبل قراءة ما يقرأ به من السور.

أما قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، فإن الله عز وجل دل عباده على أي إذا أرادوا قولاً أو عمـلاً افتتحو ببسم الله اكما افتتح الله تعالى كلامه، وليجعلوا ذكـر اسـم الله تعالى استعانة منهم نافعة، وتبركاً بالإفتتاح باسمه، كما قال ابن رواحة:

بسـم اللهِ وبـهِ بَدِينـا ولـو عَبَدْنَـا غـيرَهُ شَـقِينا

بدينا بكسرة وهي لغة الأنصار خاصة.

﴿الرَّحْمَنِ﴾: مجازه ذو الرحمة، وكانت العرب لا تعرف الرحمن في أسماء الله تعالى، ولا تسمي الله تعالى به، وكانوا يقولون لعراف[1] اليمامة: رحمن اليمامة، وكان أهل الكتاب يعلمون أنه من أسماء الله تعالى.

فلما أنزله الله تعالى على نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قالت قريش: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان:٦٠]، يقول: إنا لا نعرف هذا الاسم من أسماء الله تعالى، ولا ندعوه بما لا نعرف، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء:١١٠]، يقول: فأي ذلك دعوتموه به فهو اسمه وهو حَسَنٌ.

والرحمن المنّان.

ثم قال: ﴿الرَّحِيمِ(١)﴾، ومجاز الرحيم: الرحمن المترحم الرحيم بعباده، ففي رحمته يتقلبون وبرحمته ما بأنفسهم من نعمة وما سخر لهم في السماء والأرض، وما أنزل عليهم من غيث، وما أخرج لهم من معاش.

ومن رحمته بخلقه أمهلهم في إعطائه وهم يعبدون به غيره، ومن رحمته استتابهم من شتمه وتكذيب كتبه وقتل رسله و لم يعجل إهلاكهم على عظيم ما ركبوا، فأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين الرؤوف الحكيم، اللهُ الذي هو كذلك لا مثل له من خلقه.

وتأويل الرؤوف الرحيم واحد والكلمة جامعة لكل نعمة في الدنيا. وتأويل الرحمة من الله لعباده: إغاثة الفقير، والصفح عن الإساءة؛ فالله عز وجل غياث كل مضطر وخير الغافرين.

---

(١) - عراف اليمامة: هو مسيلمة الكذاب، كان يقال لها رحمان اليمامة.

ثم افتتح بعد أسمائه الحسنى ما وصف به نفسه من الإلهية فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، يقول الشكر لله على عباده بما أنعم عليهم، وشكرُهم إياه وحمدهم إياه، طاعتهم إياه فيما أمرهم به ونهاهم عنه.

والكلمة جامعة لكل طاعة ونعمة؛ لأن الحمد شكر على النعم، فالنعم كلها من الله تعالى، والشكر واجب على الطاعة كلها لأنها بالله كانت فهو أهل أن لا يعصى ولا ينسى.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ(٢)﴾: يقول: الحمد لله: لمولى العالمين، والرب هو: المولى، والعالمين: أهل السماوات والأرض وجميع ما خلق الله تعالى من خلقه، وواحد العالمين عالَم يقول: فليس لرب العالمين شريك.

وأنشد الإمام زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ قول الشاعر حيث يقول:

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ ... بمثلهمْ في العالمينَا

قال الإمام زيد بن علي ــ عليه وعلى آبائه السلام ــ: وقد روينا عن النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قال: ((لله أربعة عشر ألف عالم الجن والإنس منها عالم واحد)).

ثم عاد إلى أسمائه الحسنى فقال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٣)﴾، يقول: رب العالمين هو الرحمن الرحيم.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(٤)﴾: أي هو يملك يوم الدين، كما هو اليوم رب العالمين، يخبر أن الدنيا والآخرة له، وهو ملكهما لا غيره.

والدين: الجزاء يوم يدان الناس بعضهم من بعض ويجازيهم بما كانوا يعملون، وإنما أخبرنا أنه يدين بعض الخلائق من بعض يخوفهم بذلك ويحذرهم ليزدجروا ويحذروا، وقد يقال في الأمثال: كما تدين تدان.

ثم أمر عباده بالإخلاص، فقال قولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(٥)﴾، إياك نعبد لا نعبد غيرك، ومعنى نعبد نطيع ونتعبد ونصلي ونوحد.

وإياك نستعين على عبادتك؛ فأمرهم تبارك وتعالى أن يستعينوا به فيما يتعبدهم في كل أمورهم؛ لأنهم لا ينالون خيراً إلا بالله تعالى.

وقد كان الكفار يستعينون بآلهتهم التي كانوا يعبدون من دون الله تعالى، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يخلصوا ذلك له.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦)﴾: أمرهم أن يسألوه الهدى والاستقامة، وهما: الصواب في كل قول وعمل.

الصراط: السبيل المنهاج الواضح، وأنشد الشاعر(١):

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

وقال آخر:

يصدُّ عن نهج الصراط القاصد

والصراط المستقيم: يستقيم بأهله إلى النجاة والهدى والجنة.

ثم قال عز وجلّ ليبين لعباده أي صراط يسألوه الهداية إليه، فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإيمان بك من النبيين والرسل والشهداء والصالحين.

(١) - هو جرير.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ(٧)﴾: ولا حرف من حروف الزوائد لتتميم الكلام، وهذا ما تعرفه العرب في لغتها وأشعارها فهي لا تحتاج إلى تفسير كما قال الشاعر:

فما اللوم البيض إلا سحر | الماء أين الشمط القنفدر(١)

وقال آخر من العرب:

ويُلْحِينِي في اللهو ألا أحبه | وللهو داع دائب غير غافل

قال الإمام الشهيد أبو الحسين زيد بن علي عليه وعلى آبائه الصلاة والسلام: وقد قال بعض أهلنا: المغضوب عليهم اليهود، والضالين النصارى.

والغضب من الله عذاب ونقمة، وهو لا يغضب إلا على من مقت، ولا يمقت إلا من أسرف وتعدى عن الحق؛ فنعوذ بالله من الغضب والضلالة.

وبالإسناد حدثنا قال: حدثني عبدالله بن محمد البلوي، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا أنه سمع رجلاً من علماء أهل الشام يسأل زيداً عليه السلام — فقال: كيف تقرأ أمّ الكتاب ؟

فقرأ زيداً — عليه السلام — الحمد لله ثم رتلها وشرحها حرفاً حرفاً، فخلتني أسمعها كما أنزلت إلا أنه قرأ مالك يوم الدين، فقال له شاعر هشام بن عبد الملك: لم قرأتها بالخفض وأنت تقول: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(٤)إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(٥)﴾؟

---

(١) - لم يظهر لفظ البيت ولا معناه.

قال زيد ـــ عليه السلام ـــ: هكذا سمعت أبي يقرأها، وذكر أنه سمع أباه يقرأها كذلك، وذكر أبوه أن رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ أمره كذلك.

قال: فقال الشاعر: أحلتني على الرواية و لم تبين الحجة، وإن أتبين من روايتـــك: ﴿**مالك يوم الدين إياك نعبد**﴾ على النداء: يا مالك يوم الدين إياك نعبد.

فقال الإمام زيد بن علي ـــ عليهما السلام ـــ متمثلاً:

تعلّمتُ شـيئاً في الصِّبا فنسـيتُهُ	كـذا البَغْـلُ في أحوالـه يتنقّـلُ
يجـيءُ بمشـي تـارة تسـتلذه	وطـوراً إذا اسـتعجله يتخبّـلُ
ولولا شكالُ البغلِ لم يمشِ طائعـاً	ولكن عِرابُ الخيلِ ليـس يُشكَّلُ

ثم قال: يا ويحكاه بجازه من جر مالك يوم الدين أنه حدّث عن مخاطبة غـائب ثم رجع فخاطب شاهداً فقال: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(٥)**﴾، والعرب تفعـل ذلك في خطابها وأشعارها(١).

قال الرجل: أعطني واحداً من العرب فعل هذا في كلام أو شعر.

قال الإمام زيد بن علي ـــ عليهما الصلاة والسلام ـــ كيف روايتك للشعر ؟

قال إني: لأروي وأقول.

قال زيد ـــ عليه السلام ـــ: فهل تحفظ قصيدة عنترة ؟

قال: نعم.

قال: فأنشدها، فأنشده حتى انتهى إلى قوله:

شطّتْ مزارَ العاشقين فـأصبحَتْ	عَسِرًا عليَّ طِلابُكِ ابنـةَ مَخـرَمِ

---

(١) - وهذا ما يسميه علماء المعاني والبيان: الإلتفات.

قال زيد ــ عليه السلام ــ: ويحك تأمل هذا البيت، فتأمله الرجـــل، فقـــال: صدقت لعمري، لقد خاطب غائباً، ثم رجع فخاطب شاهداً.

قال زيد ــ عليه السلام ــ: ومثل هذا قول أبي ذؤيب الهذلي:

يا لهفُ نفسي كانَ جِدَّةُ جلدهِ   وبياضُ وجهك للـــتراب الأعفـــرِ

قال: ولقد رأيت بعد ذلك شاعر هشام وإنه ليخدم زيداً ــ عليه الســـلام ــــ ويلوذ به ويتعلم منه.

أخبرنا العلوي، قال: حدثنا ابن النجار، قال: أخبرنا إسحاق بن محمد المقري[1]، وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي[2]، قالا: حدثنا محمد بن سهل، قال: حدثني عبدالله بن محمد العلوي، قال: حدثني عمارة، قال: وأخبرني عبيدالله بن العلا أنه سمع من سأل زيداً ــ عليه السلام ــ عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا(٧٧)﴾ [الفرقان]، فقال الإمام زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والســلام ــ: في هذه الآية مضمر ولذلك أشكل تفسيرها إلا على علمائها، وإنما المعنى: ما يعبأ بعذابكم ربي لولا ما تدعونه من دونه من الشريك والولد.

ويوضح ذلك: قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا(٧٧)﴾، أي يكون العذاب لمن كذب ودعا من دونه إلهاً لازماً، ومثل هذا من المضمر قول الشاعر:

من ساد لي النفس في هواه منك   ولكـــن مـــن لـــه بـــالمضيق

---

(١) - إسحاق بن محمد المقري أبو أحمد الكوفي، عن عبدالله بن أحمد الأيادي، ومحمـــد بـــن ســـهل، وجعفر الصيدلاني، وعنه: الحسين بن هارون الهاروني.

(٢) - عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى أبو أحمد الجلوذي الأزدي البصري روى عنه محمد بـــن سهل، وعنه محمد بن جعفر التميمي، له كتب في أخبار الأئمة وغيرهم، توفي سنة (٣٣٢هـ).

أراد: ولكن من له بالخروج من المضيق، وقال الله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠]، أي من كان يريد علم العزة لمن هي فإنها لله تعالى.

[معاني العهد]

أخبرنا العلوي قال: حدثنا ابن النجار، قال: حدثنا إسحاق بن محمد المقري، وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي، قالا: حدثنا محمد بن سهل، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت زيداً ـ عليه السلام ـ يُسألُ عن العهد ما هو؟

فقال ـ عليه السلام ـ: قد ذكر الله عز وجل العهد في غير موضع من كتابه بلفظ واحد ومعان مختلفة:

فسمى العهد في موضع أماناً، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة:٤].

وجعل العهد في موضع آخر يميناً، قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل:٩١].

ثم جعل العهد في موضع آخر وصية، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي ءَادَمَ﴾ [يس:٦٠].

وللحفاظ عهد، قال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: ((إن حسن العهد من الإيمان)) .

والزمان عهد، يقال: ذلك كان بعهد فلان.

والعهد هو الميثاق، ومنه قول الله تبارك وتعالى لإبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ(١٢٤)﴾

[البقرة]، أي لا ينال ما وعدتك من الإمامة الظالمين من ذريتك، والوعد من الله تبارك وتعالى ميثاق.

[معاني الضُّر]

وبالإسناد حدثنا محمد، قال: حدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثني عمارة بن زيد، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت رجلاً يسأل زيداً ـ عليه السلام ـ عن الضر في كتاب الله تعالى ما هو ؟ مثل قوله تعالى: **﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ(٧٣)﴾** [الشعراء]، وكقوله تعالى: **﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾** [يونس:٤٩].

قال زيد ـ عليه السلام ـ: أما قوله عز وجل: **﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ(٧٣)﴾** [الشعراء]، فإنما أراد يحيونكم أو يميتون.

وأما قوله تعالى: **﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾** [يونس:٤٩]، أي: لا أملك جر نفع ولا دفع ضرر، والضر أيضاً الشدة والبلاء كقوله تعالى: **﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾** [الأنعام:١٧]، **﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾** [البقرة:١٧٧].

فمن الشدة: قحط المطر، قال تعالى: **﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾** [فصلت:٥٠]، أي مطراً من بعد قحط وجدب.

ومنه: الهول أيضاً كقوله تعالى: **﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾** [الإسراء:٦٧].

ومنه: المرض، كقول أيوب ـ عليه السلام ـ: **﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾** [الأنبياء:٨٣]، وكقوله تعالى: **﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾** [يونس:١٢].

ومنه: النقص، كقوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ(٣٢)﴾ [محمد].

[تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾]

وبالإسناد قال: حدثنا محمد، قال: حدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثني غمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت رجلاً يسأل زيداً ـــ عليه السلام ـــ عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، قال إنه لم يقل ليس هو شيء، فما المثل هاهنا وهو لا مثل له ؟

قال الإمام زيد بن علي ـــ عليهما الصلاة والسلام ـــ: المعنى في ذلك على ليس كهو شيء، فأدخل المثل توكيداً لكلام مثل قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [محمد:١٥]، كأنه قال: الجنة التي وعد المتقون، فأدخل المثل توكيداً للكلام.

قال الرجل: وهل تعرف العرب هذا ؟

قال: نعم، قال لبيد العامري:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

وقال أوس حجر:(١)

وقتلى كمثل جذوع النخيل ... يغشاهم سيل(٢) منهمر

وإنما هو كجذوع النخيل، والبيت الآخر: أي ثم السلام عليكما.

(١) الصواب: أوس بن حجر
(٢) لفظ البيت في ديوان أوس بن حجر ص ٣٠، وفي الجنى الداني في حروف المعاني ص٨٨ (ط العلمية): وقتلى كمثل جذوع النخيل * يغشاهم مسبل منهمر اهـ والمسبل بالتحريك: المطر، وقيل: المسبل، وقد أسبلت السماء، وأسبل المطر والدمع، وأسبل دمعه... الخ ما في لسان العرب (١١/٣٢١)

[معنى مكر الليل والنهار]

أخبرنا العلوي قال: حدثنا ابن النجار، قال: حدثنا إسحاق بن محمد المقري وعبد العزيز بن يحي الجلوذي، قالا: أخبرنا محمد بن سلمة، قال: حدثنا عبدالله بن محمد، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت سعيد بن بارق يقرأ على الإمام زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ شيئاً حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ:٣٣]، فوقف؛ قال الإمام زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ: ما يوقفك؟ قال جعلت فداك أي مكر الليل والنهار وهما لا يمكران؟

قال الإمام زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ: وهذا الحرف أو أعجبك فله مثل: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢]، والقرية لا تسأل إنما يسأل أهلها، ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الكهف:٥٩]، أي أهلها مجاز ذلك: على ما يفعلون.

والعرب تقول: بنوا فلان تطوهم الطريق أي أهل الطريق لأن الطريق لا تطأ، وقولهم: ما نزلنا نطأ السماء حتى جئناكم، أي ماء السماء، والسماء لا تطأ.

وكذلك بل مكر الليل والنهار، وكذلك في: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة:١٨٩]، ومن اتقى ليس بالبر ولكنه البَار والبر فعله، و﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨]، أي كخلق نفس واحدة.

وسمعت بعض العرب تقول: أطيب الناس الزبد، وإنما يريد أطيب طعام الناس الزبد، وكذلك يقول القائل: أنت أكرم عليَّ من أن أضربك، أي من صاحب الضرب مجاز هذا على سعة الكلام، وأنشد للخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار

فجعلتها الإقبال والإدبار.

وأنشد زيد ــ عليه السلام ــ لأبي البلدة:

كأنَّ عديدَهم[1] بجنوب سلع نعامٌ فاقَ في بلدٍ قِفارِ

أي عديد نعام. وقال الظهري[2]:

حبست نعام[3] راحلتي عناقاً فما ماريت غيرك بالعناق

أي بُغام عناق أو صوت عناق، وهذا مثل حبست صاحبي زيداً، أي صياح زيد[4] وكلامي عمرو أي كلام عمرو.

ومثل ذلك قول النابغة:

وقد خفتُ حتى ما تَزيدُ مخافتي على وعلٍ[5] في ذي المطارة عاقل

وقال آخر:

سادوا البلاد فأصبحوا في آدم بلغوا بهم[6] بيض الوجوه فحولا

فقال: في آدم.

وقد قال النابغة الجعدي:

وكيف تُواصِلُ مَنْ أصبحت أمانتُهُ كأبي مرحب

قال: كأمانة أبي مرحب.

(1) لفظه في كتب التفسير واللغة: كأن عذيرهم بجنوب سلّى * نعام قاق في بلد قفار، ... وفي بعض منها: كأن عذيرهم ...إلخ، والأول أصح، قالوا: أراد بقوله نعام: عذير، أو عذير نعام، والعذير أو العذير هو: الحال، يريد: كأن حالهم في هربهم منا وفرارهم حال نعام يبادر من العدو وهو مفزع مذعور، و(قاق النعام): صوّت، و(سلّى): ماء لبني ضبّة باليمامة، وقيل واد في البلد - وهو مغزو - بالقفار نظراً إلى أجزائه ومواضعه: كل منها قفر أي خالٍ لا نبات فيه.

(2) الصواب: ذو الخرق الطهوي.

(3) الصواب: حسبتَ بُغامَ راحلتي عناقاً * وما هي ويب غيرك بالعناق، أي: بُغام عناق، أي: صوت عناق، وهو للطهوي يخاطب ذئباً، و«ويب» بمعنى: ويل غيرك.

(4) في الإبانة في اللغة العربية (١/٣٦٦): وهذا مثل: خشيت صياحي زيداً، أي: صياح زيد.

(5) في كتب اللغة: وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل، والوعل: تيس الجبل، والمطارة -بفتح الميم-: البقعة التي يطار منها، وهو هنا اسم جبل، وأضاف إليه «ذو». وعاقل: أي: متحصن اهـ وفي الأنصاف في مسائل الخلاف للأنباري (١/٣٠٨).

(6) في كتب اللغة: بلغوا بها ...إلخ اهـ انظر شرح كتاب سيبويه (٤/٢١) اهـ (١٤١) فأصبحوا في بني آدم اهـ

وقد قال بعض أهلنا في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النـــور:٦١]، أي ليس على من أكل مع أعمى حرج.

وسمعتُ(١) ذلك يسأله أيضاً عن قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، فقال: يكون شيء أهون من شيء علـــى الله تبارك وتعالى؟

فقال الإمام زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام ــ: الأشياء كلها سواء عنده تعالى.

قال بعض أهلنا: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، أي على الخلق فالمعنى هو أهون عليه أي هين عليه أول خلقه وآخره.

وقد قالت مثل ذلك العرب، وأنشد:

لعمرك ما أدري وإني لأوجـــــل   على أينـــا تعـــدوا المنيـــة أول

أي: وإني لوجل.

وقال آخر من العرب:

تمنى رجال أن أموت وإن أمـــت   فتلك سبيل لست فيها بـــأوحد

أي بواحد.

وقال آخر:

قُبِّحتـــم يـــا آل عـــوف نفـــرا   أســـم قـــوم أصغـــراً وأكـــبرا

(١) في كتب اللغة: الأم قوم أصغراً وأكبرا اهـ

---

(١) – القائل سمعت، هو ((عبيد الله بن العلا))، وذلك السائل هو ((سعيد بن بارك)).

أي صغير وكبير.

[الدليل عند الاختلاف]

حدثنا العلوي، قال: أخبرنا ابن النجار، قال: حدثنا إسحاق بن محمد المقري وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي، قالا: حدثنا محمد بن سهل، قال: حدثني عبدالله بن محمد، قال : حدثني عمارة بن زيد ، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت زيداً — عليه السلام — يقول في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة:١١٣]، يعنون على دين؛ لأنه ينكر بعضهم ما يدين به بعض؛ ثم قال: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة:١١٣]، يعني التوراة التي يجمعون على تصديقها.

ثم قال الإمام زيد بن علي — عليهما الصلاة والسلام —: إفهموا عن الله تعالى هذه الحجة النيرة إنه أعجبنا من اليهود والنصارى يختلفون وعندهم الكتاب الذي فيه فصّل اختلافهم وبيان أمرهم، ولو كان الكتاب الذي في أيديهم لا يبين لهم الذي اختلفوا فيه ما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ فأوجز الحجة ووعظ أمة محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — بهم وأخبرهم أن الكتاب دليل لهم إن اختلفوا بعد نبيهم وفيه البيان والبرهان وهو فصل الخطاب والنور المبين والصراط المستقيم.

وقال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم —: ((ما بلغكم عني فأعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافقه فهو مني وما خالفه فليس مني)) فأخبرهم — صلى الله عليه وآله وسلم — أن الكتاب يفصل الحق من الباطل.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١١٨]، يعني مشركي العرب ونفا عنهم العلم لأنهم أهل جاهلية ولا علم لهم بما في كتب الله تعالى التي فيها حججه على خلقه.

وأنبأهم أنهم فيما ينتحلون ويدينون به جهال لا يعلمون له حجة ولا برهاناً، وسوى بينهم وبين العلماء من اليهود والنصارى إذ لم يصيروا بعلمهم وكتابهم إلى اجتماع على تأويل كتابهم الذي هم به مؤمنون وإلى اجتماع فيما يدعون من العبادة التي هي في الكتاب الذي هم به مقرون.

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ(١١٣)﴾ [البقرة]، من الدين، والقول على الله بلا برهان ولا حجة، ثم يدعون أن لهم عليه الثواب عند الله تبارك وتعالى.

قال: وسمعت الإمام زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام ــ يقول في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [البقرة:١١٤]، يعني جميع الكفار الذين تظاهروا على محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ومن آمن به ليقتلوهم ويمنعوهم من دينهم فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾، والمساجد هي المواضع التي يعبد فيها الله تعالى.

وكل متعبد ومصلى فهو مسجد كما قال النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: ((جعلت لي كلُّ أرضٍ طيبةٍ مسجداً وطهوراً)).

فتظاهروا على إطفاء دينهم وخراب مساجدهم التي يعبدون الله تعالى فيها، ومنعوهم من المسجد الحرام أن يصلوا فيه ويحجوا إليه.

قال عبيد الله: وإنما أهاج زيداً ــ عليه السلام ــ على هذا القول رجل قال في قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾، قال: مساجد الله بيت المقدس لم يكن على المؤمن فيه فرض فيكون المشركون ظالمين في منعهم عنه.

ولكنه أراد بالظالمين جميع الكفار وهو كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف:٨]، فقال: أولئك الذين تعاونوا على قتل أهل دين الله تعالى ﴿ما كان لهم أن يدخلوها﴾ أن يدخلوا المسجد الحرام ومساجدهم التي بنوها لله تعالى ﴿إلا خائفين﴾.

فأخبر الله عز وجل في الآية أنه سيظفره بالمشركين ويذللهم له حتى لا يدخل متعبَّدَهم ومساجدَهم مشرك أبداً إلا خاضعاً لهم أو خائفاً إذا كان أمره المناصبة والمحاربة للمؤمنين.

ثم قال: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [البقرة:١١٤]، إما مشرك مقتول، وإما ذو كتاب مخزي بالجزية والصغار.

﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١١٤)﴾ [البقرة]، والعظيم من العذاب: هو الوجيع فإذا عظم شيئاً فهو الغاية والمنتها، وإذا عظم الثواب فإنما يريد أن يكثره لهم.

[معنى اليد واليمين والعين]

أخبرنا العلوي قال: حدثنا ابن النجار، قال: أخبرنا إسحاق بن محمد المقري وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي، قالا: أخبرنا محمد بن سهل، قال: حدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت زيداً ــ عليه السلام ــ يقول في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، قال: مجاز الآية النعمة منه والفضل.

وقوله تعالى: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤]، يدل على ذلك، وقد يقول الرجل من العرب لفلان علي يد، أي نعمة.

وقد قال علي ـ عليه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ [الإسراء:٢٩]، قال: (لا تمسك يدك عن النفقة في حق بمنزلة المغلولة يده إلى عنقه).

وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، أي توليت أنا خلقه بغير أبوين، كقوله: يداك عملت هذا، أنت فعلته و لم تعالجه بيدك وأنت عملت هذا بيدك ولعله إنما قاله بلسانه و لم يعمل شيئاً بيده.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]، أي بقدرته، وكذلك قبضته يوم القيامة أي في قبضته وملكه، وكقولك: هذا في يدي أي في ملكي، ولست قابضاً عليه، أما سمعتم قول الشاعر:

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ ... تلقاها عُرابةُ باليمينِ

أي بالعزة والقدرة.

وقال عدي بن زيد:

فردّتهُ فضعف ما أتاها ... و لم تعقد على المالِ اليمينَا

وقال حسان بن مرة:

يديان بيضاوان عند محلّمٍ ... قد تمنعانك بينهم أن تهضما

وإنما المعنى النعمة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي(٣٩)﴾ [طه]، أي بمنظر مني وترتب على محبتي.

وقال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ـــ عليهما السلام ـــ: قال أمية بن الصلت:

اسمع لسان الله كيف شكوله ... تُعْجَب ويلبسك الذي يستكد ①

كأنه قال: اسمع كلام الله وحجته.

[معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾]

وبالإسناد حدثنا محمد، قال: حدثني عبد الله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت زيداً ـــ عليه السلام ـــ يقول: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه:٦٣]، قال: هذه لغة بني الحارث بن كعب، أراد الله جل اسمه أن ينزل القرآن بلغات العرب لِتَعلّمَ الخليقةُ عجزَهم عن أن يأتوا بمثله.

وبنو الحارث بن كعب يقولون: مررت برجلان وقبضت منه درهمان، وجلست بين يداه وركبت علاه.

ثم أنشد لبعض الحارثيين:

تَزَوَّدَ منا بين أذْنَاه ضَرْبَةً ... دعتْهُ إلى هابي التراب عقيمِ ②

وأنشد لبعضهم:

أيَّ قَلُوصٍ ③ راكبٍ تراها ... طاروا عَلاَهُنَّ فَطِرْ عَلاَهَا

① في كتب اللغة: (تعجب ويلبسك الذي يستشهد)، وفي بعضها: (الذي تستنشد) وشكوله: ضروبه، ويلبسك: يكلك ويستشهد يؤذاء يكلك الذي تستنشد أي كأنه يكلك اهـ

② الذي في كتب اللغة منها سر صناعة الإعراب لابن جني ومقاييس اللغة لابن فارس: تزود منا بين أذناه ضربة * دعته إلى هابي التراب عقيم اهـ هابي التراب: ما ارتفع ودق. والعقيم: الضربة التي لا تنثني وهي خبر لمبتدأ محذوف جرها الشاعر مراعاة للقافية اهـ

③ القلوص بالفتح: الناقة الشابة، وقوله: (طاروا علاهن) أي عليهن، والمعنى: انتزعوا عليهن مخففين. اهـ فالمراد: ارتفعوا على إبلهم فارتفع عليها. اهـ خزانة الأدب (١١٥/٧)

[معنى الكفر لغة]

وبالإسناد قال: حدثنا محمد، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلاء: وسمعت زيداً ــ عليه السلام ــ يقول في قول الله عز وجل: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد: ٢٠].

قال الإمام زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ: إنه لم يرد الكفار بالله تعالى، وإنما أراد الزراع، وواحد كافر، وإنما سمي كافراً لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كفره أي غطاه وكل شيء غطيته فقد كفرته.

ومنه: قيل تكفّر فلان بالسلاح أي تغطى بالسلاح واستتر، ويقال: الليل كافر؛ لأنه يستر بظلامه كل شيء.

قال لبيد بن ربيعة:

في ليلة كفر النجومَ غمامُها

أي غطاها، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

[الدعوة المجابة]

وبالإسناد حدثنا محمد، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت رجلاً سأل زيداً ــ عليه السلام ــ عن قول الله عز وجل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فقال: قد رأيناه يدعا شيئاً لا يستجيب فيها.

قال الإمام زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام ــ: الاستجابة إنما تكون على الدعاء الجائز لصاحبه، ألا ترى أنه لو دعا بمعصية لم تجز الإجابة له، فإذا دعا

بدعـوة وهي تفي فلم يعطها فقـد استجيب له لأنه يعطى بها عوضـاً، وكـان أصلح له ما يعوض من دعوته تلك ويدخر له منها.

[معنى قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾]

أخبرنا الشريف أبو عبدالله، قال: حدثنا ابن النجار، قال: أخبرنـا أبـو أحمـد إسحاق بن محمد المقري وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي البصري، قال: أخبرنا أبـو عبدالله محمد بن سهل، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سأل رجل زيداً ــ عليه السلام ــ عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء:١٦]، قـال: يـأمرهم بالفسق، وهو يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠].

فقال الإمام زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام ــ: ليس المعنى ما ذهبـت إليه، أنت تريد مثل قولك: أمرتـه فضرب زيداً، وأمرته فقام، لأنك تأمر بضـرب زيد وبالقيام، وليس هذا من ذلك، ولكنه يكون على معنيين:

أحدهما: أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها، كقولك: أمرتـك فعصيتـني، أي بالخير، وهي قراءة أبي عمرو على الأمر.

وفيها معنى آخر، وهي قراءة أهلنا: أمرنا كثرنا، وقد قرأ بعض أهلنـا: آمرنـا ممدوداً، وقرأ بعضهم: أمـرنا ، مثقلة، أي سلّطنا، وقد قال في معنى الكثرة: أمِـر القوم يأمِرُون أمراً: كثروا، وفي مَثَلٍ لهم: ليس أمر أتى بأمر زائد، والشك المبيـدان، يغبطوا يهلكوا، وإن أمروا يوماً يصيروا للهاتك والنكر

وقال زهير:

والإثم من شر ما تطـال بـه والبـر كـالغيث نبتـه أمِـر

[معاني الضلال والإضلال]

أخبرنا العلوي قال: حدثنا ابن النجار، قال: حدثنا إسحاق بن محمد المقري وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا قال: سمعت رجلاً سأل زيداً ــ عليه السلام ــ عن قول الله عز وجل: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣]، و﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر:٨]، ثم قال: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ(٨٥)﴾ [طه].

ثم قال: ﴿يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا(٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ [الفرقان]، وعن قوله تعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ(٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم]، وما معنى هذا الضلال والإضلال ؟

قال الإمام زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام ــ: معانيه مختلفة الإضلال من الله عز وجل بوجهين:

أحدهما: التسمية بالضلال والحكم على أهله بالعذاب كما يقول القائل: كفَّرتُ الرجلَ وفسَّقتُه وزنَّيتُه إذا سمَّيتُه بذلك.

والمعنى الثاني: الخذلان والترك والتخلية بعد المعصية من المخذول وهو أن يخذله فلا يزيده في قوته ولا يشرح صدره له ببسطة.

هذا حكمه في العاصين كما يقول الرجل لصاحبه: أهلكت ابنك وأفسدته، أو خادمك إذا خليت بينه وبين هواه و لم تأخذ على يديه وأنت لم تدخله في فساد أكثر من التخلية والترك، وقد كان معه من عقله وقوة الله فيه ما يردعه عن المعصية، وإن أنت لم تأخذ على يديه وخليته، فالحجة عليه.

وكذا التخلية من الله تعالى إنما هي ترك الزيادة في قوته وقد تقدم إليه توعد الله تعالى ووعيده وتقويته له.

وأما الضلال من الآدمي لمثله ومن الشيطان، فهو الدعاء والتزيين للمعصية فإذا دعوته إلى معصية وزينتها له فقد أغويته وأضللته، وهذا المعنى منفي عن الله جل اسمه.

وأما ضلال الأصنام وهي لا تدعوا إلى ضلال ولا تعقل، وكذلك **﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا(٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾** [نوح]، وإنما ذلك لأن القوم لما ضلّوا عن الأصنام وكانت سبب ضلالهم لأنهم عبدوها سُميت مضلة لهم، كقولك: قد أهلكت هذه المرأة الرجل وأفسدته وأذهبت عقله، ولعلها لم تعلم به و لم تره، ولكنه لما فسد عنها قيل ذلك؛ فهذا مجاز الضلال.

[معاني الهدى]

قال الإمام زيد بن علي — عليهما السلام —: كذلك الهدى يكون على وجوه؛ **فمنها:** قوله تعالى: **﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٨٧)﴾** [الأنعام]، وقال تعالى: **﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٥٢)﴾** [الشورى]، وقال عز وجل: **﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾** [الأنبياء:٧٣].

فأخبر جل وعلا أنه يهدي، وأن النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — يهدي، وأن المؤمنين يهدون.

والمعنى من الله تعالى في الهداية: دلالته على الحق ودعوته عليه وتسميته به.

والدليل على ذلك قول الله عز وجل: **﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾** [فصلت:١٧]، فالمعنى: دللناهم وبينا لهم، وقال تعالى: **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا(٣)﴾** [الإنسان].

والهداية الثانية من الله تعالى: العصمة هكذا حكمه جل ثناؤه فيهم.

وأما الهداية من النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — والمؤمنين فالدلالة وحدها والبيان والمعين الزائد في القوى وشرح الصدور عن أباديها كذلك.

[معنى قوله تعالى : ﴿دَحَاهَا﴾]

أخبرنا العلوي قال: حدثنا ابن النجار، قال: أخبرنا إسحاق بن محمد المقري وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي قالا: أخبرنا محمد بن سهل، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت رجلاً سأل زيداً ـ عليه السلام ـ عن قول الله جل ثناؤه: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا(٣٠)﴾ [النازعات]، كيف جاز أن يقول: والأرض بعد ذلك دحاها والأرض قبل السماء خلقها لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة:٢٩].

قال الإمام زيد بن علي ـ عليهما الصلاة والسلام ـ: المعنى في ذلك على وجهين: أن تكون بعد في معنى مع وقد قال الله عز وجل: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ(١٣)﴾ [القلم]، وإنما هو مع ذلك، ويقول الرجل للرجل يسابّه: هو أحمق بخيل وبعد هذا لئيم الحسب، أي مع هذا.

وأنشد الهذلي:

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا ... خِرَاش وبعض الشر أهون من بعض

يريد أن خراشاً نجا قبل عروة.

ووجه آخر: أن يكون خلق الأرض و لم يدحها، فلما خلق السماء دحا الأرض بعدها، أي بسطها، ودحاها: بسط ومَدّ وذلك في كلام العرب.

قالوا: دحى يدحو، ودحيت أدحي لغة.

وقال أمية بن الصلت:

دار دَحَاها ثم أعمر أرضها[1] ... وأقامَ في الأُخرَى التي هي أمْجَدُ

[1] من كتب اللغة: ثم أعمرنا بها.

وقال أوس:

ينفي الحصى عن جديد الأرض منتزل[1] كأنه لاعبٌ أو فــاحصٌ داحــي

[معنى: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾]

أخبرنا العلوي قال: حدثنا ابن النجار، قال: أخبرنا إسحاق بن محمد المقـــري وعبــد العزيز بن يحيى الجلوذي، قالا: حدثنا محمد، قال: حدثني عبــدالله، قــال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت أبا خراش بن العــامري يسأل زيــداً ــ عليه السلام ــ عن قول الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَـا الَّذِيـنَ ءَامَنُـوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨].

قال الإمام زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ: ما يقول مفسروكم فيها ؟ قال: لم أسمع فيها شيئاً.

قال الإمام زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام ــ: قد اختلف فيها أهلنــا، فقال بعضهم: أمرهم أن يدخلوا في الإسلام في سرهم وعلانيتهم.

وقال آخرون: إنها نزلت في قوم من اليهود وكانوا يتقون السبت ولحوم الإبل، فقال الله جل ثناؤه: وادخلوا في كل الإسلام إذا أسلمتم.

وقال آخرون: عنى به المؤمنين، يقول: كونوا فيما تســتقبلون في الإســلام لا تبدلوا به ولا تخرجوا منه وهو كقوله تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُـوا بِاللَّهِ﴾ [النساء:١٣٦]، هذا محكم، وقوله: ادخلوا كقوله: آمنوا.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة:٢٠٨]، أي تعديه لأمر الله جل اسمــه ومخالفته لكم.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(٢٠٨)﴾ [البقرة]، أي عداوته لكم بينه لأنه إنما يدعوكم إلى الإثم.

[معنى : ﴿ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾]

وبالإسناد حدثنا محمد، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا أنه سمع زيداً ــ عليه السلام ــ يقول في قول الله تبارك وتعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة:٢١١]، وذلك في جدل جرى بينه وبين علماء الشام بين يدي هشام ــ لعنه الله تعالى ــ فسألوه عن هذه الآية.

فأجاب فيها أن قال: الآية الحجة البينة، وقد قال بعض مفسرينا: إنه عنا ما آتى موسى ــ عليه السلام ــ من الآيات يقول: فكانوا مع ما أتاهم من الآيات أصحاب خلاف ومعصية لله تبارك وتعالى ولرسوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ.

فلذلك قال: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ [البقرة:٢١١]، يقول: يبدل حجج الله وبراهينه من بعد ما جاءته.

وقال آخرون من مفسرينا: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، يريد علمائهم ﴿كَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾: أي من حجة لمحمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يقول: يتبينون بها أنك صادق وأن الذي جئت به حق.

﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾: التي أنعم الله بها عليه فيما أودعه من علم رسوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وحججه فكتم الحق وجحده.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾: البينات التي تحقق ما في كتابه، وهو كقوله تعالى: جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ومصدقاً لما بين يديه من التوراة.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٢١١)﴾ [البقرة]، أي لمن جحد آياته وحججه لرسوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وكتمها.

[في الصلاة الوسطى]

وبالإسناد حدثنا محمد، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: سمعت عبيد الله بن العلا يقول: سمعت رجلاً سأل زيداً ــ عليه السلام ــ عن قوله عز وجل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة:٢٣٨].

قال: الصلوات قد أمر الله عز وجل بحفظها أن تودى لميقاتها وعدد ركوعها وسجودها وتمامها على ما فرض الله عز وجل.

وقد قال بعض المفسرين: هي العصر، وقال آخرون: هي الظهر، وقالوا: الصبح، وهي عندنا المغرب.

[معنى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾]

وبالإسناد حدثنا محمد، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، عن أبيه أنه سأل زيداً ــ عليه السلام ــ عن قوله عز وجل: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ(٣١)﴾ [الرحمن]، فقال: هذا وعيد من الله عز وجل وتهديد كقولك للرجل عند الغضب: سأفرغ لك وللنظر في أمرك، وأنت غير مشغول عنه ولكن تتواعده أنك ستفرغ له وتنظر في أمره، ثم أنشد:

سأفرغ للمعروف غير مفرّطٍ وعادتي المعروفُ والعرفُ أجملُ

[معنى قوله: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾]

وبالإسناد: حدثنا محمد قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة بن زيد، حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت من سأل زيداً ـ عليه السلام ـ عن قول الله عز وجلّ وإخباره عن قوم شعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ(٨٧)﴾ [هود].

قال الإمام زيد بن علي ـ عليهما الصلاة والسلام ـ: هذا من الحروف المقلوبة وهو أن تصف العرب الشيء بضد صفته كقولهم للديغ: السليم، تطيراً من أن يقول: سقيماً، وتفاؤلاً بالسلامة، ويقولون للعطشان: ناهل، أي سينهل يريدون سيروا، ويقولون للفلاة وهي مهلكة مفازة يريدون منجاة.

وقولهم لشعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ(٨٧)﴾، يريدون السفيه الجاهل، وهذا كما تقول للرجل تستجهله: يا عاقل، وتستحمقه: يا حليم.

ثم أنشد الشاعر:

وقلت لسيدنا يا حليم[1] إنك لمن تأس أسواً رفيقا

ومن هذا النوع الاستهزاء.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ(١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ(١٣)﴾ [الأنبياء].

ويقول الشاعر من العرب في مثل هذا النوع:

هلا سألت جموع كنـ ـدة يوم ولّوا أين أينا

.............(١)

(١) - في الأصل بياض في الصفحة أكثر من النصف، ولعله سقط.

[هامش بخط اليد: ① من كتب اللغة: وقلت لسيدنا ياحليم * إنك لم تأسَ أسواً رفيقاً "وتأسى" من التأسي.]

ليعبدوا ما يعبدوا بدا وأتى ذلك وأعاد فأراد الله تعالى حسم أطماعم وإكذاب ظنونهم فأبدا وأعاد في الجواب وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ(٩)﴾ [القلم]، أي تلين لهم فيلينون في أديانهم.

[فائدة تكرير آية الآلاء]

وأما تكرار قوله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(١٣)﴾ [الرحمن]، فإنه عدد في هذه السورة نعماءه، وأذكر عباده نعماءه، ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه.

ثم أتبع كل ذكر كل خلة وصفها بهذه الآية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لتفهم النعم ويقررهم بها في ذلك.

وهذا كقولك للرجل: أحسنت إليه دهرك وتابعت عنده الأيادي وهو في ذلك ينكرك ويكفرك، ألم أبويك منزلاً وأنت طريد أفتنكر ذلك ؟ ألم أحملك وأنت راجل أفتنكر ذلك؟ ألم أحج بك وأنت صَرُورة؟ أفتنكر ذلك هذا ؟

ومثل هذا: تكراره عز وعلا: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ(١٥)﴾ [القمر]، أي معتبر ومتعظ.

[معنى: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾]

أخبرنا العلوي قال: حدثنا ابن النجار، قال: حدثنا إسحاق بن محمد المقري، وعبد العزيز بن يحيى الجلوذي، قالا: حدثنا محمد بن سهل، قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا قال: قال لي أبي: سألت الإمام أبا الحسين زيد بن علي ــ صلوات الله عليه ــ عن قول الله عز وجل: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى(٣٤)﴾ [القيامة].

فقال: هي تهدد ووعيد، والعرب إذا تهدد الرجل منهم صاحبه قال له: أولى لك ثم أولى لك، وقال الشاعر لمنهم:

ألفيتَنَـا عينـاك عنـد اللقـا ... أولى وأولى لـك ذا وافيـه ①

① من كتب اللغة، ألفيتا عيناك عند اللقا * أولى فأولى لك ذا واقيه

[معنى: ﴿لَا جَرَمَ﴾]

وقال: وسألت زيداً ـ عليه السلام ـ عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا جَـرَمَ﴾ [هود:٢٢]، قال: هي بمنزلة لا محالة ثم كثرت في الكلام حتى صدرت بمنزلة حقـاً وأصلها جرمت أي كسبت.

وأنشد قول الشاعر:

ولقد طعنت أبا عيينـة طعنـة ... جرمت فزارة بعدها أن تغضبوا ②

② من كتب اللغة: يخضبوا، وهو الصواب اهـ

أي كسبتم الغضب أبداً وقال: يقول العرب فلان جـارم أهلـه أي كاسـبهم وجرمتهم، وإنما سُمّيَ المذنبُ مجرماً من هذا لأنه كسب وافترق.

وقال: سألت زيداً ـ عليه السلام ـ عـن قـول الله عزوجـل: ﴿كَلَّـا﴾ [التكاثر:٣]، ردع وزجر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُـمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً(٥٢) كَلَّا﴾ [المدثر].

وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ(١٩) كَلَّا﴾ [القيامة]، يريد أنـه عـن أن تعجل به.

وقال جل وعلا: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ(٣) كَلَّا﴾ [الهمزة]، أي لا يخلـده ماله.

وقال تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ(٨) كَلَّا﴾ [الانفطار]، أي ليس كما غررت به.

وقال عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ(١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ(٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ(٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ(٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٦) كَلَّا﴾ [المطففين]، يريد انتهوا.

تم بحمد الله

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً

(٢) جواب الإمام زيد على واصل بن عطاء في الإمامة

سأل واصلُ بن عطاء[(١)] الإمامَ زيد أبا الحسين زيد بن علي عليهما السلام، هـــل الإمامة بالاختيار كانت فتكون، أو التّعيين والنّص؟

فقال عليه السلام: إن الإمامة أمانةُ اللّه عند أئمة الهدى، إن أدوها إليه سلموا من التّبعة فيها، واستحقوا الرعّاية.

فقال واصل: أجبني، وإن أحببت إعفائي أعفيتك.

فقال (ع): سأكتب إليك برأيي في ذلك، وبما أعتقده في الإمامة.

فقال واصل: حسبي حسبي أنا منتظر رسالتك.

فقال الإمام الأعظم أبو الحسين زيد بن علي عليهما السلام:

بسم اللـه الرحمن الرحيم

حاطَك اللّه أبا حذيفة، وعَصَمَك، وَوَفَّقَك، وسَدَّدَك، سألت عن الإمامة، فقلت: عن خَيرة كانت فتكون، أو عن نصوص؟ فأحبّبتُ أن أطرح خـــلاف النـــاس في ذلـــك ، ومـــا قاله كلُ فريقٍ، منهم إذْ قد عَنَيْتني بمسألتك، وقَصَدْتَ تَحَرّي قولي في ذلك. فأقول: الحمدللّه على ما خَصَّ وَعَمَّ من نعَمٍ وإحسان، وتوفيق وامتنـــــان، وصلى اللّه على خيْرةِ اللّه من جميع خلقه، وبارك اللّه لنا ولك في المنقلب وفي المثوى. إن الإمامة أولُ خلافٍ وقع في الأمة بعد مُضِيِّ النبي صلى اللّه عليه وآله وســـلم

(١) - واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة البصري، ولد بالمدينة، ونشأ بالبصرة ومات بها، من أئمـــة المعتزلة وعلمائهم وبلغائهم ورؤسائهم، وهو الذي انتسبت إليه الواصلية من المعتزلة، ومنه ومن عمـــرو بن عبيد سمو معتزلة؛ لأنهم اعتزلوا حلقة الحسن البصري فسماهم المعتزلة، فاشتهروا به، وله مؤلفـــات كثيرة، من الجهال من ينسب إلى زيد عليه السلام أنه أخذ علم الكلام عن واصل بن عطاء، وهذا مـــن نقل من لا خبرة له ولا اطلاع على أحوال الإمام زيد وتلامذته ومشائخه، وقد بيّناهم في الترجمـــة في مقدمة الكتاب.

ووفاته ، انْتَهَبَهَا قومٌ كما يُنتهب تراث الدنيا، فكل يقول إنه أحق ــ برأيه وبزعمه، وإنه أخَصُّ وأولى.

فَحَاجَّ أبوبكرٍ الأنصارَ بحجج عامة لسائر قريش، ثم أختَصَّ بها دونهم من غير مُشَاوَرَة من جميعهم، ولا أخذ إقرارهم أنه أَوْلاَهم بها، ثم قام بها أيام حياته، وتَضَمَّنَها بعد وفاته بما جعل لعمر بن الخطاب منها، وما خصه بها من تسليمها له دون غيره، نصاً وتسمية وتعييناً، فقام عمرٌ ينحو نحوه، ولا يتغير عن طريقته، حتى كان من أمر عَبد[1] المغيرة بن شعبة ما كان، فجعلها في سِتَّة ليختاروا أحدَهم، وكان من عبدالرحمن بن عوف الذي كان، فَسَلَّمَهَا إلى عثمان[2] فيما خبروه، وعاتبوه، واستتابوه، فلم يَتُبْ، فهجموا على داره فقتلوه.

فأتى قومٌ من المهاجرين أميرَ المؤمنين علياً وهو لا يشعر فنعوا إليه عثمان بن عفان، وقالوا: قتله المصريُّون وإنا لا نجد عنك غنى ولا ملجأ ولا معاذاً، فكان منه الجواب الذي أخفيه عنك، فلا يضرك إن أخفيته، ولا ينفعك إن رسمته في كتابي هذا، فبايعوه على كتاب اللّه تعالى، والعمل بما فيه، فأقام لهم العدل وعمل فيهم بالقرآن[3].

---

(١)ــ عبد المغيرة بن شعبة هو أبو لؤلؤة المجوسي قاتل عمر بن الخطاب.

(٢) - في الأصل بياض، ويفهم من سياق الكلام أنه سقط كثيراً من النص.

(٣) - من مجموع أخبار ورسائل الإمام زيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢) جواب على أحد النصارى

دخل الإمام زيد على هشام وعنده راهب مسيحي، فقال له: كلم هذا يازيد؟

فقال للراهب: ألست معي أن عيسى عليه السلام كان شخصاً جسيماً مجسماً، وكان مولوداً وناشئاً بعد مولده إلى أن دعا إلى الله تعالى؟

قال الراهب: أقول: إنه ابن الله.

قال الإمام: ويحك لم أسألك عن هذا، سألتك عن عيسى هل ولدته مريم طفلاً مولوداً؟

قال الراهب: نعم أقر بذلك.

قال الإمام: فما الذي ينقله عن هذا الحد حتى زعمت أنه رب وإله؟

قال الراهب: ما كان من فعله.

قال الإمام: وأي شيء فعل؟

قال الراهب: يحيي الموتى ويبرئ الأكمة والأبرص.

قال الإمام: هذا كله آية لله ودلالة عليه، إذ جعل هذا على يديه، ألم تر أن ذلك كلّه لم يُخْرِج عن حال المحدث وصفة المخلوق، بل رجع جميع ما كان منه إلى الدلالة على اللّه، إذ لا تعلم أقد غاب عيسى أو يكون في الأرض؟ ولا تعلم به حتى أظهر ما أظهر، إذ قد زعمت أن ربك يأتي خلقه في صورتهم كأحدهم.

فقال الراهب: أنا أشهد أن لاإله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه وأشهد أن عيسى كلمة اللّه ألقاها إلى مريم وأنه عبد مخلوق.

(٤) جوابات على سؤالات بكر بن حارثة

[حكم المتعامل مع الظالمين والمباين لهم]

حدثني[١] منصور، قال: حدثني عبدالله بن محمد[٢]، قال: حدثني عمارة بن زيد[٣]، قال: حدثني بكر بن حارثه، قال:

كتب رجلٌ من أهل الشام إلى الإمام أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، يذكر: أنه جاءنا مَنْ أخبرنا عنك أنك تقول: إن الصلاة لا تقبل — في أيام إمام الجور — من المصلين، وكذلك سائر الفرائض. فما ذَنْبُنَا إذا قُهِرْنَا على أنفسنا، وغلب علينا أهل الجور؟ وما حيلتنا؟

فأنكر ذلك الإمام أبو الحسين، ولعن من أخبر بذلك عنه، وكتب عليه السلام إلى الشأم بخطه:

جاءني كتابك: ذكرت فيه أنه جاءكم من أخبركم أني قُلْتُ: إن الصلاة لا تقبل في أيام إمام الجور من المصلين، وكذلك سائر الفرائض، وقُلْتَ: فما ذنبنا إذا قُهِرنا على أنفسنا، وغلب علينا أهل الجور؟ وما حيلتنا؟ فلم أقل ذلك بحمدالله، و لم أكذب على اللّه قَطُ، وأي سماء تُظِلُّني، وأي أرض تُقلُّني، إذا قلت على اللّه ما لم يُنَزِّل به سلطاناً؟!

بل أقول: إن العارفَ بما عليه أهلُ الجورِ وبمنزلة الظالمين الفاسقين، المُفَارِقَ لهم

(١) — كذا في الأم المنقول منها هذا النص، و لم أعرف من القائل: حدثني.

(٢) - عبدالله بن محمد المدني، قال في الطبقات: عن عمارة بن زيد، وعنه الناصر للحق، و لم يزد على هذا، ولعله محمد بن عبدالله البلوي المديني — والله أعلم.

(٣) - عمارة بن زيد، عن بكر بن حارثة وعبيد الله بن العلا، وعنه: محمد بن عبدالله البلوي، روى له الناصر عليه السلام.

بقَلْبِه، المباينَ لهم بعَمَلِه، العالمَ بمنزلة أهل الحق وما يجري عليهم في دُوَل الكـــافرين، وسلطان الجائرين، الذي يعمل بطاعة اللّه، ويريد ثوابَ اللّه ــ وإن كان في جماعتهم وبين ظهرانيهم ــ يضاعف اللّه له الأجر، ويُكْمِلُ له ثَوَاب المحسنين، ويتقبَّــل منـــه تقبله من المؤمنين المتقين.

وكيف يأخذ اللّه المحسن بالمسيء إذا كان مقهوراً ؟! ولكن من كَـــثَّر جمـــاعتهم وأعانهم على ظلمهم وجِبَايَاتِهم، واكْتَتَبَ في ديوانهم، فهو شريكهم ومنهـــم، وإذا ذكروا اللّه بألسنتهم لعنتهم الملائكة، وحَلَّ عليهم سَخَطُه ونقْمَتُه.

وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٨٦)** ﴾ [الزخرف]، فمن جاءك عني بأمر أنكره قَلْبُك، وكان مبايناً لما عهدته مِنّي، ولم تفقهه عَنّي، ولم تره في كتاب اللّه عز وجل جائزاً، فأنا منه بـــريء، وإن رأيت ذلك في كتاب اللّه عز وجل جائزاً، وللحق مُمَاثِلاً، وعهدت مثله ونظيره مني، ورأيته أشبه بما عهدته عني، وكان أولى بي في التحقيق، فأقبله، فإن الحق مـــن أهله ابتدأ وإلى أهله يرجع.

[الرُّعاة لهذه الأمة]

وذكرت أن قوماً ذكروا أن اللّه سبحانه وتعالى جعل رعاية عبـــاده إلى الملـــوك، وجعل ذرية الرســـول صلى اللّه عليه وآله وسلم كسائر رَعِيَّةِ الملوك، وأنـــه ليـــس لأحـــد من ذرية الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم إزالة ما جعله اللّـــه ســـبحانه وتعـــالى للملوك، لأن اللّه تعالى قد قال: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّـــكَ عَلَى كُـــلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[آل عمران:٢٦] فقد كَذَبَ القائلون هذا على اللّـــه عـــز وجل، وأحالوا جميع الحق وأزالوه عن مَعْدنه.

فنحن الذين ملّكنا اللّه تعالى الملك وآتاناه، واسترعانا رعَاية عباده، وذلك حين يقول سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾[النساء:٥٤]، ونحن الذين أعز اللّه تعالى، وَعَدونا من أذلّ اللّه تعالى، وإن كان عَدُوُنا غالباً بسلطان الجور، فالله بريءٌ منه وممن زعم أنّ أمره من اللّه تعالى.

وكيف يكون كذلك واللّه تعالى يقول فيهم: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[المائدة:٤٥]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[المائدة:٤٧]؟!

كيف يسترعي اللّه سبحانه وتعالى الجائرين الكافرين الظالمين الفاسقين عبَادَه، ويأتَمنهم على خلَقه، ويجعلُهم أئمة المؤمنين من بَريَّته، وأمناؤه على دِينه، وما أفاء اللّه على المؤمنين من الكافرين به، وهو يقول: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ(٤١)وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾[القصص:٤١ـ٤٢].

وأنا أنهاك أن تَسكُنَ بقلبك إلى ما هم فيه مُترفَون، وبه مُمتّعون، فتظن أنهم من اللّه تعالى بسبيل، فتهلك إذ ظننت بالله ظن السوء.

وأوصيك بالله عز وجل وبكتابه، وبأهل دِينه فالله تعالى لمن اعتَصم به وبكتابه وبأهل دِينه مجيرٌ، والله سبحانه لمن اهتدى إليه أرأف وأرحم ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

[في تسليم السارق إلى أهل الجور]

وسأل حارثة أمير المؤمنين أبا الحسين زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام فقال:

جُعِلْتُ فداك، ما تقول في رجل أخذ سارقاً قد سرق، أيدفعه إلى هؤلاء الذين يجورون في الأحكام، ويأخذون الأموال بغير حقها؟

فقال عليه السلام: ويحك إن السارق كالجائر في الأحكام [لا تسلمه إليهم[1]]، ووله ماتولى.

حكى خليفة بن...[2] عن حسين بن زيد عليهما السلام قال: أُخذ سارقٌ فسُئِل أبي رضي الله عنه. فقال عليه السلام: ولوه من [........[3]]، إلى السارق يقطع يده.

[فيمن تدفع إليه الزكاة]

قال بكر بن حارثة سمعت الإمام أبا الحسين زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام يقول: من قصد بصدقته إخوانه المؤمنين فقد وضعها في موضعها، وأدّاها إلى أهلها، ومن لم يفعل فقد ظلم، فَتَخَيَّروا لها إخوانكم من أهل العَفَاف، فإن لم تقدروا عليهم فضعوها في الفقراء من الأمة، ولا تقولوا: لا نجد مؤمناً! فإن القوم قد دخلوا في دين الإسلام وباب الدعوة.

قال [الحسين بن زيد]: وسُئِل أبي: فيمن نَضَعُ فُضُول أموالنا وزكاتنا وصدقاتنا؟

فقال عليه السلام: ضعوا جميع ذلك في إخوانكم المؤمنين، فإن لم تجدوا ذا فاقة منهم، فتتبعوا من رأيتموه فقيراً إذا كانوا في دامج الإسلام وباب الدعوة.

(١) ـ ما بين القوسين زيادة مني، وهو بياض في الأصل، وقلنا: لا يسلمه إليهم لأن إقامة الحدود ليست إلى أهل الجور، ويمكن أن يكون: سلمه إليهم، من باب تقليل المنكر والمتولي لذلك هو المسؤول أمام الله تعالى. والله أعلم.

(٢) ـ بياض في الأم.

(٣) - بياض في الأم لا يفهم ما المراد منه، ولعله كالذي تقدم قبل هذه الحاشية.

[الصلاة مع أئمة الجور]

حدثني منصور قال: حدثني عبدالله، قال: حدثني عمارة بن زيد، قال حدثنا بكر بن حارثة، قال سأل أبي الإمام أبا الحسين زيد بن علي عليهما السلام عن الصلاة مع هشام وعُمّاله.

فقال عليه السلام: صَلِّ لله عز وجل ولا تعتد بهم في صلاتك، ولا تعتدبهم في حلال ولا حرام.

وحدثني منصور قال: حدثنا عبدالله، قال: حدثني عمارة بن زيد، قال: حدثنا بكر بن حارثة، قال: سمعت أبي يقول للإمام أبي الحسين زيد بن على عليهما السلام: أكون في المسجد فتحضر الصّلاة. فقال عليه السلام: صَلِّ لله عز وجل، وأتم ركوعك وسجودك وتسبيحك، ولا عليك.

قال فقال أبي: فأجعلُها نافلة؟ قال عليه السلام: إن جعلتها نافلة فأنت أعلم، وإن جعلتها فرضاً لم يضرك ذلك، فإنما صليت لله تعالى.

ثم قال أبو الحسين زيد بن علي عليهما السلام: إلا أنني أرى لك ألا تُكَثِّر جماعاتهم، فإنهم ملعونون، والله إن الظالم إذا ذكر اللّه بلسانه لعنته الملائكة عليهم السلام، وقالت: لست من أهل الذكر. وإنه ليتكلم بكلمة الإخلاص، فتقول الملائكة عليهم السلام لست من أهلها.

(٥) جواباته عليه السلام على أسئلة متفرّقة

جوابات سئل عنها في المهدي (ع):

روى صاحب المحيط بالإمامة بإسناده عن أبي خالد،قال: سأنا زيد بن علـــي - عليهما الســـلام - عـــن المهدي، أكائن هو ؟ فقال: نعم، فقيل له: أمن ولد الحسن أم من ولد الحسين ؟ فقال زيد بن علي ــ عليه السلام ــ: أما إنه من ولد فاطمة - صلــوات الله عليها - وهو كائن ممن يشاء من ولد الحسن أم من ولد الحســـين - صلوات الله عليهم -.

وروى صاحب المحيط بالإمامة أيضاً بإسناده عن سفيان بن خالد الأعشى قـــال: دخل نفر من أهل الكوفة على زيد بن علي حين قدم الكوفة، فقالوا: يا ابن رســـول الله، أنت المهدي بلغنا أنك تملأها عدلاً ؟

قال: لا، قالوا: فنخشى أن تكون علينا مفتاح بلاء، قال: ويحكم، وما مفتـــاح بلاء؟ قالوا: تهدم دورنا، وتسبي ذرارينا، ونقتل تحت كل حجر.

قال: ويحكم أما علمتم أنه ليس من قرن يئسوا إلا بعث الله عز وجل منا رجـــل حجة على ذلك القرن، علمه من علم، وجهله من جهل.

[في مسألة الرَّجْعَة]

قال الشيخ أبو جعفر الهوسمي في الرد على الإمامية في الرجعة: والذي يدل على ما قلنا: ما روي عن زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ أنه سئل الرجعة ؟ فقال للسائل: أما قرأت قول الله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّـــهِ وَكُنْتُـــمْ أَمْوَاتًـــا فَأَحْيَـــاكُمْ﴾ [البقرة:٢٨]، أي كنتم نطفاً أمواتاً ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ أخرجكم إلى الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُـــمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للقيامة، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٢٨)﴾ [البقرة]، فهل ترى رجعة قبل يوم

القيامة ؟ قال السائل: فقلت: لا.

وروى عبدالله بن عمر بن علي بن أبي طالب ــ عليهم السلام ــ عن أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين ــ عليهم السلام ــ أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ(٩٥)﴾ [الأنبياء]، قال: لا يرجع الأموات إلى يوم القيامة(١).

[في آية الرد]

روى أبو القاسم البستي في كتاب (الباهر على مذهب الناصر) عن سعيد بن خثيم الهلالي، قال: سألت زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ عن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]، فأجاب ــ عليه السلام ــ: بأن الرد إلينا ومنا، ونحن والكتاب الثقلان(٢).

[في المتعة والتأمين في الصلاة]

سُئل ــ عليه السلام ــ عن المتعة ؟ فقال: المتعة مثل الميتة والدم ولحم الخنزير.

وسُئل ــ عليه السلام ــ عن المتعة ؟ فقال: رخصة نزل بها القرآن وحرمها لما نزلت العدة والمواريث، وهذا إجماع أهل البيت ــ عليهم السلام ــ ؛ فقيل: يا ابن رسول الله، وما الذي نسخها ؟

فقال: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٥)...إلخ الآيات﴾ [المؤمنون]، فلم يبح الله تعالى إلا الزوجة وملك اليمين.

(١) - من مجموع أخبار ورسائل الإمام زيد عليه السلام.

(٢) - من مجموع أخبار ورسائل الإمام زيد عليه السلام.

وسئل ــ عليه السلام ــ عن قول الرجل: آمين بعد الفاتحة آمين ؟ فقال: إنـــا أهـــل البيت لا نقولها، وأنكرَ ذلك[1].

(١) - من مجموع أخبار ورسائل الإمام زيد عليه السلام.

من خطب الإمام زيد بن علي(ع)

١- من خطبة له عليه السلام يوصي فيها بتقوى الله.

٢- من خطبة له عليه السلام يبيّن فيها آداب الجهاد.

٣- من خطبة له عليه السلام حين خرج.

٤- من خطبة له عليه السلام حين خفقت رايات الجهاد.

٥- من خطبة له عليه السلام خطب أصحابه بها قبل بدء القتال.

(١) ومن خطبة له يوصي فيها بتقوى الله

وروى صاحب الحدائق الوردية، قال: وروينا بالإسناد عن عمر بن صالح العجلي، قال: سمعت زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ يقول في خطبته:

الحمدلله مذعناً له بالاستكانة، مقراً له بالوحدانية، وأتوكل عليه، توكل من لجأ إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، الأمين على وحيه، المأمون على خلقه، المودي إليهم ما استرعاه من حقه، حتى قبضه الله تعالى إليه صلى الله عليه وآله وسلم.

أيها الناس: أوصيكم بتقوى الله، فإن الموصي بتقوى الله لم يدخر نصيحة، و لم يقصر عن إبلاغ موعظة، فاتقوا الله في الأمر الذي لا يصل إلى الله تعالى إن أطعتموه، ولا تنقصون من ملكه شيئاً إن عصيتموه، ولا تستعينوا بنعمة الله على معصية، وأجملوا في طلب مباغي أموركم، وتفكروا وانظروا.

(٢) ومن خطبة له يبين فيها دعوته وآداب الجهاد

وروى صاحب الحدائق الوردية، قال: وبالإسناد الموثوق به إلى أبي الجارود أن زيد بن علي عليهما لسلام خطب أصحابه حين ظهر فقال:

الحمدلله الذي مَنَّ علينا بالبصيرة، وجعل لنا قلوباً عاقلة، وأسماعاً واعية، وقد أفلح من جعل الخير شعاره، والحق دِثاره، وصلى الله على خير خلقه الذي جاء بالصدق من عند ربه وصدق به، الصادق محمد صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين من عترته وأسرته والمنتخبين من أهل بيته وأهل ولاتيه.

أيها الناس العجل العجل، قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل، فوراءكم طالب لا يفوته هارب، إلا هارب هرب منه إليه، ففروا إلى الله بطاعته، واستجيروا بثوابه من عقابه، فقد أسمعكم وبَصَّركم ودعاكم إليه وأنذركم، وأنتم اليوم حجة على

من بعدكم، إن الله تعالى يقول: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

عباد الله إنا ندعوكم إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، إن الله دمر قوماً اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

عباد الله كأن الدنيا إذا انقطعت وتقضت لم تكن، وكأن ما هو كائن قد نزل، وكأن ما هو زائل عنا قد رحل، فسارعوا في الخير واكتسبوا المعروف، تكونوا من الله بسبيل، فإنه من سارع في الشر واكتسب المنكر فإنه ليس من الله في شيء، أنا اليوم أتكلّم وتسمعون ولا تبصرون، وغداً بين أظهركم صامتاً فتندمون، ولكن الله ينصرني إذا ردني إليه، وهو الحاكم بيننا وبين قومنا بالحق.

فمن سمع دعوتنا هذه الجامعة غير المفرقة، العادلة غير الجائرة، فأجاب دعوتنا وأناب إلى سبيلنا، وجاهد بنفسه نفسهَ ومن يليه من أهل الباطل ودعائم النفاق، فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن ردَّ علينا دعوتنا وأبى إجابتنا، واختار الدنيا الزائلة الآفلة على الآخرة الباقية، فالله من أولئك بريئ، وهو يحكم بيننا وبينهم.

[عباد الله] إذا لقيتم القوم فادعوهم إلى أمركم، فلأن يستجيب لكم رجل واحد خير لكم مما طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة، وعليكم بسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالبصرة والشام، لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً، والله على ما أقول وكيل.

عباد الله لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة.. البصيرة ثم القتال، فإن الله يجازي عن اليقين أفضل جزاء يجزي به على حق، إنه

من قتل نفساً يشك في ضلالتها كمن قتل نفساً بغير حق.

عباد اللّه البصيرة.. البصيرة.

قال أبو الجارود فقلت له: يا ابن رسول اللّه يبذل الرجل نفسه على غير بصيرة؟! قال: نعم، إن أكثر من ترى عشقت نفوسُهم الدنيا، فالطمع أرداهم إلا القليل الذين لا تخطر على قلوبهم الدنيا، ولا لها يسعون، فأولئك مني وأنا منهم.

(٣) من خطبة له خطب الناس بها بعد أن خرج

قال أبو مخنف في أخبار مولانا أمير المؤمنين أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين ـــ عليهم السلام جميعاً ـــ ما لفظه: فلما قام الإمام أمير المؤمنين أبي الحسين – صلوات الله عليه، وعلى آبائه الطاهرين – بلغه أن غالية من الشيعة يقولون: نحن نحكم في دماء بني أمية وأموالهم برأينا، وكذلك نفعل برعيتهم، فلما بلغه ذلك صعد المنبر في الكوفة ؛ فحمد الله تعالى، وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي ـــ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـــ ثم قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الناس إنه لا يزال يبلغني منكم أن قائلاً يقول: إن بني أمية فَيْءٌ لنا، نخوض في دمائهم، ونرتع في أموالهم، ويقبل قولنا فيهم، وتُصدَّق دعوانا عليهم!! حكم بلا علم، وتجرم بلا روية، جزاء السيئة سيئة مثلها، عجباً[1] لمن نطق بذلك لسانه، وحدَّثته به نفسه، أبكتاب اللّه حكم[2]؟ أم سنة[3] نبيه صلى اللّه عليه وآله وسلم

(١)ـــ في نسخة: عجبت.

(٢) ـــ في نسخة: أخذ.

(٣)ـــ في نسخة: أم بسنة.

اتبع[١]؟ أم طَمَعَ في ميلي معه، وبسطي يدي في الجور له؟ هيهات هيهات، فاز ذو الحق بما يهوى، وأخطى الظالم بما تمنى، حق كل ذي حق في يده، وكل ذي دعوى على حجته، وبهذا بعث الله أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام، ولم يخُط المنصفُ حضَّه، ولم يُتّقِ الظالم على نفسه، أفلح من رضي بحكم الله، وخاب من أرغم الحقُّ أنفَه، العدل أولى بالآخرة ولو كره الجاهلون.

حق لمن أمر بالمعروف أن يجتنب المنكر، ولمن سلك سبيل العدل أن يصبر على مرارة الحق، كل نفس تسموا إلى مناها، ونعم الصاحب القنوع، وويل لمن غَصَب حقاً، أو ادعا باطلاً.

أيها الناس، أفضل العبادة الورع، وأكرم الزاد التقوى، فتورعوا[٢] في دنياكم، وتزودوا لآخرتكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وإياكم والعصبية، وحمية الجاهلية، فإنهما يمحقان الدّين، ويورثان النفاق.

(٤) ومن خطبة له حين خفقت رايات الجهاد

روى السيد الإمام أبو العباس الحسني في المصابيح بإسناده عن سعيد بن خثيم رحمة الله تعالى: أن الإمام الأعظم أبا الحسين، المنزه عن كل شين، زيد بن علي عليهما الصلاة والسلام لما كتّب كتائبه، وخفقت راياته، رفع يده إلى السماء، ثم قال:

الحمدلله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أني لقيت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، ولم آمر في أمته بالمعروف ولم أنههم عن المنكر، والله ما أبالي إذا أقمتُ كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ أن أجّجَت لي

(١) ــ في نسخة: حكم.

(٢)ــ في النسخ الموجودة لدي: (فرعوا) ولعل الصحيح ما أثبته.

نارٌ ثم قُذِفْتُ فيها، ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة اللّه تعالى، والله لا ينصرني أحد إلا كان في الرفيق الأعلى، مع محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين صلوات اللّه وسلامه عليهم.

ويحكم أما ترون هذا القرآن بين أظهركم جاء به محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، ونحن بنوه.

يا معاشر الفقهاء، ويا أهل الحجا، أنا حجة اللّه عليكم، هذه يدي مع أيديكم، على أن نقيم حدود اللّه، ونعمل بكتاب اللّه، ونَقْسِم بينكم فَيْأكم بالسوية، فاسألوني عن معالم دينكم، فإن لم أنبئكم بكل ما سألتم عنه فولوا من شئتم ممن علمتم أنه أعلم مني!.

والله لقد علمت علم أبي علي بن الحسين، وعلم جدي الحسين بن علي، وعلم علي بن أبي طالب وصي رسول اللّه صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، وعلى ذريتهم الطاهرين، وعَيْبَة[1] علمه، وإني لأعلم أهل بيتي. والله ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، ولا انتهكت لله محرماً منذ عرفت أن اللّه يؤاخذني، هلموا فاسألوني.

ورواه أيضاً صاحب المحيط بالإمامة عن سعيد بن خثيم.

وروى صاحب المحيط بالإمامة بإسناده عن أبي الجارود، عن الإمام زيد أنه قال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإنكم لن تسألوا مثلي، والله لا تسألوني عن آية من كتاب اللّه تعالى إلا أنبأتكم بها، ولا تسألوني عن حرف من سنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم إلا أنبأتكم به، ولكنكم زدتم ونقصتم وقدمتم وأخرتم فاشتبهت عليكم الأخبار.

---

(١) ـــ عيبة الرحل: موضع سره.

(٥) ومن خطبة له خطب بها أصحابه قبل بدء القتال

روى الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ــ عليه السلام ــ في كتابه الأجوبة الشافية عن المسائل المتنافية ما لفظه: وفي الرواية عن الإمام الأعظم أمير المؤمنين أبي الحسين زيد بن علي ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ أنه لما خرج من دار معاوية بن إسحاق رحمه الله تعالى، قال الراوي في رواية طويلة: رأيته وبين يدي قربوس سرجه مصحف، وهو يقول:

أيها الناس، والله ماقمت فيكم حتى عرفت التأويل، والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ بين الدفتين، وإني لأعلم أهل بيتي بما تحتاج إليه هذه الأمة، ولقد علمت علم أبي علي بن الحسين، وعلم أبي الحسين بن علي، وعلم أبي علي بن أبي طالب، وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإعينوني على أنباط أهل الشام، فوالله ما يعينني عليهم أحد إلا أتى يوم القيامة آمناً حتى يجوز على الصراط ويدخل الجنة.

وروى نحو هذا صاحب المحيط بالإمامة بإسناده إلى محمد بن فرات[1]، وسهل بن سليمان الرازي[2]، وسالم بن أبي واصل الحذاء[3]، وكثير النّواء[4]، أن الإمام أبو

(١) - محمد بن الفرات، أبو علي التميمي الكوفي، أحد الرواة عن الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام وكان محدثاً فاضلاً، من شعية الكوفة، قيل إنه بلغ مائة وعشرين سنة، وقد ضعّفه الخصوم على مجرى عادتهم في جرح الشيعة وتضعيفهم، ولكن كما قيل: أردت أن تذم فمدحت، وأن تفضح فافتضحت.

(٢) - سهل بن سليمان الرازي، أحد الرواة عن الإمام زيد عليه السلام، له رواية في سيرة أهل البيت عليهم السلام.

(٣) - سالم ابن أبي واصل الحذاء، مولى الإمام زيد عليه السلام، وروى عن الإمام زيد، وعنه الحسين بن زيد.

(٤) - كثير بن إسماعيل النّواء، أبو إسماعيل الكوفي، مولى بني تميم، أحد الرواة عن الإمام زيد والمبايعين

الحسين زيد بن علي — صلوات الله عليه — خرج يوم الأربعاء غرة صفر اثنتين وشعرين ومائة وعلى العراقين يومئذ يوسف بن عمر بن أبي عقيل الثقفي - لعنه الله - من قبل هشام بن عبد الملك — لعنهم الله تعالى — فخرج على أصحابه على برذون أشهب، في قباء أبيض ودرع تحته وعمامة، وبين يدي قربوسه مصحف منشور، فقال:

سلوني، والله ما تسألوني عن حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وأمثال وقصص إلا أنبأتكم به، ثم ساق الخبر المتقدم.

ورواه الإمام أبو العباس الحسني في المصابيح بإسناده عن كثير النّواء وفي زيادة في آخره وهي: ثم قال: الحمد لله الذي أكمل لي ديني، إني لأستحي من جدي أن ألقاه و لم آمر في أمته بمعروف و لم أنه عن منكر.

ثم قال: أيها الناس، أعينوني على أنباط أهل الشام، فوالله لا يعينني عليهم أحد إلا جاء يوم القيامة آمناً حتى يجوز الصراط، ثم قال: نحن الأوصياء والنجباء والعلماء، ونحن خزان علم الله، وورثة وحي الله، وعترة رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم —، وشيعتنا رعاة الشمس والقمر، والله لا يقبل الله التوبة إلا منهم، ولا يخص بالرحمة أحداً سواهم. انتهى وهو في أمالي الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني بإسناده عن سليمان الرازي، وفيه زيادة ونقص في بعض المواضع.

وروى في أمالي الإمام أبي طالب عن أبي الزناد[1]، قال: لما خفق اللواء على رأس زيد بن علي — عليه السلام — قال: الحمد لله الذي أكمل لي ديني، أما والله لقد

له عليه السلام، وخرج مع الأئمة على أبي جعفر المنصور، وهو من ثقات محدثي الشيعة، موصوف بالتشيع وكفى به توثيقاً ومدحاً.

(١) - أبي الزناد، الموج بن علي الكوفي، ممن اشتهر بالأخذ عن زيد بن علي عليه السلام وكان محدثاً فاضلاً. خرّج له الإمام أبو طالب.

كنت أستحي أن أقدم على محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ و لم آمر في أمتـــه بمعروف و لم أنه عن منكر.

ورواه أيضاً صاحب المحيط بالإمامة.

من مكاتبات الإمام زيد بن علي(ع)

١- كتاب إلى أهل الكوفة وجميع الآفاق، كتَبَه قبل خروجه بخمســـة وأربعـــين يوماً.

٢- من كتاب كتب به إلى عمر بن عبدالعزيز.

٣- من كتاب كتب به إلى نصر بن سيار.

(١)- كتاب له ـ صلوات الله عليه ـ إلى أهل الكوفة وجميع الآفاق من قبل أن يقتل بخمسة وأربعين يوماً:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد..

يا قارئ القرآن، فإنك لن تتلو القرآن حق تلاوته حتى تعرف الذي حَرَّفَه، ولن تمسك بالكتاب حتى تعرف الذي نقضه، ولن تعرف الهدى حتى تعرف الضلالة، ولن تعرف التقى حتى تعرف الذي تعدى، فإذا عرفت البدعة في الدين والتكليف، وعرفت الفرية على الله والتحريف، رأيت كيف هدى من هدى(١).

واعلم يا قارىء القرآن أن القرآن ليس يعرفه إلا من ذاقه، فأبصر به عَماه، وأسمع به صَمَمَه، وحيي به بعد إذ مات، ونجي به من الشبهات.

واعلم يا قارىء القرآن، أن العهد بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد طال، فلم يبقَ من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، ولا من الإيمان إلا ذِكْرُه، وأن الله تعالى لم يجعل ما قسم بيننا نهباً، ولا ليغلب قوِيُنا ضعيفَنا، ولا كثيرُنا قليلَنا، بل قسم علينا برحمته الأقسام والعطيات. فَمَن أجْرَء على الله تعالى ممن زعم أن له أقساماً بين العباد سوى ما حكم به في الكتاب، فلو كانت الأحكام كما حكم به أهل الجور والآثام، لما كان بيننا اختلاف، ولا استعدينا إلى الحكام، كما لا يستعدي بعضنا على بعض في اللحى والألوان، ولا في تمام الخلق والنقصان.

وقديماً اتخذت الجبابرة دين الله دَغَلاً، وعباده خَوَلاً، وماله دُولاً، فاستحلوا الخمر بالنبيذ، والمَكْسَ بالزكاة، والسُّحْتَ بالهدية، يجبونها من سخط الله، وينفقونها في معاصي الله، ووجدوا على ذلك من خونة أهل العلم والتجار والزراع والصناع

(١) ـــ في نسخة: اهتدا من هدى.

والمستأكلين بالدين أعواناً، فبتلك الأعوان خَطَبَتْ أئمة الجور على المنابر، وبتلك الأعوان قامت راية الفسق في العشاير، وبتلك الأعوان أخيف العالم فلا ينطق، ولا يتّعظ لذلك الجاهل فيسأل، وبتلك الأعوان مشى المؤمن في طبقاتهم بالتّقية والكتمان، فهو كاليتيم المفرد يستذله من لا يتق اللّه سبحانه[1] والسلام، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

(٢)- - من كتاب له - عليه السلام - إلى عمر بن عبدالعزيز:

روى الإمام المرشد بالله — عليه السلام — في الأمالي الاثنينية بسنده إلى عبيدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، قال:

كتب زيد بن علي — عليه السلام — إلى عمر بن عبد العزيز في كتاب كتب به إليه:

وإن الدنيا إذا شغلت عن الآخرة فلا خير فيها لمن نالها، فاتق الله، ولتعظم رغبتك في الآخرة، فإنه من كان يريد حرث الآخرة يزده الله توفيقاً، ومن كان يريد حرث الدنيا فلا نصيب له في الآخرة.

(٣)- من كتاب له عليه السلام إلى نصر بن سيار

روى الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية بسنده إلى الإمام زيد بن علي عليه السلام، أنه كتب كتاباً إلى نصر بن سيار حين بلغه أنه محبوس، وهو كما يلي:

(١) — من مجموع فيه أخبار الإمام زيد ورسائله برواية السيد عماد الدين يحيى بن الحسين.

(الحمد لله الحميد المجيد ، القوي الشديد ، المبدئ المعيد ، قابل التوبات ، منزل الآيات، كاشف الكربات ، جبار السماوات ، وصلى الله على النبي الأمي البشير النذير السراج المنير محمد وآله وسلم أما بعد :

فإن الدنيا دار بلاء وبلوى ، خيرها قليل ، وشرها كثير ، وجمعها يبيد ، والبلاء فيها شديد ، وفايتها حسرة ، وتأويلها فتنة إلا من نالته من الله عصمة ؛ الواثق بها مغرور ، والساكن إليها مخذول ، ومن أعزها ذل ، ومن كثرها قل ، فنسأل الله العصمة منها ، والنجاة من شرها) وذكر باقي الرسالة.

من مقالات وكلام الإمام زيد بن علي(ع)

١- من كلام له في وصف القرآن.

٢- من كلام له في وصف خروجه.

٣- من كلام له في علم أهل البيت(ع).

٤- من كلام له في تفسير خبر المنزلة.

٥- من كلام له في قوله تعالى:﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

٦- من كلام له عليه السلام يحرّض فيه أصحابه على القتال.

٧- من كلام له عليه السلام في صفة الإمام.

٨- من كلام له عليه السلام في الإمامة.

٩- من كلام له عليه السلام في الإمام المفترضة طاعته.

١٠- من كلام له عليه السلام في المهدي المنتظر.

١١- من كلام له عليه السلام في من يقول بالتناسخ.

١٢- من كلام له عليه السلام في نصحية ابن آدم.

١٣- من كلام له عليه السلام في التقوى.

١٤- من كلام له عليه السلام في الوعظ.

١٥- كلام متفرّق في : (الذنوب - الموت - الجاهل - النصائح - وغيرها).

(١)- **من كلام له عليه السلام في وصف القرآن الكريم:**

روى الإمام المرشد بالله ــ عليه السلام ــ في الأمالي الإثنينية، بسنده عن أبي غسان الأزدي قال:

قدم علينا زيد بن علي ــ عليه السلام ــ الشام أيام هشام، فما رأيت رجلا كان أعلم بكتاب اللّه منه، ولقد حبسه هشام خمسة أشهر يقص علينا ــ ونحن في الحبس ــ تفسير الحمد وسورة البقرة، يَهُذُّ ذلك هذاً، وذكر الكتاب وقال فيه:

واعلموا رحمكم اللّه تعالى أن القرآن والعمل به يهدي للتي هي أقوم، لأن اللّه تعالى شَرّفه وكرمه، ورفعه، وعظمه، وسماه: روحاً، ورحمة وشفاء، وهدى، ونوراً، وقطع منه بمعجزِ التأليف أطماعَ الكائدين، وأبانه بعجيب النّظم عن حيل المتكلفين، وجعله متلواً لا يُمَل، ومسموعاً لا تَمُجُّه الآذان، وغَضاً[١] لا يخلق على كثرة الرد، وعجيباً لاتنقضي عجايبه، ومفيداً لا تنفد فوائده.

والقرآن على أربعة أوجه: حلال وحرام لا يسع الناس جهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وعربية يعرفها العرب، وتأويل لا يعلمه إلا اللّه، وهو ما يكون مما لم يكن.

واعلموا رحمكم اللّه تعالى أن للقرآن ظهراً، وبطناً، وحداً، ومطلعاً، فظهره: تنزيله، وبطنه: تأوليه، وحده: فرائضه وأحكامه، ومطلعه: ثوابه وعقابه.

ورواه أيضاً في الحدائق الوردية.

وقال عليه السلام: الإعتصام بالكتاب نجاة من الفتن والأهواء المضلات، وذهاب العالم ذي الديانة صَدْعٌ في الدين لايرتق.

(١)ــ الغض: الطري.

(٢)- ومن كلام له ـ عليه السلام ـ في صفة خروجه:

روى الإمام المرشد بالله في الأمالي الإثنينية بسنده عن أبي معمر، قال: كنا في دار شبيب بن غرقدة فسمعنا وقع حوافر الخيل، فما فينا أحد إلا رعب وأرعد وظننا أنه يوسف بن عمرو، والله ما رأيت رجلاً كان أربط جأشاً ولا أشد نفساً من زيد بن علي ـ عليه السلام، والله ما قطع حديثه، ولا تغير وجهه، ولا حلّ حبوته، فلما مضت الخيل وجازتنا وتفرج عنا ما كنا فيه أقبل علينا بوجهه، ثم قال:

ليرعب أحدكم الشيء يخاف أن يحل به، والله ما خرجت لغرض دنيا ولا لجمع مال، ولكني خرجت ابتغاء وجه الله، والتقرب إلى الله ؛ فمن كان الله همته، ومن الله طلبته، فما يرعبه شيء إذا نزل به، إذا كان لله وأرضى نبيئه ـ صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣)- ومن كلام له ـ عليه السلام ـ [في علم أهل البيت] عندما سأله معاوية بن إسحاق الأنصاري ـ رحمه الله تعالى ـ وقال:

يا ابن رسول الله، هل عندكم علم من علم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا يعرفه الناس ؟

فقال: نعم، علم جم يتوارثه الأصاغر عن الأكابر.

قال: قلت: وما هو؟

قال: كان محمد بن علي كبيرنا يجتمع إليه ولد الحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ فيقرئهم القرآن بحرف علي ـ عليه السلام ـ ويخرج إليهم علمه.

قال: قلت: وما علمه ؟

قال: ما تحتاج إليه هذه الأمة من حلالها وحرامها، وأنساب العرب، وما يكون من لدن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حتى تقوم الساعة، وأنه لا صلاة لمن

مسح على الخفين ، وأن لا نخافت ببسم الله الرحمن الرحيم، ومن ترك الصوت فيهما يجهر فيه بالقرآة فقد نقص صلاته، وأن لا يأكل الجُري والمارماهي، ولا ما ليس عليه فلوس من السمك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على من أمكنته منـبا الفرصة بالعلم، ومن زعم أن أحداً أولى بهذا الأمر منا فلا ذمة له، ونحن منه بـــراء، هذه والله فطرة الإسلام، ودين محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام، وعليها أحيـــا، وعليها أموت ومن تابعني من المؤمنين، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. انتهى(١).

(٤)- ومن كلام له في تفسير خبر المنزلة

روى أبو القاسم البستي في كتاب (الباهر على مذهب الناصر) قال فيه:

حكى عبد العزيز بن إسحاق ــ رحمه الله تعالى ــ عن زيد بن علي ــ عليهمـــا السلام ــ أنه قال في علي ــ عليه السلام ــ:

قد شبهه بهارون في منزلة، فلا بد من منزلة معلومة لنا دون منزلة مجهولة، وليس لهارون منازل معلومة إلا ثلاث: منزلة الأخوة، ومنزلة الشركة ـــــ أي في النبـــوة، ومنزلة الخلافة، والعقل قد استثنى الأخوة بالنسب، والنبي ــ صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم ــ قد استثنى النبوة ؛ فلم يبق إلا الإمامة(٢).

---

(١) – من مجموع فيه أخبار الإمام زيد ورسائله برواية السيد العلامة يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد، وهو منقول من رواية العلامة النسابة قاضي دمشق أبو الغنائم عبدالله بن الحسن بن محمد بن الحسن بن الحسين بن عيسى بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي، له كتاب في الأنساب ذكره الإمـــام المنصور بالله عبدالله بن حمزة.

(٢) – من مجموع أخبار الإمام زيد ورسائله برواية السيد عماد الدين يحيى بن الحسين.

(٥)ـ ومن كلام له ـ عليه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾:

روى أبو القاسم البستي أيضاً، قال ما لفظه:

ولزيد بن علي ــ عليه السلام ــ جواب لطيف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، وهو: أن التقيّ منا أهل البيت، والتقي منكم إذا انتسبا كان العلوي أفضل لانتسابه إلى النبي والوصي، والفاسق منا والفاسق من غيرنا، وإن استويا في الفسق فلأحدهما حرمة النسب، فالأكرم من ذوي النسب هو الأتقى، والأكرم ممن لا نسب له هو الأتقى في طبقته، والنسب شرف لا يساويه في رتبته[1].

(٦)ـ [ومن كلام له يحرّض فيه أصحابه على القتال]

ومن كلامه ــ عليه السلام ــ: ما رواه علي بن الحسين الزيدي في كتابه المحيط بالإمامة بإسناده إلى محمد بن الفرات، قال: وقف الإمام الأعظم أبو الحسين زيد بن علي عليهما السلام على باب الجسر، حين جاء أهل الشام، فقال عليه السلام لأصحابه:أنصروني على أهل الشام، فوالله لا ينصرني عليهم رجل إلا أخذت بيده حتى أدخله الجنة.

ثم قال: والله لو علمت عملاً هو أرضى لله تعالى من هذا الذي وضعت يدي فيه لفعلته ولأتيته، لكني لا والله ما أعلم عملاً هو أرضى من قتال أهل الشام، وقد كنت نهيتكم أن لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً، وإني سمعتهم يسبون أمير المؤمنين وسيّد الوصيين علي بن أبي طالب ــ صلوات الله تعالى عليه ــ، فاقتلوهم على كل وجة.

---

(١) - من مجموع فيه أخبار الإمام زيد ورسائله برواية السيد عماد الدين يحيى بن الحسين.

(٧)_ ومن كلام له في الإمامة، وفي صفة الإمام وكيف يكون:

أعلم أنه لا ينبغي لأحد منا أن يدعو إلى هذا الأمر حتى تجتمع فيه هذه الخلال: حتى يعلم التنزيل والتأويل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وعلم الحلال والحرام، والسنة الناسخة ما كان قبلها، وما يحدث كيف يَرُدُّهُ إلى ما قد كان لمثل ما فيه وله، وحتى يعلم السيرة في أهل البغي، والسيرة في أهل الشرك، ويكون قوياً على جهاد عدو المؤمنين، يدافع عنهم، ويبذل نفسه لهم، لا يُسلِمَهم حَذَر دائرة، ولا يخالف فيهم حكم الله تعالى، فهذه صفة من يجب طاعته من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[١].

(٨)_ ومن كلام له في الإمامة

روى الإمام الحسن بن بدر الدين في كتابه أنوار اليقين، قال: وعن فضيل الرسّان قال: قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي عليهما السلام: قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان أولى الناس بالناس أمير المؤمنين علي صلى الله عليه، ثم قبض أمير المؤمنين علي صلى الله عليه فكان أولى الناس بالناس أمير المؤمنين الحسن بن علي عليهما السلام، ثم قبض أمير المؤمنين الحسن بن علي عليهما السلام، فكان أولى الناس بالناس أمير المؤمنين الحسين بن علي عليهما السلام، ثم سكت.

وروى الإمام الحسن بن بدر الدين أيضاً في أنوار اليقين، قال:

وعن عبد الرحيم البارقي، عن زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ قال: الإمامة والشورى لا تصلح إلا فينا، قال الإمام الحسن: رويناه من كتاب السفينة [أي للحاكم الجشمي].

وقال في أنوار اليقين: وعن أبي الجارود: أن المعتزلة قالوا لزيد بن علي ــ عليهما

(١) ــ من مجموع أخبار الإمام زيد برواية السيد عماد الدين.

السـلام ـ: سلم لمن مضى وننصرك، فقال: كل لواء عقد في الإسلام لغيرنا فهو لواء ضلالة، انتهى.

وقال الشيخ أبو جعفر الهوسمي: وصح عن زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ: كل راية عقدت ليست لنا ولا تدعوا إلينا فهي راية ضلالة.

وروى الإمام أبو طالب ـ عليه السلام ـ بإسناده عن فضيل الرّسّان قال: كنت مع زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ بالكناسة، فسأله رجل عن الشيخين ؛ فأعرض عنه، فلما دخل الليل ووقع به السهم، قال: أين السائل ؟ فأحضروه، فقال له زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ: هما رمياني، هما قتلاني، هما أقاماني هذا المقام، وهما أول من ظلمنا حقنا، وحملا الناس على أكتافنا، فدماؤنا في رقابهم إلى أن تقوم القيامة(١).

قال الإمام الحسن بن بدر الدين في أنوار اليقين: والمحكي عن زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ أنه نسب ما أصابه من ظلم هشام إلى الشيخين لأجل كونهما أول من سن ظلم العترة، والتقدم على الأئمة.

(٩)_ من كلام له في الإمام المفترضة طاعته

ذكر نشوان الحميري في الحور العين ، قال :

وروى حسن بن علي ، عن يحيى بن أبي يعلى ، عن عمر بن موسى(٢)، قال : قلت لزيد بن علي : أكان علي إماماً؟

(١) - من مجموع فيه أخبار ورسائل الإمام زيد برواية السيد عماد الدين يحيى بن الحسين.

(٢) - عمر بن موسى بن الوجيه الأنصاري، أبو حفص الشامي الدمشقي، وَهَم من عده كوفياً ـ أحد الرواة عن الإمام زيد عليه السلام، وروى عن مكحول وقتادة والحكم وغيرهم، وعنه إبراهيم بن نافع وأبو نعيم وآخرون.

فقال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ نبياً مرسلاً ، لم يكن أحد من الخلق بمنزلة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، فلما قبض رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كان علي من بعده إماماً للمسلمين في حلالهم وحرامهم ، وفي السنة عن نبي الله ، وتأويل كتاب الله ، فما جاء به علي من حلال أو حرام أو كتاب أو سنة أو أمر أو نهي ، فرده الراد عليه ، وزعم أنه ليس من الله ، ولا من رسوله ، كان رده عليه كفراً ، فلم يزل ذلك حتى أظهر السيف ، وأظهر دعوته ، واستوجب الطاعة ، ثم قبضه الله شهيداً.

ثم كان الحسن والحسين ، فوالله ما ادعيا منزلة رسول، ولا كان من رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ من القول فيهما ما قال في علي عليه السلام ، وأيضاً أنه قال: ((سيدا شباب أهل الجنة)) فهما كما سماهما رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، وكانا إمامين عدلاً ، فلم يزالا كذلك حتى قبضهما الله تعالى شهيدين.

ثم كنا ذرية رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ من بعدهما ولد الحسن والحسين ما فينا إلا إمام مفترضة طاعته ، ووالله ما ادعى علي بن الحسين أبي ، ولا أحد منزلة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ولا منزلة علي ، ولا كان من رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ منا ما قال في الحسن والحسين ، غير أنا ذرية رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ .

من رجال الشيعة، جرحه الخصوم بسبب روايته فضائل أهل البيت، وثّقه المؤيد بالله، وخرّج له هو وأخوه الإمام أبو طالب عليهما السلام.

فهؤلاء يقولون : حسدت أخي وابن أخي ، أأحسد أبي حقاً هو له ؟ لبئس الولد أنا من ولد ، إني إذاً لكافر ، إن جحدته حقاً هو له من الله ، فوالله ما ادعاها علـــي بن الحسين، ولا ادعاها أخي محمد بن علي ، منذ صحبته حتى فارقني.

ثم قال : إن الإمام منا أهل البيت ، المفروض علينا وعليكم وعلى المسلمين ، من شهر سيفه ودعا إلى كتاب ربــه وسنة نبيه ، وجرى على أحكامه ، وعُرِف بذلك، فذلك الإمام الذي لا تسعنا وإياكم جهالته .

فأما عبد جالس في بيته ، مُرخٍ عليه ستره ، مغلق عليه بابه ، تجري عليه أحكـــام الظالمين ، لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ، فأنى يكون ذلك إماماً مفروضـــة طاعته.

(١٠)_ ومن كلام له ـ عليه السلام ـ في المهدي المنتظر

روى صاحب المحيط بالإمامة بسنده عن قاسم بن محمد بن عبدالله بن عقيل بـــن أبي طالب، قال: قال زيد بن علي: المهدي حق وهو كائن من أهل البيـــت، ولـــن تدركوه، وذلك يكون عند انقطاع الزمن، فلا تنكلوا عن الجهاد، الداعي منـــا إلى كتاب الله وسنة رسوله القائم بذلك.

(١١)_ من كلام له ـ عليه السلام ـ فيمن يقول بالتناسخ:

روي عن عبدالله بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبي الحسين زيد بن علـــي ـــ عليهما السلام ـــ أنه أُخْبِرَ أن قوماً من الشيعة يقولون بالتناسخ والكروب، وهي تغيير الهيكل والقالب والصورة مع بقاء النفس والعقل الكلية، والروح والحياة علـــى حالها تدور، كقول ابن زكريا، ويقولـــون: إنها ستعود مقامات وإنهـــم ينتحلـــون ذلك إليكم أهل البيت ؛ فغضب غضباً شديداً، ثم قال:

والله ما هؤلاء شيعتنا، وما هؤلاء إلا أعداؤنا، غضب الله على هؤلاء، والله إن من الحق أن يعرضوا على السيف، وأن لا تقبل منهم توبة(١).

(١٢)_ من كلام له عليه السلام في نصيحة ابن آدم

ومن كلامه سلام الله عليه : (إنما سلامتك يا ابن آدم في الدنيـــا مـــن الضـــلال مطيتك إلى رضوان ربك ـــ تبارك وتعالى ـــ فتعاهد نفسك بالحساب ، وناقشـــها فيما لها وعليها ، ولا ترخص لنفسك فيما ليس لك ، حتـــى تحرزهـــا لخالقهـــا ، وتخلصها لربها ، فحينئذ أنت عبدالله ووليه من أهل جنته.

يا ابن آدم: كم أشهدته من عملك ما لا يرضى ، وإنمـــا ســـعيت في هلكتـــك وكدحت إلى بوارك ، ثم ها أنت ذا تغتر بجهل الجاهلين بك ، وتزهو بمدح المغترين بما ظهر من ريائك.

يا ابن آدم : من أعرف منك بنفسك ، ومن هو الذي أولى بصلاح أمرك منك ، بادر ثم بادر ثم بادر قبل اخترامك وقبل زوالك وقبل رحيلك وقبل نزولك في قبرك، لم تمهد فيه مهاداً ، ولم توسد لنفسك فيه وساداً ، إنما تسكنه فرداً خالياً تنوبك فيـــه بنات الأرض ، وتزورك فيه هوامها ، أيا غافلاً وما أغفلك أخلقت سدىً ؟ أتـــترك فيما هاهنا آمناً ؟ انزعج إلى دار الخلود التي أعدت للمتقين).

(١٣)_ من كلام له - عليه السلام - في التقوى

ومن كلامه عليه السلام : (إن تقوى الله عز وجل حمت المتقين معصيتـــه حتـــى حاسبوا نفوسهم في صغائر الأعمال ، وإن تقوى الله بعثت المتقين علـــى طاعتـــه ، وخففت على أبدانهم طول النصب ، فاستلذوا مناجاة الله وذكره ، وحمدوه علـــى

(١) - من مجموع فيه أخبار الإمام زيد ورسالله.

السراء والضراء، أولئك الذين عملوا بالصالحات ، واجتنبوا المنكـــرات ، ومهـــدوا لأنفسهم فطوبى لهم وحسن مآب).

(١٤)- من كلام له عليه السلام في الوعظ

ومن كلامه عليه السلام : (خليل لك في الله تخاله ، خير لك من مال تكـــنزه ، وكلمة بالحق تقولها في الله تكتب لك طاعة الله ، فلا تجهل من الحـــق ولا تنــس نصيبك من الجنة، فإن الله دعا عباده إلى الجنة ، واشترى منهم نفوسهم ، فمن بـــاع نفسه بدون الثمن الذي رضي الله له خسرها ، فالله الله عباد الله ، فما أقـــرب مـــا توعدون ، وما أبعد ما تؤملون، تباعدوا إلى الله من طول الأمل ترونه قرب الأجل ، فإنه من قتل في سبيل الله كان عند الله حياً مرزوقاً، وكتبه الله شهيداً صديقاً، إنمـــا يدعوكم إلى الفوز العظيم ، والنعيم المقيم).

(١٥)_ ومن كلام له :

في الذنوب

حكى الحسين بن زيد بن علي عن أبيه زيد بن علي بن الحسين عليهـــم الســـلام قال: كل ذنب يكون من العبد يذهب من إيمانه بقسط، فإن راجع التوبة رجع إليـــه من إيمانه ما كان ذهب بذنبه الذي كـــان منه، وإن تمـــادى بالتســـويف ولَـــجَّ في المعصية، وقع في متاته الشيطان، وهلك[1].

في طبايع الجاهل

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ من طبـــايع

(١) ـــ من مجموع فيه أخبار الإمام زيد ورسائله، برواية السيد عماد الدين.

الجاهل ثماني خصال:

أولها: الغضب من غير شيء. والأعطاء بغير حق. وإتعاب البدن في الباطل. وقلة معرفة الرجل لصديقه من عدوه. ووضع الشيء في غير موضعه وأهله. وثقته بكل من لم يجربه. وكثرة الكلام بغير نفع. وحسن ظنه بمن لا عقل له ولا وفاء(١).

في النصائح

خلتان ليستا من ديني ولا من دين آبائي: لا تظلموا فتمقتوا، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان يسلم لكم دينكم، وتحسن القالة فيكم، والكتاب ناطق، والرسول صادق، والحق أبلج، والسبيل منهج، ولكل في الحق سعة، ومن حاربنا حاربناه، ومن سالمنا سالمناه، والناس عندنا كلهم آمنون، إلا رجلاً نصب نفسه لنا، أو رجلاً أعان علينا بماله أو شتمنا، ولو شئت قلت: أو رجلا قال فينا، أو نال من أعراضنا، ولكن حسب كل امرء ما اكتسب، وسيكفي الله الظالمين(٢).

في الموت

روى الإمام أبو طالب في الأمالي بسنده عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: كان لعمي زيد بن علي عليهما السلام ابن فتوفي، فكتب إليه بعض إخوانه يعزيه، فلما قرأ الكتاب، قلّبه وكتب على ظهره:

أما بعد.. فإنا أموات أبناء أموات آباء أموات، فياعجباً من ميت يعزي ميتاً عن ميت، والسلام، ورواه أيضاً في الحدائق الوردية.

(١) — من مجموع فيه أخبار الإمام زيد ورسائله، برواية السيد عماد الدين.

(٢) — من مجموع فيه أخبار الإمام زيد ورسائله، برواية السيد عماد الدين.

ومن كلام له ـ عليه السلام ـ أنه قال:

من يقول: إن الله يريد كفر المنافقين ؛ فهو كافر[١].

ومن كلام له ـ عليه السلام:

روى أبو القاسم البستي في كتاب (الباهر على مذهب الناصر ــ عليه السلام ــ) قال الإمام الأعظم أمير المؤمنين أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام: من واقع المعصية اتكالاً على التوبة لم يوفقه الله تعالى لها[٢].

ومن كلام له أيضاً أنه قال:

يا ابن آدم، فرض الله عليك الطاعة، وضمن لك الرزق ؛ فأنت في طلب ما ضمن لك، وتضيع ما فرض عليك، كأن الذي فرض عليك طلبه ضمن لك، والذي ضمن لك فرض عليك طلبه[٣].

تفسير بعض الآيات

وقال أبو الحسين زيد بن علي عليهما السلام في قوله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾[آل عمران:١٠٣] هو: القرآن، هو حبل الله الذي من اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم.

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[النساء:١٧٤]، قال: هو القرآن.

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾

(١) – من مجموع أخبار الإمام زيد ورسائله.

(٢) – من مجموع أخبار الإمام زيد ورسائله.

(٣) – من مجموع أخبار الإمام زيد ورسائله.

[المائدة:١٦]، المتبع أن يأتي بطاعة الله ويزدجرعن معصية الله.وسبل السلام: طرق النجاة من الهلكة.

وقال عليه السلام: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[البقرة: ١٢١]. يتبعونه حق اتباعه، ليس ذلك بالهذّ والدّراسة.

وقال بكر بن حارثة: سمعت أبا الحسين زيد بن علي بن الحسين تلى هذه الآية: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة:٨١]، فقال عليه السلام: الذي أحاطت به خطيئته: الذي يموت وليست له توبة.

حكى إبراهيم بن عبدالله عن أبيه[١] في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين:١٤] قال: اكتسبوا الذنوب. قال عليه السلام: والرّان: سواد على القلوب حتى ترى المنكرَ معروفاً، والمعروفَ منكراً، وحتى ترى الحق باطلا، والباطل حقاً، وحتى ترى الهدى ضلالا، والظلال هدى[٢].

---

(١) ـ لعله عن الإمام زيد عليه السلام.

(٢) - من مجموع في أخبار الإمام زيد ورسائله.

من دعاء الإمام زيد بن علي(ع)

١- من دعائه عليه السلام في الإنابة والتضرّع.

٢- من دعائه عليه السلام حين خرج من المدينة إلى الشام.

٣- من دعائه عليه السلام على الظالمين (بعد رجوعه من الشام).

٤- من دعاء له عليه السلام في الصلاة على النبي وآله ــ صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم ــ ، وذكْر الدنيا.

(١)- ومن دعائه (ع) في الإنابة والتضرع:

قال الإمام المرشد بالله في الأمالي الإثنينية: حدثنا الشريف أبو عبدالله العلوي: أخبرنا محمد بن علي بن الحكم، قال: أخبرنا محمد بن عمار العطار قراءة، قال: حدثني أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يحيى بن جناد البغدادي، قال: حدثني عمرو بن عون الواسطي، قال: حدثنا خالد بن عبدالله، عن عبيدالله بن محمد بن عمر، قال: كان من دعاء زيد بن علي:

اللَّهُمَّ إني أسألك سُلُوّاً عن الدنيا، وبُغضاً لها ولأهلها، فإنَّ خَيْرَها زَهِيدٌ، وشرَها عتيدٌ، وجَمْعَها يَنْفَدُ، وصفوَها يرَنِّقُ [١]، وجديدَها يَخلَقُ [٢]، وخيرَها يَنْكَدُ، ومافات منها حَسْرَةٌ، وما أُصيبَ منها فتنةٌ، إلا من نالته منك عصمَةٌ، أسألك اللَهُمَّ العصْمَةَ منها، ولاتجعلنا ممن رضي بها، واطمأن إليها، فإن مَنْ أمن منها فقد خانَتْهُ، ومن اطمأن إليها فقد فَجَعَتْهُ، فلم يُقِمْ في الذي كان فيه منها، ولم يَضْعَنْ عنها، وكَمْ رجلٍ غَرَّتْهُ غَبِيٌّ أُخَرَ للعذاب ومنزلته، ويموت بالعذاب وتشديده، فلا بالرضى بقي، ولا السخط منه نُسي، انقطعت عنه لذة الإسخاط، وبقيت تَبِعَةُ الانتقام منه، ولا يخلد في لذة، ولا يستقر في حياة، ولانفسه ماتت بموته، ولانفسه حييت بنشره[٣]، أعوذ بك اللَهُمَّ مِنْ مثل عَمَلِه ومثل مصيره.

كم لي من ذَنْب وذَنْب، وسَرَف بَعْدَ سَرَف، قد سَتَره ربِّي وماكَشَفْ.

أَجَلْ أَجَلْ أَجَلْ سترَ ربي فيه العَوْرَةَ، وأقالَ فيه العَثْرَةَ، حتى أكثرتُ فيه من الإساءة، وأكثر ربِّي فيه من المُعَافاة، وحتى أني لأخافُ أن أكون مُسْتَدْرَجاً، إني

(١) — يرنق: يتكدر.

(٢) - يَخلَق: أي يبلى وينتهي.

(٣) — في تاريخ دمشق: ولانفسه أحييت بنشره.

لأستَحْيِي من عَظَمَتِه أن أُفضِيَ إليه بما أستَخفِي به من عَبَدَ له، وبما إنّه لَيَفْضَحُ مَنْ هو خيرٌ مِنّي بما هو أدنى منه ، ثمّ ماكشفَ ربّي ستراً، ولاسلّطَ عَلَيّ فيه عَدُوّاً، فكم له عليّ في ذلك من يَدٍ ويَدٍ ويَدٍ، ما أنا إن نَسيتُها بذَكُور، وما أنا إن كَفَـرْتُ بهـا بشَكُور، وماندمت عليها إن لم أعتبك منها، ربي لك العُتبى لَكَ العُتبى بما تُحِـبُّ وتَرْضَى، فهذه يَدي وناصيتي، مُقِرٌّ بذَنْبِي، مُعْتَرِفٌ بخَطيئَتِي، إن أنكرُها أُكَـذَّب، وإن أعترفُ بها أُعَذَّب، إن لم يَعْفُ الربُّ ويَغْفِرِ الذَّنبَ، فإن يغفـرْ فَتَكَرُّمـاً، وإن يُعَذِّبْ فبما قَدَّمَت يَدَايَ، وما الله بظلام للعبيد، فهو الـمُسْتَعَان لايـزال يُعِيـنُ ضَعِيفاً، ويُغيثُ مُستَغيثاً ، ويُجِيبُ داعياً، ويَكْشِفُ كَرْباً، ويَقْضِي حاجةَ ذي الحاجةِ في كل يوم وليلة.

أجل أجل إنه كذاك، وخَيْرٌ مِنْ ذَاكَ.

(٢)- ومن دعائه حين خرج من المدينة إلى الشام:

روى السيد العلامة محمد بن عبدالله بن علي بن الحسين في كتابه (التحفة العنبرية في ذكر المجددين من أبيناء خير البرية) ما لفظه: ومنه دعائه عليـه السـلام حـين استقدمه هشام من المدينة الى الشام:

اللَهُمّ إنّك تَعْلَمُ أني مُكْرَهٌ مَجْـبُورٌ، مضطرٌ غيرُ مختارٍ، ولامالك لنفسي، **اللهُمّ** واكفني كَيْدَهُ، وألبِسْني جُنّةَ عزٍّ لكيلا أخشعَ لسلطانه، ولا أرهب من جنوده، **اللهُمّ** وابسُط لِساني عليه بإعزازِ الحقّ ونُصْرَته، كي أقولَ قولَ الحقّ ولا تـأخُذُني لومـةُ لائم، ولا إذلالُ الجبّارين ، **اللهُمّ** واجْمَعْ قَلْبِي عَلَى هِدَايَتِكَ، وأرني من إعزازِكَ إيايَ ما يَصْغُرُ به عندي مُلْكُه، وتَذِلُّ لي نَخْوتُه، **اللهُمّ** فاطْرَحِ الهيبة في قَلْبِـه وذَلِّـلْ لي نفسه، واحْبِسْ عَنّي كَيْدَهُ.

ثم قال: إني خارج عن وطني ودار هجرتي وما أراني إليها راجع.

ثم أتى قبرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى إلى جَنْبه، ثم انصرف من صلاته فقال: السلام عليك يارسول الله، السلام عليك يانبي الله، السلام عليك ياخيرة الأنبياء وأشرف الرسل، السلام عليك ياحبيب الله، هذا آخر عهدي بمدينتك، وآخر عهدي بقبرك ومنبرك، أخْرِجْتُ يا أبَهْ كارهاً، وسِرْتُ في البلاد أسيراً يارسول الله، وإني سائلك الشفاعة إلى الله عز وجل، وأن يُؤيِّدَني بثقة اليقين، وعِزِّ التقوى، وأن يختم لي بشهادة تلحقني بآبائي الأكرمين وأهلي الطاهرين.

(٣)- من دعائه على الظالمين بعد رجوعه من الشام وقبل أن يخرج بأيام قليلة:

قال الإمام المرشد بالله حدثنا الشريف أبو عبدالله العلوي: حدثنا أبو عبدالله محمد بن سهل العطار، قال: حدثني عبدالله بن محمد الواعظ، قال: حدثنا إبراهيم بن عبدالله بن العلا، قال: حدثني أبي أنه سمع أبا الحسين زيد بن علي عليهما السلام يقول في دعائه:

اللَّهُمَّ وقد شَمَلَنا زَيْغُ الفتن، واستولت علينا غَشْوَةُ الحَيْرَة، وقَارَعَنا الذلُّ والصَّغَارُ، وحكم علينا غيرُ المأمونين على دينك، وابتَزَّ أمورَنا من نَقَصَ حكمَك وسعى في إتلاف عبادك، وعَادَ فَيْئُنا دُوْلَةً، وإمَامَتُنا غَلَبَةً، وعَهْدُنا ميراثاً بين الفَسَقَة، واشْتُرِيَت الملاهي بِسَهْمِ اليتيم والأرْمَلَة، ورَتَعَ في مال الله من لايَرْعَى له حُرْمَةً، وحكم في أبْشَار المؤمنين أهلُ الذِّمة، وتولى القيامَ به فاسقُ كلِّ مَحَلَّة، فلا ذائدٌ يذودهم عن هَلَكَة، ولا رادعٌ يردعهم عن إرادتهم الـمَظْلَمَة، ولاراعٍ ينظرُ إليهم بعَين الرَّحْمَة، ولا ذو شفقة يشفي ذاتَ الكبدِ الحَرَّاء من مَسْغَبَة، فهم هؤلاء صَرْعَى ضَيْعَة، وأسرى مَسْكَنَة، وحُلَفَاء كآبة وذِلَّة.

اللَّهُمَّ وقد استَحْصَدَ زرعُ الباطلِ وبلغ نهايتَه، واستغلظ عَمُودُهُ وخَرِفَ وليدُه،

واستجمع طريدُه، وضَرَبَ بجرانه.

اللَّهُمَّ فَأتِحْ له من الحَقِّ يداً حاصِدَةً تَصْرَعُ بها قائمَهُ، وتُهَشِّمُ سُــوقَهُ، وتَجُـبُّ سَنامَه، وتَجْدَعُ مُرْغَمَه (١).

اللَّهُمَّ ولا تَدَعْ لَهُ دعامَةً إلا قَصَمْتَهَا، ولاجُنَّةً إلا هَتَكْتَهَا، ولاكلمةً مجتمعـــةً إلا فرقتَها، ولاسَرِيَّةً تعلو إلا خَفَقْتَها (٢)، ولاقائمةَ عَلَمٍ إلا خَفَضْتَهَـــا، ولا فـــائدةً إلا أبدتها.

اللَّهُمَّ وكَوِّر شَمْسَه، وحُطَّ نورَه، وادْمَغ بالحق رأسَه، وفُضَّ جُيُوشَـــهُ، وأَذْعِــرْ قُلُوبَ أهله.

اللَّهُمَّ لاتَدَعَنَّ منه بقيـــةً إلا أفنيتَ، ولانَبْوَةً(٣) إلا سَــــوَّيْتَ، ولاحَلْقَـــةً (٤) إلا أَكْلَلْتَ(٥) ولاحَدّاً إلا فَلَلْتَ، ولا كُراعاً(٦) إلا اجتحتَ، ولاحاملَ عَلَمٍ إلا نكستَ.

اللَّهُمَّ وأرنا أنصاره عباديد بَعْدَ الإلْفَةِ، وشتَّى بعد اجتماع الكَلِمَـــةِ، ومُقْنِعِـــي الرؤوس بعد الظُّهور على الأمَّة.

اللَّهُمَّ وأَسفِرْ عَنْ نَهَارِ العَدْلِ، وأرناهُ سَرْمَداً لاليلَ فيه، وأَهْطِل علينا نَاشِئَتَهُ، وأدِلْه ممن ناواه (٧).

اللَّهُمَّ وأحيي به القلوبَ الميِّتة، واجمع به الأهواءَ المختلفةَ، وأقِــــمْ بــــه الحــــدودَ

---

(١) ــ مرغم كمجلس: الأنف.

(٢) ــ خفقتها: يعني صرعتها وغلبتها.

(٣) - النَّبْوَة: الرفعة.

(٤) ــ الحلقة: الدروع.

(٥) ــ أكللته: أضعفتها.

(٦) - الكراع: معدات الحرب من خيل وسلاح وغيرها.

(٧) ــ وأدله ممن ناواه: اجعل له عليه دولة وغلبة.

الـــمُعَطَّلة، والأحكامَ الـــمُهْمَلَة، واشبع به الخِمَاصَ (١) السَّـــاغِبَةَ (٢)، وأرحْ بـــه الأبدان اللاَّغِبَةَ من ذرية محمد نبيك صلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم، وأشـــياعهم، وأنصارهم، ومحبيهم، وعَجِّل فَرَجَهُم وانْتِيَاشَهُم (٣)، بقدرتك ورحمتك رب آمـــين رب العالمين.

(٤)- من دعاء له عليه السلام في الصلاة على النبي وآله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وذِكْر الدنيا:

روى الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية بسنده المتصل إلى الإمام زيد بن علي عليه السلام، أنه كان يدعو بهذا الدعاء:

(أسألُكَ تقرّباً إليْكَ أن تُصلّي على محمد النبيّ الأمّي ، وأن تقبلَ شَفَاعَته ، وآتـــه سُؤْله، وبيِّض وَجْهَهُ ، وارفَعْ دَرَجَتَه ، وعظِّم نُوْره ، وكرِّم مقامَه ، وشرِّف بنيانه ، وأعْلِ منزلته ، ومكّن كرامته ، واعْطِه من الخيراتِ في جَميعِ ما تُؤتِي خلقكَ يا أرحم الراحمين.

وصَلِّ على أهْله وبارِكْ عليهم وسلِّم ، **اللهم** وأسألكَ سلْوَة عن الدنيا وبُغْضاً لها فإن خَيْرَها زَهيْدٌ ، وإنَّ شرّها عتيدٌ ، وإنّ جمعها يبيد ، وإنّ خيرهـــا ينكـــد ، وإنّ جَديدَها يخْلَقُ، وإنّ صَفْوَها يكْدر ، وإنّ ما فاتَ منْها حَسْرة ، وإنّ ما أُصيب منهـــا فتنة إلا مَنْ نالتْهُ منْكَ عِصْمَةٌ ؛ نسألُ الله عزّ وجلّ العصْمَةَ منها ، وأن لا يجعلَنا كَمَنْ رضي بهـــا واطْمَأنّ إليها ، فإنّ من اطْمَأنّ إليها فقد خانَتْهُ ، ومـــن أمِنَهـــا فقـــد فَجَعَتْهُ، فلم يغتمّ للذي كان منها و لم يَطْغَى.

---

(١) ـــ الخماص: الجياع.

(٢) ـــ السغب: جوع مع التعب، والسغب: العطش.

(٣) ـــ الانتياش: الرجوع والقوة.

نَسْأَلُ الله أن لا يجعلَنا كَمَنْ أَخْلَدَ إليها ، وأن يَجْعَلَنا ممن سَارَعَ إلى ما شَوَّقه إليه من ثَوَابه، وعَصَمنا مما خَوَّفَ به مِنْ عِقَابه ، ورَزَقَنا الصَّبْرَ في مَواطِنِ الصَّبر حتـــى يُبَلِّغنا القيامَ بِأَمْرِهِ، وبَذْلِ أنفسنا مِن الدّنيا وما فِيْهَا لِمَرْضَاْته).



من أشعار الإمام زيد(ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ بلغ منتهى الفصاحة، وحــاز أســرار البلاغــة، وكان له ــ عليه السلام ــ قدرة باهرة على ســبك المعــاني، ونظــم الأشعار، وكان له شعر رائق، ونظم حسن فائق، وقد أثنى عليه العلمــاء والأئمــة، واعترفوا بفصاحته وبلاغته، وقوة حجته، وحسن استدلاله، وعذوبة لفظه، وحلاوة منطقه، وكان سيبويه يحتج بشعر الإمام زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ كما ذكر ذلك الشبلنجي في كتابه (نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار) ص٣٥١ الطبعــة الأولى، ولكن لم ينقل إلينا من شعر الإمام زيد ــ عليه السلام ــ إلا النزر اليســير، وقد حاولت ــ تتميماً للفائدة ــ الإتيان ببعض الأشعار المروية عن الإمام زيد ــــ عليه السلام ــ ؛ فمن ذلك:

ما ذكره الشيخ العالم المؤرخ ــ مؤرخ مصر ــ أحمد بن علي المقريزي الشافعي في الجزء الثالث من كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) في ترجمة الإمام زيد بن علي ــ عليهما السلام ــ:

بَكَــرَتْ تخوفُــني الحتــوفُ كــأنني ... أصبحتُ عن غرضِ الحيــاةِ بمعــزلِ
فأجبتُهـــا إنَّ المنيـــةَ منهـــلٌ ... لا بُــدَّ أنْ أُسْــقَى بكــأسِ المنهــلِ
إن المنيـةَ لــو بمثلـي مُثِّلَـتْ ... مثــلاً إذا نزلُــوا بضيــقِ المــنزلِ
فاقني حَيَاءَكِ لا أبــاً لــك واعلمِــي ... أنّي امْــرؤٌ ســأموتُ إنْ لم أُقْتَــلِ

ومن ذلك ما رواه الحاكم الجشمي في كتاب (جلاء الأبصار في تأويل الأخبــار) قــال: ولما احتضر زيد ــ عليه السلام ــ قال لابنه يحيى: ما في نفسك يــا بــنيّ؟ قال: أجاهدهم في الله إلا أن لا أجد من يعينني، قال: يا بني، نعم جاهد فوالله إنــك على الحق وإنهم على الباطل، وإن قتلاك في الجنة وقتلاهم في النار، ثم أنشأ يقول:

أُبُنيَّ إما أهلكَنَّ فلا تكنْ دَنِسِ الفعالِ مبيَّضَ الأثوابِ
واحذر مصاحبةَ اللئيمِ فإنَّهُ شَيْنُ الكريمِ فَسولةُ الأصحابِ
ولقد بلوتُ الناسَ ثم خَبَرْتُهُمْ وبَلَوْتُ ما وصلُوا من الأسبابِ
فإذا القرابةُ لا تقرِّبُ قاطعاً وإذا المودةُ أقربُ الأنسابِ

ورواه أيضاً في الحدائق الوردية.

وذكر الحاكم أيضاً في (جلاء الأبصار) قال:

ولزيد بن علي — عليهما السلام —:

السيفُ يعرفُ عزمِي عند هبَّته والرمحُ بي خَبِرٌ والله لي وَزَرُ
إنَّا لنأملُ ما كانتْ أوائلُنا من قبلُ تأمُلُهُ إنْ ساعدَ القَدَرُ

وقال الحاكم الجشمي أيضاً: وله أيضاً:

يقولونَ زيداً لا يُزَكِّي بمالهِ وكيف يزكي المالَ مَنْ هو باذلُهْ
إذا حالَ حولٌ لم يكُنْ في ديارِنا من المالِ إلا رَسْمُهُ وفضَائِلُهْ

ورواه أيضاً أحمد بن محمد الشرفي في (اللآلِيء المضيئة).

ومن شعره أيضاً: ما ذكره أحمد بن محمد الشرفي في (اللآلِيء المضيئة) ج١/٣٢٨:

حُكمُ الكتابِ وطاعةُ الرحمانِ فَرضَا جهادَ الجائرِ الخوَّانِ
فالمسرعونَ إلى فرائضِ ربِّهم بَرِئُوا من الآثامِ والعدوانِ
والكافرونَ بفرضهِ وبحكمهِ كالساجدينَ لِصُورَةِ الأوثانِ
كيفَ النجاةُ لأمَّةٍ قد بَدَّلَتْ ما جاءَ في القرآنِ والفُرْقانِ

وقال يرثي أخاه أبا جعفر محمد بن علي الباقر ــ عليهما السلام:

يامَوت أنت سَلَبْتَني إلفــاً قَدَّمْتَهُ وَتَرَكْتَنــي خَلْفــاً
وا حُزْنَنا لانلتقــي أبــداً حتى نَقُوْمَ لِربِّنـــا صَفّــاً

ذكره صاحب الحدائق الوردية.

وقال لما خرج للقتال:

أذُلُّ الحياةِ وعِـــزُّ الممـــاتِ وكُلٌّ أراه طعامـــاً وَبيــلا
فإن كانَ لا بُدَّ مِنْ واحـــد فسَيْرٌ إلى الموتِ سيراً جميلا

وقال عليه السلام أيضاً:

وإذا أردتَ تَحَوُّلاً من مـــنزلٍ فانظُرْ مَنِ الجِيْران حَـولَ المـنزلِ
وإذا ظفِرْت بجــارِ سوءٍ فاتقي وإذا ظَفِرتَ بِجَــارِ صِدْقٍ فاحْلُلِ

وله عليه السلام أيضاً:

إحــذَرْ مَــوَدَّة مـــارق خَلَطَ المـــرارة بــالحلاوة
يُحْصِي الذنوبَ عليك أيّـــ ـــام الصَّداقـــة للعــداوة

وقال أيضاً:

متى ماذهبنا نترك القـــولَ بـــالهُدَى ونترُكُ حقاً قد علمناه مُحْكَمَـــا
أســأنا و لم نُحْسن وكنا كَمَنْ طَغَى وحَادَ عن التقوى وأغفلَ مُبْرَما

وروى الإمام المنصور بالله في الشافي (١١٠/٣) بإسناده إلى الحسين بن زيد قال:

حدثني سالم مولانا، قال: كنت مع الإمام زيد بن علي بواسط ومعه أناس من قريش فذكروا أمر أبي بكر وعمر، فكان القرشيون قدّموا أبا بكر وعمر، فلما قاموا قال لي زيـــدٌ: قد سمعتُ مقالتهم، فكرهت أن أجاريهم، ولكن قد قلت كلمات فـــاذهب بها إليهم:

ومن فَضَّل الأقوامَ يوماً برأيـــــه ... فــإن عليــاً فضلتـــه المنـــاقبُ
وقولُ رسول اللّه والحقُّ قولُـــــه ... وإن رَغِمَتْ مِنْهُ الأنوف الكَوَاذبُ
فــإنك منِّـــي يـــاعليُّ بمـــنزل ... كهارون من موسى أخ لي وصاحبُ
دعاه بِبَدرٍ فاســـتجاب لأمـــرهِ ... وبارز في ذَاتِ الإله يُضَـــارِبُ

وروى هذه الأبيات أيضاً صاحب المحيط بالإمامة ، وزاد على ذلك :

فأحْجَم عنه المشركون جميعهـــم ... شــبابُهُمُ والمنصفــون الأشـــايبُ
ويومـــاً بذي المهراس أحْدَ بنفسه ... وقد جعلت تنبو السيوف القواضبُ
فما زال يعلوهـــم بـــه وكأنـــه ... شهاب تلقتـــه القوابـــس ثـــاقبُ
فإن يجحدوه حقَّهُ مـــع علمهـــم ... به تجزهم عنهم بـــذاك العواقِـــبُ

ومما يروى عنه قوله:

منخرق الخفين يشـــكو الوَجَـــى ... تَنْكُبُه أطـــــرافُ مَــرْوٍ حـــدادِ
شـــرّده الخـــوفُ وأزرى بـــــه ... كذاك من يكـــرهُ حَـــرَّ الجـــلادِ
قد كان في المـــوت لـــه راحـــةٌ ... والموتُ حَتْمٌ في رقـــاب العبـــادِ
إن يُحْـــدِثِ اللّـــه لـــه دَولـــةً ... يترك أرباب العِـــدى كالرمـــادِ

وكان يتمثل بقول القائل:

لسنا وإن كَرُمَـــتْ أوائلُنَـــا بدأً على الأحســـابِ نتّكــلُ
نبني كمــا كـــانت أوائلُنَـــا تبني ونفعلُ مثلَ مــــا فعلُــوا

ومما يروى عنه عليه السلام أيضاً:

يعلم الناس مافي العرف من شرف لشرفوا العرف في الدنيا على الشرف
وبادروا بالذي تحـــوي أكفهـــم من الخطير ولو أشفوا على التلـــف

وروي عنه أيضاً:

مهلاً بني عمنا عن نحـــت أثلتنـــا سيروا رويداً كما كنتم تســـيْرونَا
لاتطمعوا أن تهينونا ونُكْرِمَكـــم وأن نَكُفَّ الأذى عنكم وتؤذُونَـــا
اللّــه يعلــم أنَّــا لا نحبُّكـــم ولا نلومُكُـــم ألاَّ تُحبونَـــــا
كلُّ امريءٍ مولعٌ في بُغض صاحبِهِ فنحمد اللّـــه نقلوكـــم وتقلُونَـــا

وعنه عليه السلام :

نحن ســـاداتٌ قريـــشٍ وقِـــوَامُ الحـــقِّ فينَـــا
نحن لَنْوار الـــتي مـــن قَبْلِ كَوْنِ الخلق كُنَّـــا
نحن منَّا المصطفى الـــ ـــمختارُ والمهديُّ منَّـــا
فبنا قد عُـــرِفَ اللـــ ـــهُ وبـــالحق أُقمْنَـــا
سوف يصلاه ســـعيراً من تولى اليـــومَ عنَّـــا

وعنه أيضاً:

إن المحكم مـــا لم يرتقـــب حســـداً لو يرهب السيف أو وَخْزَ القناةِ صَفَـــا

من عاذَ بالسيف لاقى فُرجةً عجَبَــاً موتاً على عَجَلٍ أو عــاشَ فانتصَفَــا

وفي مقاتل الطالبيين ص١٢٩: قال زكريا بن زائده: لما حججت مررت بالمدينـة فدخلت على زيد بن علي فسلمت عليه فسمعته يتمثل بأبيات ويقول:

ومن يطلب المال الممنــع بالقنــا يعش ماجداً أو تخترمه المخــارمُ
متى تجمع القلب الذكي وصارمــاً وأنفاً حميــاً تجتنبــك المظــالمُ
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهــم فهل أنا في ذا يال همدان ظــالمُ

وذكر في التحفة العنبرية أن رجلاً قال للإمام زيد بن علي عليه السلام: أخــبرْني عن فاطمة ما كان شأنها مع القوم؟

فقال له زيد عليه السلام: أما سمعتَ قول الذي خبّر ما في نفسها:

غداة تنادي يا بتــا مــا تمزّقــت ثيابك حتى أزمع القوم بــالغدْرِ
وحتى ارتُكبنــا بالمذلّــة والأذى وليس لأحرارٍ على الذلّ من صبرِ

فقال الرجل في زيد بن علي عليه السلام:

أنتَ الأمير وأنتَ غــير مداهــنٍ ظفرت يــداكَ بــذروة الجنّــاتِ
وعَلوْتَ يابن المصطفــى ووصيّــه في الفضل والدرجات والغرفــاتِ

[تم بحمد الله تعالى]

فهرس الأحاديث

فهرس المواضيع

تم الكتاب بحمد الله تعالى